

HOW TO IMPROVE YOUR MIND?

جيمس ر. فلين

WILEY- BLACKWELL

دار الفجر للنشر و التوزيع

كيف تحسن من طريقة تفكيرك

كيف تحسن من طريقة تفكيرك

تأليف

جيمس ر. فلين

ترجمة

د. محمد صفوت حسن

دار الفجر للنشر والتوزيع

2013

كيف تحسن من طريقة تفكيرك

تأليف | ترجمة
جيمس ر. فلين | د. محمد صفوت حسن

How To Improve Your Mind

The First English Edition Published 2012 by Wiley-Blackwell

حقوق النشر	رقم الإيداع
الطبعة العربية الاولى 2013	21901
جميع الحقوق محفوظة للناشر	ISBN
	978-977-358-289-0

دار الفجر للنشر والتوزيع

4 شارع هاشم الأشقر – النزهة الجديدة

القاهرة – مصر

تليفون : 26242520 – 26246252(00202)

فاكس : 26246265 (00202)

Email: daralfajr@yahoo.com

المحتويات

الصفحة	الموضـوع
181	15- ما الذي يجب عمله ؟
191	الجزء الرابع: أعداء العلم
193	16- الحقيقة : ما الذي يقوله العلماء بالفعل عن العلم
209	17- التاريخ ، و العلم ، والنشوء: نوع واحد فقط من كل منهما
223	18- فهم الأمم ـ فهم أي شخص
233	19- حالات أربع
247	20-خاتمة : جامعة جين ديبس

(1)

مقدمــة

شرك المعرفــة

من هو السيد ، أنت أم العالم المعاصر ؟ حيث يملأ العالم عقلك من كـل الجوانـب بالمحادثات والمحاضرات والصحف والتلفاز والانترنت وعليك أن تكون الحارس الذي يصغي إلي ما يستحق التذكر ويقرر ما هو حقيقـي ومـا هـو زائـف وإلا تصـبح تحـت رحمتـه في حياتك التي تعيشها يوما بيوم ولن تنقذك في هذه الحال أيـة موسـوعة تشـتمل عـلى كـل الحقائق والأسماء والأمـاكن ، كـما أننـي أظـن أنـك قـد تتوقـف عـن القـراءة عنـدما تـرى اصطلاحا مثل " المغالطات الطبيعية (حيث قد تسأل نفسك ماذا يعني هذا الاصـطلاح ؟) وإذا ما اتضح أن ثمة مقال يتناول مسألة التحليل الاقتصادي ، هنا قد لا تبدأ القـراءة عـلى الإطلاق ، فإذا لم تكن ملماً بالمفاهيم التي تجعلك تشـعر بالثقـة بأنـه بإمكانـك تقيـيم مـا تسمعه أو تقرأه فإن دفاعك الوحيد هو أن تتوقف عن الاستماع ، كم مرة شعرت بالدونية لأنك تعرف أنك أعطيت صوتك لأشخاص وليس بناءً على تقيـيم ناضـج لسياسـة الحكومـة الاقتصادية والخارجية ؟

والأسوأ من ذلك خداع الذات حيث نسمي السياسات بأنها " اشتراكية " أو " رجعية " أو " إمبريالية " أو " انعزالية " ونحن نعرف في قرارة أنفسنا أننا نخفي جهلنا خلف تلك الكلمات.

لقد قضيت أكثر من خمسين عاماً من عمري في التدريس بالجامعة من كورنيل وميريلاند في أمريكا إلى كانتربري وأوتاجو في نيوزنلاندا وما أثار دهشتي هو وجود هذا العدد من الشباب النابه بالجامعات ومع ذلك نكتشف أننا لم نعلمهم كيف يفكرون بعد تخرجهم ، وبرغم عشرات المحاضرات والحلقات الدراسية وساعات التصحيح التي وهبتها لتلاميذي إلا أنني لا أعتقد أنني أعطيتهم عصارة خبرتي في الحياة ، إن هذا الكتاب يقدم لك 20 مفهوماً تمكنك من التحليل الناقد لكل ما تقرأه وتسمعه وتراه ، وبدونه فإن عقلك لن تتوافر لديه الآلية لتشكيل آرائك في الأخلاق والدين والتاريخ والاقتصاد والسياسة الدولية وحتى ما يجب أن تأكله .

أتمنى أن أكون قد كتبته بأسلوب شيق ومقبول ، ففي بعض الأحيان أتحدث كما لو كنت أوجه حديثا لأولئك المحبطين مما تعلموه في الجامعة ، وعلى أية حال ، لم يتجاوز بعض الناس الذين أعرفهم المرحلة الثانوية ولا يعتزمون تجاوزها ، ولو كنت أنت واحدا من هؤلاء فإنني لن أهملك في هذا الكتاب وإذا ما أصررت على موقفك لن تتوافر لك المعرفة العميقة أو الخبرة المتخصصة التي تتوافر لدى خريج جامعات مثل اكسفورد أو كامبريدج أو هارفارد أو برنستون أو تورونتو أو كوينز سيدنى وميلبورن أو أوكلاند واونتاجو ولكن سيكون بإمكانك أن تتفوق في فكرك على خريجي تلك الجامعات في تلك المرحلة الحرجة .

إنني أنشد المودة مع القارئ

سوف اطلعك في هذا الكتاب على رؤيتي في العالم المعاصر ، ولكن قد يصيبني الإحباط الشديد إذا ما تسببت في إحداث تغيير في تفكيرك فكل شخص لديه عقل

ناقد يتوصل إلى استنتاجات ترفضها عقول العالم المعاصر ، وهناك فرق بين الأدوات التصويرية التي تحتاجها لفهم العالم المعاصر وتضمين ما تتعلمه في رؤية شاملة ، ولقد أوصلني النقد الاجتماعي إلى آراء بشأن الاقتصاد السياسي أكثر ميلا إلى اليسار منها إلى اليمين وإلى الحكم بأن الأصولية الدينية وما بعد الحداثة هما عدوان للعلم وإلى تبني وجهة نظر بشأن العلاقات الدولية تفضل الدولية على القومية ، وقد يكون من الأمان " أن أخفي وجهة نظري الناقدة ، وما يجعل الأمر مثيرا هو أنه يعطيك في النهاية الثقة في قدرتك على رسم صورة للحالة البشرية التي يمكنك الدفاع عنها .

لو كان لدينا جميعا أدواتنا ، إذن لماذا نختلف ؟ فهناك معتقدات وقيم معينة تعتبر أكثر أهمية من التحليل ، فلنفترض أن هناك شخصين يتفقان على أن التصميم الذكي لا يمكن له أن يكون بديلا عن نظرية النشوء والارتقاء وأن الأدلة التقليدية على وجود الله غير صالحة فقد يكون لدى المرء إيمان شخصي يعتبره صادقا وآخر قد يعتقد أن الإيمان هو ببساطة مسألة تثقيف اجتماعي ولا يوجد واحد من المفاهيم العشرين ما يوحد بين هذين الشخصين بمعنى جعلهما شخصين لديهما الأدوات الأساسية التي يحتاجانها في تحليل سلوكيات السوق وكلاهما يتفقان على أن توفير المساواة الاقتصادية للجيل الحالي يعني نمواً اقتصادياً أقل في الجيل التالي ، ولا توجد أداة تصورية توحد بينهما إذا ما أعطى أحدهما قيمة للمساواة والآخر أعطى قيمة عظيمة للنمو المادي .

هناك حقيقة تستوجب أن تعرف كثيرا عن العالم المعاصر حتى يمكنك تحليل الأشياء ، فمعرفة كل شيء تعتبر انتقائية إلى درجة معينة وحتى لو كنت ذا علم غزير فإن المعرفة الجديدة قد تداهمك وتغير من آرائك ولنأخذ مثلا الافتراض بأن المساواة الكبيرة في الدخل والملكية تعوق النمو ، حيث كان هناك اختلاف بشأن ما إذا كان هذا حقيقيا بمعنى أن هناك استثناءات كبيرة مثل السويد وهي بلد على درجة كبيرة من المساواة وكذلك من النمو الهائل ، ولكن إذا لم تستطع أن تبين السبب في أن المساواة قد تزيد من النمو فإنه في هذه الحالة يكون لديك حجة

تستقيها من حقائق بينة يمكنك تفسيرها ، فالسويد قد تكون حالة خاصة وبلدا صغيرا وبها مهاجرون قلائل نسبيا وبها تنوع عرقي أقل ، وهذا لا يزيد عن كونه استثناء يثبت القاعدة .

وبعد أن أنهيت هذا الكتاب ، عثرت على بحث منذ عام 2006 أجراه كل من سام باولز وهو عالم اقتصاد أكن له كل الاحترام وأرجوم جايادیف ، فهما يذهبان أبعد من الحقائق الجلية لكي يوضحا السبب في أن عدم المساواة يمكن أن يعوق النمو ، وإن شئنا التحديد كلما ساد عدم المساواة في مجتمع ما زاد عدد الناس الذين يمتهنون حراسة الآخرين ، وهذا نوع من العمل يعمل ببساطة على تدعيم البناء الهرمي الاقتصادي بمعنى أنه حماية سلطة وامتيازات من يتربعون على القمة ومنع من يقبعون في القاع من تهديهم ، فمهنة حراسة الآخرين بالتالي تعتبر مهنة غير منتجة من حيث العمل على زيادة النمو .

يعتقد الباحثان أن 24% من القوى العاملة في أمريكا (وهي بلد يعم بها عدم المساواة) يمتهنون ذلك العمل والذي يتدرج من حماية الأملاك من الذين ليس لديهم أملاك (كالحراس وكاميرات الاستطلاع والاستعانة بقوات لقمع أي تمرد داخلي) إلى المشرفين الذين يقضون كل وقتهم للتأكد من أن العمال الأجانب يتصرفون حسب اللوائح والقوانين كما أنني أعتقد أن نسبة كبيرة من المهنيين ينضوون تحت مهنة الحراسة ولا ينطبق هذا فقط على المحامين والقضاة ولكن ينسحب على المحاسبين القانونيين وقيادات جماعات الضغط الذين يحمون مصالحهم التجارية المتنوعة .

من الواضح أن أمامي المزيد لكي أقرأه ، و الفكرة هي أن فهم أساسيات الاقتصاد (التي يقدمها لك هذا الكتاب) يعتبر متطلبا ضروريا عند اتخاذك القرار بشأن السياسة الاقتصادية ولكن هذا لا يكفي إذ عليك أن توسع قاعدتك المعرفية .

الآن أتمنى أن تكون راضيا عما يمكن أن يقدمه هذا الكتاب وهو عشرون أداة تسمح لك بمواجهة العالم المعاصر والبدء في تكوين رؤيتك الخاصة ، إن تسعين في المائة منه يمثل أهمية بالنسبة لأولئك الذين يرفضون وجهة نظري وكذلك

بالنسبة لأولئك الذين يؤيدونها وكل فرد سوف يكون أكثر قدرة على الدفاع عن وجهة نظره بعد قراءة الكتاب مما كان من قبل ، حيث سأقوم باستبعاد نقاط اللبس التي تعوق الفهم مثل الإيمان الساذج بالإيجار والسعر والتحكم في الأجور والتوجه نحو الطبيعة بحجة أخلاقية ورفض العلم باعتباره وجهة نظر من بين العديد من وجهات النظر الخ ..... . وأفضل شيء هو أن تكتسب الثقة التي تعتقد أنها طريقك في العالم المعاصر لا أن تكون تحت رحمته .

المفاهيم الدالة والمفاهيم المضادة

على امتداد قرن ونصف القرن أثرت الفلسفة والعلوم الاجتماعية والاقتصاد والعلوم الطبيعية على لغتنا بتزويدنا ببعض الكلمات والعبارات المدهشة ، كل منها تعبر عن طائفة من الأفكار المرتبطة ببعضها وتشكل في مجموعها طريقة للتحليل و قد أطلقت عليها " مفاهيم دالة " لأنها تتميز بأنها تجبرك على ممارسة التحليل الناقد .

ولقد وجدت خمسة عشر منها بالرجوع إلى ما كتب عن قضايا جدلية في الأخلاق والسياسة والعلوم ونظرية الذكاء واختلافات الأجناس في نسبة الذكاء ، والسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية وقليلا عن الاقتصاد وتاريخ الجماعات العرقية الأمريكية .

هناك مفاهيم أخرى تشبه من الناحية الشكلية المفاهيم الدالة ولكنها تعتبر بمثابة الذئاب في ملابس الحملان حيث يبدو أنها تقدم وسيلة للتحليل ولكن تلك الوسيلة لا تخرج عن كونها مجرد كلمات أو وسيلة خاوية لا فادة منها. ولقد أطلقت على تلك المفاهيم مسمى المفاهيم المضادة لأنها تعوق ممارسة التحليل الناقد وذلك من خلال تحقير العلوم لأن معتنقيها لا يحبون العلم أو يسيئون فهمه ، وسوف أضيف خمسة منها إلى الخمس عشرة مفهوماً الحقيقيين لكي أكون قائمة من 20 مفهوما ، وسوف أرتبهم بالترتيب الذي يظهرون من خلاله في الكتاب ،

وبالنسبة للمفاهيم المضادة تجدر الإشارة إلى أنها قديمة قدم البشرية ، أما المفاهيم الدالـة سوف اكتب تاريخ دخولها اللغة واستخدامها حسب قاموس اكسفورد في اللغة الإنجليزية.

العالمية (1785 : الفلسفة الأخلاقية)

إن أول من صاغ هذه القاعدة هو إيمانويل كانت حيث كان يعتقد أنهـا سـتحل كـل المشكلات الأخلاقية ولكن قام المفكرون المحدثون بتنقيتها وتقييد استخدامها وتقـول تلـك النظرية إنك إذا وضعت مبدأ أخلاقياً فعليك أن تدعمـه بالإثبـات المنطقـي إذ لا يصـح أن تمتدح الكرم في يوم وتذمه في يوم آخر (بدون الإشارة إلى اختلاف معين في الأحوال) إذ إن ذلك الصنيع يجعل من فكرك أمرا رتيبا إلا أنك سوف تدهش مـن أن ذلـك ينقـي الجـدال الأخلاقي ، فهو على سبيل المثال ، يضع العنصريين في موقف مستحيل إذ عليهم أن يعلنـوا أنهم بشر من درجة دنيا في حال تغير لون جلدهم إلى الأسود أو أنهم يتفوقون على السود في بعض السمات مثل الذكاء الذي يتطلب تقديم الدليل على عكس ما نعلن .

الرطانة

نحن نسيء إلى المنطق عندما نستخدمه لتقديم دفاع تدليسي عن شيء ما ، وهذا يتم أساسا بالاعتماد على اللغو المخادع والذي يقصد بـه العبـارات التـي يبـدو عليهـا أنهـا تدعم الحقائق ولكنها في واقع الأمر أبعد ما يكون عن الحقائق .

خذ مثلا الإدعاء بأن الاسكتلنديين ـ على عكس الإنجليز ـ هـم شـعب نبيـل وإذا ما وصفت اسكتلنديا بأنه كاذب وشرير قد يقال لك " إنه ليس اسكتلنديا حقيقيـا " ، إذن الإدعاء بأن الأخيار فقط هم الاسكتلنديون يعتبر إدعاء غير واضـح ، فكرامـة أيـة

جماعة يمكن الدفاع عنها وذلك بتعريف تلك الجماعة بأنها تستبعد الأشرار حيث لا يوجد أي عائق أمام خيرية الاسكتلنديين والذي يعتبر في واقع الأمر خداعا .

لقد استخدم كارل كوبر (1902 ـ 1994) مفهوم الزيف لكي يكشف عن إساءة استخدام اللغو ، فإذا قدم أحد الأشخاص إدعاء عن حقيقة ما ، عليك أن تسأله عن الدليل الذي يعارضه وإذا لم يقل شيئا فإن كلامه لا يعدو كونه كلاما فارغا ، ومن المغري أيضا أن نسيء استخدام مفهوم اللغو للإساءة إلى شيء ما حيث إن نظرية داروين في النشوء والارتقاء لها أعداء كثيرون .

ويقول المتحذلقون أنها عبارة عن لغو فارغ وسوف أبين مدى خطأهم كما أوجه خطابي إلى الأعداء السذج للنظرية وهم من يؤمنون بشيء اسمه التصميم الذكي .

المغالطة الطبيعية (1903) : الفلسفة الأخلاقية

يجب أن يكون المرء حذرا من الحجج المستقاة من الحقائق أو القيم ، فعلى سبيل المثال ، إن الحقيقة التي تقضي بأن الشنق لا يمنع جريمة القتل (إذا ما اعتبرت حقيقة) لا تعني أن عقوبة الإعدام خطأ ، وقد تكون لديك قيم على شاكلة " العين بالعين " والتي تجعل من الحقيقة أمراً غير فاعل .

مغالطة مدرسةالتسامح(2000 :الفلسفة الأخلاقية)

ربما سمعت شخصا يقول " لا تكن متشدداً فالتسامح فضيلة سامية", مما يجعل الوضع غريبا نظرا لأنماط السلوك التي لا نتسامح معها مثل التربح من البؤس الإنساني وهناك حجة سفسطائية تضفى على هذا التوجه نوعاً من الاحترام حيث تبين أنه من الواجب علينا أن نحترم القيم لدى أي شخص لأننا لا يمكن أن نوضح أن أية قيمة أفضل من أخرى وذلك يجعل من أية محاولة لتبرير ما لديك

من مثل أمرا مشكوكاً فيه ، ولقد ساد هذا الاتجاه في أعمال وليم جيمس وتبناه علماء الانثروبولوجيا مثل روث بينيديكت , كما يروج له الآن علماء ما بعد الحداثة الذين يعتقدون أنهم هم الذين أتوا به .

مضاد الطبيعة

يعتبر هذا مفهوماً مضاداً فإذا ما استوعبت السفسطة الطبيعية عن حق تولدت لديك مناعة ضدها ولكنها تستحق التحليل لأنها تسبب أذى كثيراً ، حيث إنك عندما تصف شيئا ما بأنه " غير طبيعي " فإننا نسبغ عليه سمة الخطأ بطريقة يفترض فيها أن تحجب البحث في نتائجه بما فيها النتائج المفيدة . إن الطبيعة لا تخبرنا بأن شيئا ما صح أم خطأ ، حيث لا توجه أية إدانة مثلا للمثليين جنسيا كما نفعل نحن .

العينةالعشوائية(1877 : العلوم الاجتماعية)

غالبا ما ينتاب الناس نوع من الشك في الاقتراعات لأن العينة عادة ما تكون صغيرة نسبيا، وهم في هذا مخطئون ، فإذا كانت العينة عشوائية حقا لا داعي لأن تكون كبيرة جدا فالعينة العشوائية هي تلك العينة التي يتم اختيارها بشكل دقيق طبقا للظروف المحيطة ، وإذا ما كان يبدو غريباً أن تكون تلك العينة ذات مصداقية فالبديل الوحيد هو التحيز, ففي عام 1936 أجرى جهاز المختار الأدبي اقتراعاً تليفونيا أظهر أن لاندون في طريقه للتغلب على روزفلت في الانتخابات الرئاسية ، إلا أنه في تلك الأيام كانت قلة فقط لديها أجهزة تليفون باستثناء الأثرياء وبالتالي أعطى غالبية الفقراء ممن لم يكن لديهم تليفونات أصواتهم لروزفلت مما جعله يكسب السباق بفارق هائل .

نسبة الذكاء (1912 : العلوم الاجتماعية)

قام الفريد بينيه في عام 1905 بنشر أول اختبار ذكاء حديث ، وفي عـام 1912 أدخـل عالم النفسي الألماني وليم شيترن مفهوم " نسبة الذكاء " الـ **IQ** " حيث تعطـي لكـل طفـل درجة معينة تبين ما إذا كانت ملائمة للأطفال الـذين ينتمـون إلى نفـس الفئـة العمريـة أو تعادل أداء الأطفال الأصغر أو الأكبر سناً ، وقد لا تكون اختبـارات نسـبة الـذكاء محببـة في أيامنا هذه إلا أنه يمكنني القطع بأنهـا لا تـزال تحـدد مصـير الكثـير مـن النـاس بـدءا مـن المحكوم عليهم بالإعدام إلى أولئك الذين يحتاجون بدلا للإعاقـة حتـى أولئـك الـذين نريـد تصنيفهم على أنهم موهوبون .

إن القليلين من العامة يفهمون مغزى الدرجة المتحصلة من اختبار نسبة الـذكاء كـما أن الضبابية بشأن قيمتها تعتبر عامـة تقريبـا . إن درجـات ذلـك الاختبـار لهـا قيمـة لأنهـا ترتبط بإنجازات ذات قيمة مثل الأداء الجيـد بالمدرسـة ، ولـكي تقيمهـا ، عليـك أن تـتعلم المقصود بمعامل الارتباط وهو الذي يقـوم عـلى مبـدأ يطلـق عليـه " العـودة إلى المتوسـط الحسابي " .

العلاج الوهمي (1938 : الطب)

إن مجرد إعطاء المريض حبة من السكر (مع اعتقـاده إنهـا ذات مفعـول) يعمـل في الغالب على تخفيض آلامه ، فلـيس لمسـألة العـلاح الـوهمي أيـة آثـار جيـدة غـير اعتقـاد المريض فيه ، وبدون فكرة العلاج الوهمي قد تتأثر السياسة الدوائية الرشيدة بفعل الرغبة البائسة من قبل من أصيبوا بالمرض .

تأثير الكاريزما (1922 : العلوم الاجتماعية)

عندما يتم تطبيق أسلوب معين من قبل مبدع أو عالم مفعم بالحماس فإن هذا الأسلوب قد ينجح لذلك السبب , حيث يشعر المرضى أو الطلاب أنهم تحت الملاحظة وبالتالي يستفيدون نفسياً كما أن الاثارة المتوفرة في المشروع تشجعهم على المزيد من النشاط .

المجموعةالضابطة(1875:العلوم الاجتماعية)

تعتبر تأثيرات العلاج الوهمي والكاريزما بمثابة حالات خاصة من المتغيرات المحيرة فالمتغير المحير هو أي شيء يؤثر سلبا على ما تحاول قياسه فنحن نقدم برنامجا أثرائيا يذهب فيه أطفال ما قبل المدرسة إلى مركز للعب مصمم لرفع نسبة الذكاء للأطفال الذين يقعون تحت خطر تصنيفهم متخلفين عقليا ، وطوال البرنامج نقوم باختبار نسب ذكائهم وذلك من أجل مراقبة تقدمهم ، ولنفترض أنهم وصلوا في نهاية البرنامج إلى درجات ذكاء أعلى .

يبرز سؤال : ما الذي أدى إلى رفع نسبة ذكائهم ؟

هل هو حقاً البرنامج التربوي ؟ أم هو كل الأمور الأخرى التي تم عملها مثل إخراجهم من بيئتهم الرديئة لمدة 6 ساعات كل يوم ، والغداء الذي يتناولونه في مركز اللعب بالإضافة إلى التعرض المتواصل لاختبارات الذكاء ، وكان السبيل الوحيد لإبطال أثر المتغيرات المحيرة هو استخدام المجموعة الضابطة وهو أن تختار مجموعة من نفس السكان وتخضعهم لكل شيء باستثناء البرنامج الإثرائي وحينئذ تحصل على الإجابة .

مغالطة عالم الاجتماع (1973:العلوم الاجتماعية)

تعتقدأحيانا أنك قد أجريت مقارنة عادلة بـين مجمـوعتين ولكـن الواقـع أنهـما غـير متطابقتين لأنهما جزء من مجموعة أكبر ، فعلى سبيل المثال نجد أن نسبة ذكاء المهنيين قد تناقصت من جيل إلى جيل وقد تفترض أن المهـن قـد فقـدت بريقهـا حيـث أن المتميـزين بدأوا يفضلون أعمالا أخرى ، وربما يتجاهل ذلـك حقيقـة أن النسـبة المئويـة للمهنيـين قـد ارتفعت بشكل هائل خلال الثلاثين عاما الماضية ، ويقال إنها تتراوح بين 10% و 30% مـن السكان ويلاحظ أن نسبة الثلاثين في المائة لا يمكـن أن يكونـوا متميـزين في نسـبة الـذكاء على الشخص العادي كما هـو لـدى نسـبة الــ 20% ولـذلك فـإن التـدهور في نسـبة ذكـاء المهنيين قد يرجع إلى ظاهرة أن المزيد من الناس يريدون أن يكونوا مهنيين .

إن هذا النوع الخاطئ من المطابقة بين المجموعـات مـن أجـل المقارنـة يطلـق عليـه سفسطة عالم الاجتماع والتي تعتبر أمرا غير عادل لأن علماء الاجـتماع أكـثر وعيـا بهـا مـن معظم الأكاديميين .

النسبة المئوية (1860 : رياضيات)

قد لا نصدق أن هذا المفهـوم المهـم قـد أخـذ طريقـه إلى الاسـتخدام في مجـال التعليم منذ أقل من 150 عامـا ، ويعتـبر مفهـوم النسـبة المئويـة مـدخلا للمفـاهيم المرتبطة ارتباطاً وثيقا بمفهوم المعدل والنسبة ، وقد حدث جدل في نويوزيلانـدا منـذ فترة قريبة بشأن إمكانية تداول أحد عقاقير منع الحمل الذي يـؤدي إلى وفـاة بعـض النساء حيث تبين أن نسبة الوفيات جراء هذا العقار ارتفعت إلى 50 لكـل مليـون أو 0.005 في حين تصل النسبة بدونه إلى 1000 حالـة إمـا إجهـاض قاتـل أو وفـاة أثنـاء

الولادة ، وكان من المدهش أن عددا كبيرا من الصحفيين أحجموا عن أخبار جماهيرهم بأنه عقار " خطير " .

السوق (1776 ـ اقتصاد)

لقد تغير هذا الاصطلاح بسبب آدم سميث من مجرد اسم محسوس (أي مكان يمكنك شراء ما تريده منه) إلى اسم مجرد (قانون العرض والطلب) هذا بالإضافة إلى أنه يفسح المجال لتحليل أعمق لعدد من القضايا العددية ، فإذا ما جعلت الحكومة التعليم مجاناً فإنها يجب أن تستعد للمزيد من المتقدمين وإذا ما وضعت حدا أدنى للأجور فسوف يجد أصحاب الأعمال أن كثيرا من العمال غير المهرة يطلبون أجورا عالية وبالتالي فإنهم يستبدلونهم بآلات تتطلب عمالا مهرة لتشغيلها ، ولا يعني هذا أن تشريع الحد الأدنى للأجور عمل خاطئ ولكن المقصود هو أنه يجب أن تكون له مزايا تفوق نتائجه غير المرحب بها .

الحقيقة هي النص

صاحب هذه العبارة هو جاك ديريدا (1930 ـ 2004) وهي تلخص مبدأ مناهضة العلم في عصرنا الحالي ، إن من يستخدمونه ليسوا متحمسين لأن يبينوا معناها لأن معناها الصريح سخيف وهو أن الكون المادي هو عبارة عن لوح خالي يمكن أن نسجل عليه ما يحلو لنا من تفسيرات شخصية ولقد تم تفنيد الدليل بأن كل النظريات تتساوى في كونها تفسيرية أو غير تفسيرية بشكل متساو في كل مرة يرتدي ديريدا نظارته حيث إن نظرية البصريات تفسر سبب عملها ولا يوجد شيء آخر يقوم بهذا العمل .

إن هذا الدليل يصرفنا عما يفعله العلم الذي يفسر العالم الحقيقي ويأخذنا إلى اتجاه يتم فيه تصنيف الأنواع المختلفة من النصوص التي نفرضها على العالم ، ففي أحسن الأحوال لا يقوم إلا بنسخ الفروق التي تسوقها فلسفة العلم التي تحرص على التركيز على أن بعضا من هذه النصوص يتضمن الحقائق التي تدعمها الأدلة (علم الطبيعة) في حين لا تتضمن نصوص أخرى أية حقائق (الفئات المتعلقة بعلم الجمال) ، إن ذلك يشوه تلك الفروق ويؤكد على أنها مجرد أمور شخصية كما لو كان النص المتعلق بدليل تليفونات حديث لا يزيد في قيمته عن دليل تليفونات قديم لأنه يخبر بحقيقة شيء ما وهي أرقام التليفونات التي لدى الناس بالفعل , و إذا كان كل هذا يبدو سخيفا فإنه ليس ذنبي .

التاريخ البديل

يقود الدليل المضاد إلى دليل مضاد آخر فإذا كان سرد تاريخ الفضاء الطبيعي أمرا شخصيا ، إذن لماذا لا يعتبر تاريخ مختلف الناس شخصيا ؟ كما أن الدقة السياسية تعطي هذه الفكرة مزيدا من الزخم حيث لا معنى في أخبارك لشعب بدائي ليس له علاقة بالعلم أن الأسلوب العلمي في تناول ماضيهم له قيمة أكثر من الأساطير التي يؤمنون بها ، فالأساطير ليست تاريخا يعتد به على الرغم من أن المؤرخ الحقيقي قد يجد شيئا دقيقا فيها فكل شعب لديه تاريخه الخاص به ولكن الأساليب التي تكشف عن حقيقة ذلك التاريخ واحدة .

العلوم البديلة

يثير هذا الدليل المضاد نوعا من البلبلة لأنه يبين أن طبيعة العلم تختلف تبعا لشخصية من يقوم به (العلم الذكورى العلم اليهودي) ، وفي الواقع هناك طريقة

علمية واحدة وهي فهم الكون والسلوك الإنسان باستخدام النظريات والتنبؤات القائمة على تلك النظريات ومحاولات إثبات زيف تلك التنبؤات .

إن ممارسة العلم يشوبها نوع من العوار مثلها مثل أية محاولة بشرية بمعنى أن اهتمامات وأهواء العلماء لا تؤثر على المشكلات التي يتناولونها والنظريات التي يفترضونها والأدلة التي يجمعونها ، وعلى أية حال ، يعتبر علم مضادات السموم علما جيداً وليس مجرد ادعاءات فارغة لا تنتهي بأن العلم عمل شخصي ، كما أن النازيين يتحدثون عن علم الطبيعة لدى اليهود كما لو كان علماً دب فيه الفساد بطريقة ممنهجة ، كلا إنه ليس كذلك بل هو ببساطة علم الطبيعة وفي الغالب هو علم جيد جدا قام به اليهود .

ولقد تحدث بعض من أنصار الحركة النسائية عن العلم الذكوري كما لو كان العلم النسائي هو البديل الأفضل ، ففي الواقع ليس هناك مجال لوجود هذا البديل على الرغم من أن بعض النساء يتفوقن على الرجال في العلم .

التصميم الذكي

يحاول هذا الدليل المضاد استخدام الله (أو الآلهة) في تفسير ما نراه في الكون الطبيعي بشكل عام وفي العديد من الكائنات الحية على الأرض على وجه الخصوص ، وباعتبار ذلك دليلا على وجود الله لا يمكن الاعتراض عليه مثل باقي الأدلة الأخرى ، فعلى سبيل المثال دار حديثا نقاش حول ظروف تحول الكون إلى شيء مثير (كالمجرات والكواكب والبشر) وأن هذا يتطلب قوانين على قدر كبير من التوازن لدرجة أنه لا يمكن اعتبارها من قبيل الصدفة ولكن وضعها خالق ذي قدرة لا نهائية من الإبداع ، وعموماً فإن التصميم الذكي كبديل لعلم الأحياء التطوري يعتبر أمرا محدثا لنتائج عكسية حيث يبدو عليه أنه طريقة لاستكشاف الطبيعة التي غالبا ما تبوح بأمارات على النظام وضعها خالق عليم ، وهو لا يضيف في الواقع أي شيء إلى معرفتنا عن الطبيعة إذ عندما يعجز العلم عن تقديم تفسير واف لشيء ما فإننا لا نزيد عن ترديد القول المأثور " لقد خلق هكذا " .

المصلحة الوطنية (1948/1939: العلوم الاجتماعية)

إذا أردت أن تفهم سلوك شخص ما فإنك تسأل نفسك ثلاثة أسئلة على الأقل... ماذا تفرض مصلحته الذاتية ؟ ... هل يسعى دوما وراء مصالحه؟ ... أو هل يتقلب بين الصداقة والعداوة وفي أحيان أخرى يغير من تصوره عن ذاته؟ ـ ربما كان يعتقد أنه فاضل أو ذو علم غزير أم كلاهما ، ويلاحظ أن النظريات الحديثة في العلاقات الدولية تسأل نفس الأسئلة عن الدول ولكن لديها ميل لأن تقدم سؤالا واحدا على حساب الأسئلة الأخرى .

لقد كانت بداية ظهور مفهوم المصلحة الوطنية مع ظهور كتاب كار (1939 ـ 2004) بعنوان " أزمة السنوات العشرين وكذلك كتاب مورجين توز (1948) بعنوان " السياسة بين الأمم " ، ولقد أيقظ الكتاب الثاني بعض الحنين لأنني درسته في جامعة شيكاغو في عام 1952 ، وكانت النظرية التي كان رائدا فيها تدعى " الواقعية " لأنه كان يؤمن بأن السياسة الخارجية الرشيدة تقوم على مراعاة المصلحة الوطنية مع الأخذ في الاعتبار حقائق توازن القوى .

إن إضعاف أمتك بدواعي تحقيق أهداف الآخرين أمر غير مسئول ومثالية ممقوتة ، فالواقعية السياسية لم تحتكر في يوم من الأيام نظرية العلاقات الدولية بفضل المدرستين المتنافستين التاليتين .

الُلحمة الوطنية (1917/1839) العلوم الاجتماعية

الليبرالية هي نظرية تقول بأن القوة النسبية للأمم تنبئ بقدر أقل مما لو كان هناك أو لم يكن هناك نوع من التشابه بين بعضها البعض بمعنى أن تكون هناك ثقافة مشتركة أو معتمدة اقتصاديا على بعضها البعض أو أن جميعها لديها حكومات ديمقراطية ، ويشار إلى أن دعاة الواقعية الأوائل قد أطلقوا على هذا النوع

من المثالية " المثالية الويلسونية " حيث أرجعوها إلى وودرو ويلسون ـ الرئيس الأمريكي الذي كان مهندسا لعصبة الأمم بنهاية الحرب العالمية الأولى .

الشخصية الوطنية (1989 :العلوم الاجتماعية)

تقول نظرية البنائية بأن لكل دولة شخصية وطنية متفردة تتشكل بفضل إحساسها بنفسها ـو قيمها ،و أخلاقها ، وثقافتها ومؤسساتها وتاريخها ، ولقد صاغ نيكولاس أوناف هذا المصطلح في كتابه " عالم من صنع أيدينا " في عام 1989 ويضم ثلاثة مدارس لنظرية العلاقات الدولية ولأن كل واحدة من هذه المدارس له نصيب من الحقيقة ، فإنه يبدو غريباً عدم اندماجهم في نظرية واحدة بل لا يمنعك شيء من استخدام مفاهيم النظريات الثلاث الأساسية للوصول إلى فهم حقيقي لكيفية تصرف الأمم .

مربع 1

يلاحظ قراء كتابي" ما المقصود بالذكاء : ما يفوق تأثير فلين" (فلين, 2007 /2009 بعض التغيرات في بعض المختصرات , حيث ما كنت أطلق عليها **(ANTI-SHAs)** , و **(SHAs)**أطلق عليها مفاهيم دالة و مفاهيم مضادة

لقد أطلقت على هذه الأفكار العشرين " المفاهيم الدالة " لأنها تعرفنا بالمفاتيح التي تفتح الباب نحو فهم أفضل للعالم الحديث بالإضافة إلى المفاهيم المضادة التي لا تفعل شيئا غير أنها تنشر البلبلة (انظر جدول (ـ1) .

مع التسليم بأنني تحدثت عن الحاجة إلى المعرفة واسعة النطـاق فإنـه يبـدو غريبـا الحديث عن شرك المعرفة ، وسوف أوضح مـا أقصـد باسـترجاع خـبرتي في جامعـة شـيكاغو التي تتباهى ببرنامجها الذي يضم كتبا عظيمة, تلك الكتب التي أطلعـت الطـلاب جميعـا على الفلسفة والتاريخ والعلوم الطبيعية والإنسانيات إلى آخره وكان لـدى هيئـة التـدريس بها فكرة متكاملة عما يجب أن يعرفه الشخص المتعلم وتبنوا منهجاً يحول دون التخصـص المبالغ فيه .

فالمحاضرون كانوا على دراية تامـة ومتأكـدين مـن أن الطـلاب علـيهم التعـرف عـلى المفاهيم التي يحتاجونها في مكان ما من خلال المقررات التي يدرسونها ، وعلى الـرغم مـن كل ذلك ، فقد فشلت هذه الجامعة في ان تعلم طلابها بالشكل الملائم .

تكمن المشكلة في أن كل محاضر يتلهف لنقل المعرفة وبالتـالي فـإن المفـاهيم الدالـة تضيع في خضم هذا الزخم من المعرفة ، واعترف بأنني مذنب أيضا إذ عندما أقوم بتدريس مقرر الفلسفة الأخلاقية والسياسية فإنني أقوم بمناقشة مثالب اللغو والسفسطة الطبيعية ، ولكن هناك الكثير من الأمور الرائعة التي يمكـن تدريسـها عـن نظريـة البقـاء أو نظريـة المعرفة ، أو علم النفس أو نظرية الطغيان عند أفلاطون ، ثم يأتي بعد ذلك أرسطو وهـوبز وماركس ونيتشه ، وقـد يقـوم زميـل بتـدريس التـاريخ مـع التركيـز عـلى مـا يميـز التـاريخ الحقيقي عن الخرافات والعادات المتوارثة كما يجب أن نشير إلى أن هناك أحداثا جسـيمة أدت إلى الحرب العالمية الأولى وكيف أن النظـام الطبقـي قـد عمـل عـلى تشـكيل التفكـير الاستراتيجي وجعل حياة الجنود العاديين رخيصة ولماذا لم يكتب الاستمرار لعصـبة الأمـم , وفي حالة طلبك من تلاميذك أن يدونوا وأن يحفظوا المفاهيم الدالة كما تقدمها لهم واحدا تلو الآخر ، فإنهم لن يذهبوا بعيدا عن محتوى المقرر المطالبين بـه في الامتحـان ، حيـث لا تظهر المفاهيم الخاصة بمقرر ما في المقرر الذي يليه كما أن المفاهيم التي يدرسها الطالـب في سنة معينة لا وجود لها في السنة التالية ، وبالتالي يتعين عـلى الطـلاب أن تكـون لـديهم

مفكرة بالمفاهيم الدالة يحتفظون بها ويرجعون إليها ويضيفون إليها في حالة ما يجدون مفهوما جديدا ويحافظون عليها طوال مدة دراستهم . إذن ما الذي يضمن هذا ؟ الإجابة ببساطة هي أنه يجب على كل قسم أن يقدم قبل تخرج الطلاب مقررا مدته فصل دراسي واحد يركز على المفاهيم ويوضحها لنا .

" البديل للمفكرة "

يعتبر هذا الكتاب بديلا للمفكرة التي لم تحتفظ بها في المدرسة أو الجامعة حيث تنقسم المفاهيم إلى خمسة مجموعات : تلك المرتبطة بالفلسفة والعلوم الاجتماعية والاقتصادية وطبيعة العلوم والسياسة الدولية وسوف تقدم الفصول الثمانية عشر القادمة تلك المفاهيم بنفس الترتيب وفي النهاية سوف تكون لديك مجموعة جيدة ولا شك في أن المفاهيم العشرين التي اخترتها تعكس قدراتي ، فإذا ما كنت أعرف المزيد عن البيئة كنت قد أضفت مفهوم " جايا" (المفهوم الذي يبين أن الأرض كيان حي متكامل) ، ولكن دع الآخرين يكتبون كتبا مماثلة ولنعتبر العشرين مفهوما بداية جيدة .

الجزء الأول

الجدل حول الصواب و الخطأ

(2)

المنطق والجدل الأخلاقي – مناهضة السود

المفهوم الدال: 1 – العالمية : يوضح المنطق كل أنـواع الجـدل لكـن دوره فى الأخـلاق غالبـا مايُغفل ويُهمل وهذا أمر يدعو للأسف لأنه يمكن أن يكون سلاحا ذا فاعلية كبيرة

نظرة عامة تمهيدية : المنطق ودور القابلية للعالميـة , السـود وسـواد الـبشرة . لمـاذا يتعـين علينا أن نأخذ الأمور الافتراضية بشكل جدى , الإجهاض وشعاراته , يرقات البعوض .

تتكون الاخلاق من الحكم على مايجـب أن يكـون عليـه سـلوك الاخـرين وكيـف يجب أن تتم معاملتهم والتسـاؤل عـما إذا كانـت الأحكـام التـى يصـدرها الفـرد متسـقه بشكل منطقى مع بعضها البعض أم لا , وهذا قد يضع الانسان فى موضع الدفاع عن نفسه ويطلق الفلاسفة عـلى هـذا الأمـر قـانون العالميـة الشـمولية وبعـض الفلاسـفة يحـاولون استقراء ماهو أكبر من الاتساق المنطقى وهذا بدوره يؤدى الى جدال , وأنا بـدورى سـوف أتجنب مثل ذلك الجدال عن طريق عدم المجادلة من جانبى .

السود وسواد البشرة

يزعم العنصريـون التقليـديون أن كـل السـود (أو اليهـود أو حتـى البـيض) يجب أن يعاملوا كأفراد دون المستوى ويجب ألا يتحرروا من العبودية ، إذ ليس لهـم حق التصويت فى الانتخابات , وليس لهم حق المطالبة بحرية التنقل , كما لايحق لهـم الزواج من الشريك الذى يرغبون فيـه, وهكـذا يبـدو السـؤال الأول الـذى يتبـادر إلى

الذهن هو لماذا ؟ وهذا يدفعهم إلى اعتناق ما يسمى بالقياس المنطقى , وهم بهذا يكـون لديهم خيار أعنى إما أن يتمسكوا بسواد البشرة أو أن يحددوا أية سمة إنسـانية جيـدة لايتحلى بها السود . ولنفترض الأخذ بالخيار الأول:

المسلمة الرئيسية : كل من يمتلك بشرة سواء لايحق له التصويت فى الانتخابات

المسلمة الثانوية : سبع وثلاثون مليون أمريكى لديهم بشرة سوداء

الاستنتاج : هؤلاء الأمريكيون لاحق لهم فى التصويت

إذا اختار العنصريون هذا الخيار فيمكننا أن نطرح هذا السـؤال , مـاذا سـيقولون إذا تحول جلدهم إلى اللون الاسود بسبب جرعات دوائية وضـعت فى طعـامهم أو بسـبب ملوث موجود فى صنابير المياه . وهذا بالطبع مطلب من أجـل الاتسـاق العقـلى , وبالتـالى يجب أن يكون ردهم إيجابيا أو سلبيا .,و قد نتعلم الكثير من الرد بالإيجاب, ويشار إلي أن العقوبة سوف تكون نافذة , فإذا قلت إنه يجـب أن أعامـل بشـكل سـيئ لأننـى ببسـاطة أسود , فإن هذا يبدو رغبة بطولية للتضحية من أجل المبادىء التى يعتنقها الفـرد , فهـي في الواقع تقلل من شأن المبادئ الاخلاقيـة التـى يعتنقهـا الفـرد حيـث تقـول إنـه يجـب التضحية من أجل شىء مناف للعقل أعنى لون البشرة الذي يلغى السمات الشخصية التى تُتخذ كمعيار محدد للإنسان . و يشار إلى أن هتلر لم يخبر الألمان أنهم الأعلى شـأنا وقيمـة ببساطة لأنهم بيض البشرة أو لأنهم ينتمون إلى الجنس الآرى ولكن أخـبرهم بـأنهم الأكـثر إبداعا وشجاعة وتمكن عن الباقين.. تخيل أن خطيبا نازيا يحدث جمهوره من الألمان قـائلا لهم إنهم يستحقون أن يُحكموا من قبل الأفارقـة فقـط بسـبب ان الجنسـين قامـا بتبـادل ألوان جلودهم.

تحيل أن ناقدا أخبر القراء أنه يجب علـيهم تجنـب كتـاب لأنـه ذو غـلاف أبيض, و اليوم التالى يخبرهم بفعل العكس لأن الطبعات الجديـدة لـنفس الكتـاب قد غيرت الألوان.. حتى العنصريين أنفسهم سيتوقفون عن القراءة لمثل هذا الناقـد فى مقابل القراءة لناقد ينـاقش الحبكـة الشخصـية والحـوار والاسـلوب ,و إذا سـلم العنصريون بأنه من العبث تجاهل سمات الشخص الروائية وإلا أصـبحت القـراءة

الجيدة على المحك , فيمكننا القول هل بإمكـانهم التأكيـد بجديـة عـلى أنـه يجـب إغفـال سمات الأفراد الحقيقيين عندما يكون المحك هو من يمتلك الحق فى الحياة المحترمة ؟

و لهذا السبب يميل العنصريون الـذين ينتمـون للعـالم الـواقعى إلى الخيـار الثـانى ويصرحون بأن هناك ارتباطا بين اللون والسمات الشخصية المحتقرة:

المسلمة الرئيسية : الأفراد ذوى العقول والشخصيات غير الناضجة بشكل دائم لايحق لهـم التصويت فى الانتخابات.

المسلمة الثانوية : كل الأفراد السود غير ناضجين بشكل دائم.

الاستنتاج : كل السود لايحق لهم التصويت.

طالما أجبرهم المنطق على دخول العالم الحقيقى والدفاع عـن افتراضـات حقيقيـة فإن التزييف بالدليل يأتى بشكل آلى ,و يمكننا الإشارة الى آلاف مـن الأمثلـة المقابلـة أمثـال آلاف من السود العباقرة والموهوبين بدءاً من جـوردن بـاركس (المصـور العظـيم , الملحـن والمؤلف والشاعر) وصولا إلى باول ربنسون (ممثل أعمال شكسبير والخطيب المفوه بعدة لغـات) وكـذلك تومـاس سـويل (العـالم فى تـاريخ الأعـراق) وكـذلك فـرانكلين جوليـوس ويلسون (العالم الاجتماعى)و أخيراً فريد ريك أولمستد الذي سافر إلي الجنـوب الامـريكى قبل الحرب ، و وجد قوانين ضد تعليم السـود مسـتندة عـلى أن السـود لـيس فى إمكـانهم التعلم, مثلهم مثل الحيوانات أو المجـانين . هنـا تسـاءل , لمـاذا إذن لاتوجـد قـوانين عـلى الكتب تمنع الناس من تدريس الحيوانات والمجانين كيفية القراءة ؟

قد يبدو أن أمام العنصريين خيارا ثالثا , أعنى إعادة صياغة لمبادئهم من أجل إنقاذ الاتساق المنطقى , فقد يقولون " هؤلاء المولودون فى الساعة السادسـة مسـاء فى الثامن والعشرين من ابريل عام 1934 مستبعدون وهذا يصادف يـوم عيـد مـيلادى " الفلاسفة يخترعون مثل هـذه المراوغـات مـن أجـل إظهـار حـدود المطالبـة بالاتسـاق المنطقى , وهم لاينكرون أنه إذا أصدر الفرد حكـما اخلاقيـا فإنـه يجـب تطبيقـه على كل المواقف التى لها نفس الشروط والحالات لكنهم يقولون كيف يتسنى لنا

الإجماع أو الاتفاق على الحالات ذات الصلة لأخلاقيَة ؟ هذا العنصرى يقول إن تاريخ ميلادى وثيق الصلة بالموضوع ويمكننا أن نتخيل عددا لاحصر له من التحسينات لأى مبدأ أخلاقى لأجل الهروب من تهمة عدم الاتساق . كيف يتسنى لنا حصر كل هذه التحسينات؟

إن مثل هذه الأشكال المحسنة هى التى تعد غير ذات صلة بالموضوع حيث إنه ليس على الفلاسفة الاكاديميين بل على العنصريين أن يحاولوا التهرب من تهمة أنهم تعوزهم المبادئ المتسقة فهم لايعيرون أى اهتمام للمنطق مالم يجعلوا أحكامهم الأخلاقية متسقة , فإذامدح شخص ما الكرم ثم قال إن جارته (التى ربما لاتروق له) شريرة على الرغم من أنها تغدق الأموال على أصدقائها المحتاجين ، أكون فى هذه الحالة محتاجا إلى تفسير .حيث اعتقدتُ أنك تعلي من قدر الكرم في حين أنك تدين شخصا كريما , فما هى مبادئك الاخلاقية التى تستند اليها ؟ أنه لابد أن يجيب على هذا السؤال قائلا : " آه لو كنت تعرفها لكنت فهمت أنها ينقصها دافع الكرم وهى تعطى لاصدقائها فقط كى يظلوا مدينين لها ",و بعد أن اكتشف أن جارته تعطى من أموالها الكثير للأعمال بشكل لايفصح عن شخصيتها . هل يجب عليه أن يقول " لكنها ولدت فى الثامن والعشرين من ابريل عام 1934 ، وهذا لايؤهلها للتصديق على أخلاقها واستحسان خلقها.

حسنا ، يمكن قول مثل هذه الأشياء دون خرق لأى قانون من قوانين المنطق , لكنني الأن أعلم أنه لايأخذ مبادئه المعلنه مأخذ الجد وإذا كان لايأخذ مبادئه مأخذ الجد فكيف يتسنى للأخرين تقدير أو احترام مبادئه ؟ فى الحقيقة لا العنصريون ولا أى شخص يؤمن بمبادئهم سوف يقلل من شان هذه المبادئ عن طريق عكسها أو تغييرها بطريقة تظهرهم وكأنهم لايتعلقون بمثل هذه المبادئ .

أخذ الافتراض مأخذ الجد

يصدق نفس الشيئ بالنسبة لأخذ المبدأ مأحذ الجد , فالناس الذين يعيشون فى مجتمعات ماقبل العلم قد يكونون بسيطى التفكير لذا يقولون " لكن جلدى لم

يتحول إلى اللون الاسود وربما لن يتحول أبدا " ومع ذلك فإنه مع رفض تعميم مبادئهم لتغطية المواقف الافتراضية فإنهم يخدعون أنفسهم بفرصة تحديد ما إذا كانت مبادئهم خليطا من الأحكام الاخلاقية غير المتسقة أم هى نظام اخلاقى متسق , أن تحتكم ببساطة إلى الأخلاق المتعارف عليها وأن ترفض تعميم هذا فذلك يعد رفضا لاستخدام العقل , وهذا يعنى أنك لايمكنك الدخول فى حديث عقلانى ,و فى العالم الحديث حيث يزداد عدد االعقلاء , يصبح ثمن اختيار الجدل الأخلاقي شخصيا وسياسيا, فإنت تعمل طبقا لمبادئ ربما تغيرها بعد تفكير , و بالتالي تقدم مبادئ أخلاقية متناقضة للآخرين.

الإجهاض وشعاراته

إن تحويل الشعارات إلى قياس منطقى عملى قد يدفع الكثيرين إلى إعادة النظر فى مواقفهم تجاه أخلاقيات الإجهاض ,و غالبا ما تستخدم الأطراف المعارضة لغة تحجب وجود المبادى الاخلاقية , خذ فى الاعتبار هؤلاء المناصرين لحق الحياة والذين يقولون إن الإجهاض يعد بمثابة قتل , لا يعد هذا من قبيل المعلومات الكافية لان " القتل " يعنى إزهاق الروح ظلما والمناظرة كلها تدور حول ما إذا كان الإجهاض إزهاقا للروح ظلما لتقديم الفكرة بشكل منطقى : فنحن نقول :

االمسلمة الرئيسية : بعض أنواع القتل خاطئة

المسلمة الثانوية الاجهاض هو نوع من القتل.

الاستنتاج : الاجهاض أمر خاطئ .

ان المنطق لا تشوبه شائبة ، لكن خذ على سبيل المثال ، تعتبر بعض الممارسات جائرة ، الاجهاض هو هذا النوع من الممارسات ، لذا فالإجهاض جائر ولا يجوز. المسلمة الثانوية تصف الإجهاض بطريقة تجعله محل جدال, وعليه عندما يقول شحص ما لماذا يعتبر الإجهاض قتلا جائرا وظالما فحرى بنا أن نقول إن قتل النفس الانسانية البرئية أمر غير مقبول و لا يجوز قتل نفس بشرية بريئة ولذا فإن الإجهاض لا يجوز .

لو أنكرنا المبدا الأخلاقى الذى تقوم عليه المناقشة ، فسوف نسال هل نسلك المسلك نفسه فى موقف افتراضى شبيه فاذا ما كان الإجهاض فيه منفعة للأم هل نسمح لها بقتل أو إنهاء حياة طفل دخل فى غيببوبة تستمر تسعة أشهر ، وهذا من شانه أن يمهد لحوار أخلاقي حقيقي, فهولاء الذين يعتقدون أن الاجهاض جائز ولا شى فيه قد يردون مستخدمين الشعار الذى ينادى بأن المرأة لها الحق فى التحكم بجسدها وهذا يتضمن التفريق ما بين الجنين فى رحم الام والطفل الذى يتمتع بوجود مستقل ، وسوف يكون الرد هو نعم إنه كذلك ، لكنه حق تدحضه الكثير من الاعتبارات الأخلاقية الجوهرية . ماذا اذن ، بدون إجهاض ، يمكنك إنقاذ حياة مولود سوف يتعرض لغيبوبة لمدة تسعة أشهر ,إن هذا أمر بعيد الاحتمال ، لكن التحدى الحقيقي هو. مع وجود نفس بشرية على المحك ، هل تعتقد حقيقية أن وجود الطفل داخلك أوخارجك قد يشكل أى فرق حاسم .

هذه ليست حجة لايجوز الرد عليها, و الرد القاطع هو : تخيل أنك (والآن أتوجه بالسؤال للذكور والإناث على السواء) متفرد بحيث تنقذ حياة غريب مجهول ولكنك قد تفعل ذلك مقابل ثمن معين, فقد تاتي بشكل يومى كى تخضع لعملية نقل دم لمدة تسعة أشهور قد يجعلك هذا التصرف تتقيأ معظم وجباتك الثلاث كما أن معظم نشاطاتك العادية سوف تقل بشكل متزايد وفى النهاية سوف تخضع لعملية ترميم في العظام وهى عملية مؤلمة وقد يكون هناك احتمال لأن تفقد حياتك., وفي حال قيامك بكل ذلك قد يكون هناك شخص غريب اخر فى وسعك أن تنقذه بشكل استثنائى وتحت نفس الظروف.

لم تصل المناقشة إلى نهايتها ، لكنها على الأقل تعد مناظرة أخلاقية حقيقية . وبدلا من الاستمرار أريد أن أطرح نقطة جديدة للمناقشة (لكنك وافقت علي سبيل المثال على مساعدة مثل ذلك الغريب , وماذا عن الاغتصاب ؟) هناك خطر في اتخاذ موقف قوي فى مناظرة ما, مما ينتج عنه تبنيك لمبادئ مبنية علي اعتقاد سيئ.

يؤمن قليلون بالحق في الإجهاض و يشعرون بالراحة فى قولهم إنه حق كامل يستمر دون تغير حتى لحظة الولادة والعديد يوافقون على الحق المطلق فى الإجهاض عند الحاجة فى الثلاث شهور الأولى للحمل ويعتقدون أن الأسباب الوجيهة يمكن الافصاح عنها فيما بعد و ربما الهجر من قبل أب المستقبل قد يكون سببا وجيها حتى الشهر الثامن ، ولكن بعد ذلك ، هناك خطر حقيقى على الصحة ,وفى النهاية قد لا تريد الأم تربية الطفل ، و قد تجد من يريد أن يتبنى الطفل, كما أنه ليس من السهل الدفاع عن إنهاء حياة إنسان ما لأنه يزعجك أن تفكر فى طفلك وهو يعيش فى مكان آخر بعيد عنك .

وللخروج الآمن من هذه المعضلة علينا أن نصدر قانونا أو مبدأ أخلاقيا : و هو أن للمراة الحق المطلق فى إجهاض نفسها حتى الفترة التي يكون فيها الطفل قادرا على الحياة بدون التعرض لخطر الإعاقة خارج الرحم ، هنا يجب تقديم العديد والعديد من الأسباب لذلك فإن اكتشاف رحم صناعى فاعل قد يحل المشكلة فاذا تسنى للجنين ان يعيش شهرا خارج الرحم ، هل هذا يعنى أن المراة ليس لها الحق فى التحكم فى مصيرالجنين ؟ اذا استطعت أن تجيب فإن هذا بالضبط هوما أعنيه ، مع كل الاباء الذين يريدون التبنى – يجب أن يستخرج الجنين و أن يبقى حيا ولا يهم ما تتمنناه الأم فانت تتمتع بحسن النية إذا اعتقدت أن هذا يعد تعديا على حق المراة فى الاختيار فهذا يظهر أنك اخترت معيارا ما ببساطة لأنه يناسبك ولكنك لا تؤمن به حقيقة إذ يجب أن تكون جادا بشأن مبادئك الأخلاقية قبل أن تظهر مكونك الحقيقى .

النساء والأنوثة

الذين ينكرون على المراة حقها الكامل أو دورها الكامل فى المجتمع الحديث لا يعلنون صراحة مقولة (أنا أكرة النساء) إنهم يدركون أن هذا يعد بمثابة إفلاس ولا يُقبل كسبب أو مبرر للمعاملة المتفاوتة ، ولذا فهم يؤكدون على وجود

ارتباط ما بين الأنوثة والسمات الشخصية والتى بدورها تبرر المعاملة المتفاوتة وهذا يعنى أنهم يطبقون قاعدة العالمية ولكن فقط مع دفع التكلفة العادية و هي أن يدافعوا عن ارتباطهم بدليل يفيد العكس كما أوضح راسل ، يحب ان يساووا بين الأنوثة ونوع من الأمراض المستعصية.

لا يجدي وجود فروق إذات دلالةحصائية بين الجسنين مثل أن الرجال يستطعون أن يحملوا أثقالا أكثر من النساء فإذا كانت الوظيفة تتطلب قوة يجب أن يتم توظيف من كان قويا بغض النظر عن نوعه (كونه رجلا أو امراة) ولو كان هناك تأكيد على أن النساء بطبيعتهن ضعيفات ويحتجن إلى الحماية من أزواجهن فدعهن يثبتن أن النساء المعزولات فى أديرة هن فى الحقيقة أفضل من النساء العازبات واللاتى لا يتمتعن بمثل هذه الحماية دعهم يقدمون مبررات أو أسبابا لماذا تحرم النساء من حقوقهن فى المجازفة والمخاطرة التى تستتبع انتقالهن إلى خارج المنزل فى حين أن الرجال لديهم كل الحق فى المخاطرة من أجل تحسين أوضاعهم .

يرقات البعوض

يجب أن تتحلى بالاتساق المنطقى عند انتقالك من موضوع إلى اخر ,فقد قمت ذات مرة بالإشراف على طالبة , وكانت من المدافعين المتحمسين عن حقوق الحيوانات وكذلك مناصرة لحقوق المرأة . كانت تعارض قتل يرقات البعوض بالمبيد الرشاش حتى لو كان هذا ضروريا لإيقاف انتشار مرض الملا ريا .

الخطوة التالية هو القيام بتجارب طبية على الكلاب من أجل إيجاد علاج للأمراض ... اتساق رقيق لكن يثير سؤالاً عن موقفها من الإجهاض إذا كان من الخطأ أن نقتل البعوض الذى لم يتواجد بعد (اليرقات) من أجل إنقاذ الناس من الموت فماذا عن قتل البشر الذين لم يولدوا بعد فقط من أجل ان تحقق المرأة الحد الأقصى من الرفاهية ؟ فهى تتخلى عن فكرتها من أجل ان تتزوج ايرانيا يمتلك مطعما ويقدم لحم الحمل المشوى كطبق متميز .

(3)

التخلص من الرطانة

المفهوم الدال : الرطانة .. بعد التطرق لاستخدام المنطق فى الجدل الأخلاقي , نتناول الآن الاستخدام السيئ , و يوضح مفهوم الرطانة دور كل من المنطق والدليل .
نظرة عامة تمهيدية : الرطانة , يظهر الرطانة وكأنها شيئ آخر , التزييف , استخدام الرطانة لتضمين أو استبعاد الاشياء , هل نظرية النشوء ؤ الارتقاء تعد نوعا من الرطانة ؟

إن افضل طريقة لتقديم مفهوم الرطانة هو التميز بين نوعين من الفرضيات,و يدرك كل قارئ المسائل الهندسية مثل " للمربع أربعة قوائم " فى بعض الأحيان , يسمى الفلاسفة هذه المسائل بالتحليلية لأن حقيقة هذه المسائل يؤكدها المنطق , أى أنه , إذا غيرت جملة " له اربعة قوائم " (الخبر) فأنت تهدم المفهوم الخاص لكلمة " مربع " (الفاعل / المبتدأ) فإذا ذكرت أن شيئا له ثلاثة قوائم فأنت تعنى أنه مثلث وليس مربعا , وتلك المسائل تختلف عن المسائل التركيبية حيث إن هذه الاخيرة (المسائل التركيبية) تربط مابين الفاعل وبقية الجملة عن طريق التجربة مثل البالون الاصفر الذي لاجدوى منه : فيجب أن نذهب إلى الردهة وننظر ومن خلال تجاربنا سوف نؤكد أو نتجاهل الرطانة لهذه المسأله فلو أنكر أحدهم أن للمربع أربعة قوائم , فهذا ليس بسبب أن خبراته قد أثبتت زيف هذه الفرضية , فهو ربما يكون متحدثا للغة أجنبية التى تتضمن كلمة أخرى للمربع, و يتساءل الفلاسفة هل كل القضايا يمكن تقسيمها على أنها تحليلية أو تركيبية ومع ذلك لا داعي لأن يشغلنا هذا الأمر لأننا سوف نتناول قضايا واضحة

تعد الرطانة تحليلية بمعنى أنها عبارة عن حقائق يكفلها المنطق ولكن ذلك له ثمن .. فتلك الرطانة لايذكر لنا شيئا البتة عن الحقائق أو الاسباب أو الآثار المترتبة فهي ليست بحاجة إلى أن تكون عادية أو واضحة فأغلب الرياضة البحتة تتكون من هذا النوع من الرطانة فخذ على سبيل المثال الهندسة التى ربما تكون درستها فى المرحلة الثانوية مسألة مثل تلك المتعلقة بالمثلث والتى تبلغ زواياه 180 درجة هى حقيقة منطقية و لو أنكرت هذه الحقيقة فسوف تصل آجلا أو عاجلا ألى تناقض منطقي ونحن نقول إن هذه المسألة من مسائل الرياضة البحتة أكثر من كونها رياضة تطبيقية لأنه على عكس المعادلات المستخدمة فى الفيزياء , حيث يصعب تطبيق تلك المسائل فى الكون الفيزيائى ,فالمثلث المكتمل ربما يكون 180 درجة ولكن هذا لايخبرنا أن هناك أى شيئ فى هذا العالم الفيزيائى يكون 180 درجة بالضبط , و ربما لايوجد أى مثلث كامل إلا فى أذهاننا كما أن (ميدان أو مربع هار فارد) فى بوسطن أو أى ميدان فى أية مدينة أخرى ليس مربعا كاملا

الرطانة التي تظهر كأنها شيئ آخر

إن طبيعة استخدام كلمتين للاشارة إلى معنى واحد تؤدى إلى سوء الاستخدام فأنت تصوغ الكلمات بطريقة تخفى الحقيقة ولاتخبرنا بشيئ البتة عن العالم الحقيقى وذلك بواسطة استخدام لغة تظهر وكأنها تسير الى العالم الحقيقى فأنت تجعلها تبدو وكأنها أشياء مطالب بها عند أناس أو أحداث لها مصداقية المنطق ولا يستطيع أحد أن ينكرها.

لسنا بحاجة إلى القول بأن هذه الادعاءات أو المطالبات تحمي شيئا يروق لك من النقد, كيف يتسنى لك تحسين قدراتك العقلية, إنها لحقيقة تاريخية

أن العديد من العمال لايظهرون أية علامات عن السيكولوجية الثورية كما أن لهم ميولا محافظة ومقاومة للتغيير مثل هؤلاء الذين رشحوا الجمهوريين وأبعدوا السود عن مهن البناء والتشييد ,و يطالبون زوجاتهم بالخضوع ويكرهون المهاجرين المكسيكيين , و قد يرد أحد الماركسيين قائلاً (هؤلاء ليسوا عمالا حقيقيين) عوضا عن ذلك هو يطلق عليهم أعضاء فى جماعة العمال غير المهرة.

فى الأصل كان العمال غير المهرة قطاعا من السكان لم يتسنى لهم أية طريقة مشروعة للحصول على لقمة العيش ، ومن ثم أُجبروا على أن يكونوا لصوصا ومجرمين مروجى مخدرات فاجرين ، و مقامرين ، و فاسدين ، و قوادين ، ونصابين ، و متسولين ،و بلطجية الخ .. إن إطلاق الكلمة على أناس يكسبون أقواتهم بأيديهم وليس لديهم سيكلوجية العمال لا يقدم إجابة على السؤال التاريحي " هل الطبقة العاملة الفعلية تشكل قوة ثورية؟ , وفى وسعك ان تقول إن شخصا ما يعمل بيديه لايعد عاملا حقيقيا مالم يرق إلى تصورك أو مفهومك ، لكننا الآن نتحدث عن الرطانة وليس عن التاريخ.

يقول المتدين أحياناً (المسيحى الحق لايكون خبيثا أو ماكراً) هذا مقبول تماما طالما يوضح مفهوما مثل "أنا أعتقد أن قلب الأخلاق المسيحية هو المحبة" , ولذلك فإن الشخص الذي لايعيش حياته وفقا لهذا المبدأ لايتحلى بالاخلاق المسيحية ,ومع ذلك يستخدم هذا المفهوم عند الرد على ما حققته المسيحية من أثر تاريخي مثل ذبح الهرطقيين واضطهاد اليهود , والصليبيون وحروبهم الغاشمة ضد الاسلام , و حماقات الإرساليات التبشيرية المسيحية ورجال الدين المسيحى الذين يخبرون الجنود أن القضية التى يجب أن يناضلوا من أجلها هى استخدام مفهوم السماء من أجل جعل المآثر البطولية من نصيبهم, وهنا نحن نرد بقولنا " لكنهم لم يكونوا مسيحيين بحق" .. هذه الجملة تشير إلى المسيحى المثالى أكثر من كونها تشير إلى أناس اعتبروا انفسهم مسيحيين يذهبون الى كنائس كاثولوكية وبروستانتية, و يمكنك أن تحدد مُثُلك ومبادئك كما يحلو لك , كما أن استخدام دليل للدفاع عن مسألة إحداث الكنائس المسيحية أضرارا للإنسانية أكثر

مما قدمت لها من خير لايمكن التملص منه بكلمة او كلمتين تشيران إلى المعنى ذاته حيث إن مصداقيتها ومناعتها ضد التزييف لا يمكن تغييرها.
يجب ان تشارك فى المناظرة التاريخية وتقدم قضية للدفاع عنها (انظر 3 /1)

مربع 1/3 : العقل والإيمان

إن الدين غالبا ما يعارض الإيمان بالعقل , ولكن لا يعد هذا مبررا لمناقشة سيئة فإذا الزمت نفسك بالمجادلة بالدليل يجب أن تطبق الأدلة , وقد انتهيت لتوى من قراءة أحد هذه الكتب الكئيبة التى كتبها باحث لاهوتى ذكى ومثقف يحاول من خلال هذا الكتاب أن يوفق مابين رحمة اللـه تعالى وتلك المعاناة الرهيبة التى يتحملها بعض الناس على الرغم من عدم ارتكابهم لأى إثم , على سبيل المثال كل هؤلاء الأطفال الصغار عبر عدة قرون مضت يبغون الحياة ثم يأتى مرض عضال أو مجاعة تقضى عليهم .

الخلاف هو اذا كان اللـه قد خلق العالم بهذا السوء فلماذا لايوجد انتحار جماعى ؟ بعيدا عن حقيقة أننا نصون مبادئ نتقبلها أكثر من كوننا نعجب بها , فليس هناك تسليم أو قبول حتى تذهب الأدلة فى اتجاهين : إذا لم يلجأ أحدهم إلى الانتحار فهذا يعد فضلا من اللـه , أما اذا لجأ أحدهم إلى الانتحار فهذا غضب من اللـه وسخط .

الحل المنطقى الوحيد لمعضلة الشر المتواجد فى هذه الحياة أن لله سبحانه وتعالى صفات سامية وعالية غير معروفة لنا ومنها العدل والرحمة والتى يفتقر إليها بعض الناس فالمؤمنون كانوا فى الماضى يتمتعون بالشجاعة الأدبية ويعلنون هذا لكن هذه الأيام نراهم خائفين .

لا يعتبر علماء الاجتماع مستثنين من المناعة أوالحصانة " والعزلة هى سبب الانتحار " , و إذا أشرت إلى أن أيا من أفراد عصابة ما لم يقدم على الانتحار يكون الرد على ذلك أنهم لم يتم عزلهم وإبعادهم من قبل الجماعة التى ينتمون إليها ولكن من قبل المجتمع الأكبر أما إذا تم استبعادهم من العصابة ,فإن الرد سوف يكون أنهم لديهم صديق عزيز مخلص أو حبيب و إذا اتم عزلهم نهائيا أو استبعادهم كليا ولم يلجأوا الى الانتحار فهذا يعنى أنهم يعانون من متلازمة ازبرجر , وكونهم منسيين أو متجاهلين من قبل الآخرين , فهذا يجعلهم غير محتاجين إلى الدعم من المجتمع وعلى الرغم من أنه لم يتم قبول ذلك صراحة , فإنه من الواضح أنه لا أحد ينقص من قدر العزلة مثل سبب الانتحار , و يشار إلى أن الحقيقة المجردة بأنك غير معرض للجوء للانتحار تظهر أنك لست معزولا , والحقيقة بأن أحدهم انتحر هى كافية منطقيا لتصنيفه على أنه شخص منعزل وحيد كما أن احتمالية التزييف غير مسموح بها و هذا دليل على أننا قطعنا صلتنا بالعالم الحقيقى

التزييف

إن حقيقة الادعاءات حول العالم الحقيقى هى على الأقل , من حيث المبدأ ، قابلة للتزييف, وهذا من شأنه أن يكون أداة فاعلة للتحليل, أما كلمة" قابل للتزييف" فهي تعنى ببساطة أننا بمقدورنا أن نفكر فى دليل قد يظهر الادعاء على أنه باطل و أفضل مثال للمناقشة المشوشة التى قد تنبع ضمنيا عندما نتعرض لمعضلة التزييف " مألوف .. أنا أشير الى مناقشة حول ما اذا كانت الأفعال الإنسانية تتسم بالأنانية.. وهذا من شأنه أن يؤدى إلى سؤال عما يحرك الناس . هناك مناقشة تستند إلى استخدام كلمتين لشرح معنى واحد تصب فى اتجاه الأنانية وذلك من أجل حل هذه المعضلة وهى كالاتى :

نحن نتصرف فقط بناء على حاجات ومتطلبات داخلية . فإذا كنت تلهث وراء المال , فذلك لأنك تريد ذلك و إذا اخترت إن تضحى بحياتك من أجل الآخرين فهذا لانك بالضرورة تريد هذا, و عندما مات المسيحيون من أجل عقيدتهم فى الأراضي الرومانية, لم يكن بمقدورهم أن يفعلوا ذلك مالم يكونوا يريدون ذلك , أليس كذلك ؟ وهكذا فإن كل الأفعال الإنسانية هى فى الأساس تنبع من حافز أنانى وتتراجع الفضيلة الأخلاقية إلى القاسم المشترك صفر, إذن أى فعل تقدمه للأنانى المغرور يقابل بنفس رد الفعل ولم يكن ليضحى بنفسه من أجل رفاقة مالم يريد ذلك ويرغب فيه .

مايبدو على أنه نقطة قوة في هذه المناقشة هو فى الحقيقة نقطة ضعفها , إن الأنانية السيكولوجية تبدو أنها نظرية الدافعية البشرية, كيف كنا سننظر لنظرية نيوتن عن علم الفلك لو كان فى الآفاق حدث متناغم أيا كان ؟ مهمة النظرية هي أن تتنبأ بهذا و لا تتنبأ بذاك أو تتنبأ بأنك سوف تحظى برؤية كوكب عطارد هنا وليس هناك , ومع استبعاد مقولة أنك قد تراه فى أى مكان . والنظرية السليمة لا مجال حقيقة لتزييفها ومع ذلك ليس لدينا مشكلة فى تصور حالات تم تزييفها , لذا فإن الأنانية السيكولوجية هى عاجزة وفقيرة كنظرية الدافعية.

انه حقا تلاعب بالألفاظ مع وجود افتراض خفى ,و مالم اكن واقعا تحت تاثير التنويم المغناطيسى ، فأنا مستقل بذاتى بمعنى أنا أختار ما يحلو لى أن افعله , فالأنانية السيكولوجية تسمى هذا الاختيار " الاستجابة الى الحاجة" ولكن كل هذا يعنى حقيقة أننى أتصرف طبقا لقيمة أخفيها داخليا . وماذا ايضا ، من بإمكانه أن يتصرف طبقا لمدلول أو قيمة يخفيها شخص آخر إذ إن بعض الناس يضمرون مبادى تتعلق بالآخرين ويتصرفون طبقا لهذه المبادى وتحن نقول عنهم إنهم لديهم دافع أخلاقى , وآخرون يضمرون مبادى تتعلق بأنفسهم ويتصرفون طبقا لها ونحن نعتبرهم أنانيين ولا همَ لهم سوى رغباتهم , إن الأفعال المتعلقة بالآخرين تعنى التضحية برغباتى بمعنى على الرغم من تضررى فأنني أقوم بواجبى . ويمكنك

كما يحلولك أن تطلق على ذلك العمل أنه ما تريد القيام به ، ولكن يمكننا التمييز ببساطة بين الرغبات فى القسم الأول والرغبات فى القسم الثانى : تمييز الناس الذين لديهم رغبات ذاتية من هؤلاء الذين لديهم رغبات تتعلق بالآخرين , والعديد منا يطلق على هذه الرغبات الأخيرة المبادى الاخلاقية .

يمكن للأناني السيكولوجي أن يدافع قائلا إن المبادئ المتعلقة بالآخرين غير مألوفة ، على عكس الرغبات الداخلية الأخرى ، فهي مهمة من حيث قدرتها على تفعيل السلوك الانسانى, لكنه الآن دخل فى العالم الحقيقى ويجب أن يقدم الدليل , و يلاحظ أن جانبا كبيرا من السلوك البشرى يبدو قابلا للشرح والتفسير فقط عتى افتراض أن الناس يولون اهتماما بسعادة الاخرين قبل سعادتهم شخصيا , فالأمر اللأخلاقى قد ينطوي علي مبدأ أخلاقى بالطبع . كل قيمنا الذاتية ربما تقبع فى قلب السيكولوجية العقلية ,و كذلك أحكامنا الجمالية و ولكن بالرغم من ذلك ، نحكم على بعض الأشياء بأنها جميلة ، والأخرى قبيحة , وبعد أن نؤدى واجبنا , ربما نميل إلى الرضا بأننا التزمنا في الحقيقة بمبادئنا الأخلاقية (في حالة ما كنا مازلنا على قيد الحياة) , يبين هذا أننا نحب الخير أكثر من قيامنا به وهذا نابع من الاعتقاد العقلى أن بعض الأمور جيدة و هذا لايقلل من أفعالنا ذات القيمة الأخلاقية .

استخدام الرطانة فى التضمين والاستبعاد

قد تكون بعض عبارات الرطانة غير ملائمة لأنها إما أن تسعى نحو حفظ مكانة محببة للبعض استنادا على أسس غير عادلة ، أو انها تسعى لإعطاء حصانة للبعض من مكانة أو وضع غير مرغوب فيه وذلك ايضا وفقا لأسس غير عادلة .

خذ على سبيل المثال هذا التأكيد , من قبل نشطاء حقوق الإنسان القائل بأن السود , أو أية جماعة أخرى تعرضت للعنصرية ، لا يمكن ان يتم اتهامهم هم انفسهم

بالعنصرية و لو تم اعتبار هذا نوعا من الرطانة ، لايمكن اعتبار السود عنصريين " لان تعريفي للعنصرى يشترط أن يكون من غير السود ، إنها دائرة مغلقة من الكلمات التى ليست لها صلة بالواقع فيمكنك أن تعرف اللون الوردى على أنه ليس أحمر كما أننا لا نستطيع ان نمنعك من أن تتحدث لغة خاصة إذا كنت تريد ، لكن الممارسة غير ذات جدوى, و يشار إلي أن هؤلاء أمثالنا الذين يحبذون لغة تصف العالم الواقعى سوف يجعلونك تضحك بقولهم " الوردى " "هو الاشياء التى مثل الوردة فى كل شيئ ماعدا أنها ليست حمراء " فإذا قام رجل أسود بشنق صبى صينى الجنسية لأنه يواعد ابنته ببساطة لأنه يكره الصينيين , فهو عنصرى في كل شيئ فيما عدا أنه أسود .

تستخدم حجج مشابهة من أجل الإقصاء أو الاستبعاد التعسفى لجماعة بعينها من المكانة المحببة . بعض المناديات بحقوق المرأة ينكرن أن هناك بعض الرجال ينادون أيضا بحقوق المراة منذ عدة أعوام مضت ، فى جامعتى كان هناك طالب له اهتمام كبير بقضية حقوق المرأة و كانت الجماعة الراديكالية المنادية بحقوق المرأة لاترغب تماما فى تسمية المنادى بحقوق المرأة ناشطا حقوقيا فى شئون المرأة لكنه أثار غضبهن فإذا كانت المؤهلات تعنى المرابطة امام مسابقة للجمال لمنع الآخرين من الدخول , فهو واحد من المواطنين , واذا كانت المؤهلات تعنى أن تعض ضابط الشرطة فى كعب قدمه فهو يمكن أن يفعل ذلك .

والآن يمكننا أن نؤكد تماما أنك لم تقابل قط رجلا ذا سلوك يوحى بأن لديه مبادئ تنادى بحقوق المراة . لكن مهما تكن المعايير التى تأخذ بها , فإن كلا من الرجال والنساء لهم صلاحية فى أن يكونوا من المنادين بحقوق المرأة طالما يوافق الشروط المعدة لذلك , مالم ترد أن تعبث قائلا إن هؤلاء الذين ينادون بحقوق المراة يجب ان يكونوا من النساء فقط للمقارنة بتعريف عالم الاجتماع الذى يقول إن علماء الاجتماع الشواذ هم فقط العلماء فأنت قد تتوقع أنه لن يتسنى للرجال ان يتبنوا مبادئ تنادى بحقوق المرأة ومساواتها بالرجل على نحو كاف مالم يتعرضوا لما تتعرض له النساء , كالاغتصاب مثلا , لكن معظم النساء لم يتعرضن للاغتصاب ،

فهذا يؤدى بنا إلى القول بأن لا يوجد رجل يمكنه أن يتخيل رعب التعرض للاغتصاب , و هذا يمكن تزييفه و عندما أسمع عن اغتصاب الرجال للرجال فى السجون أشعر بالمرارة و الرعب الشديدين.

هل نظرية النشوء نوع من الرطانة ؟

فى بعض الأحيان, يستخدم البيان التلخيصى لنظرية ما كلمات يجعلها تبدو وكأنها رطانة مع أن الحقيقة غير ذلك . حتى الطلاب المؤيدون يقعون فى هذا الخطأ فى نظرية النشوء عندما يقولون إن الاختيار الطبيعى هو نوع من الرطانة والحجة هي أن الاختيار الطبيعى عادة ما يعبر عن مقولة "البقاء للأصلح "، لكن من هو الأصلح ؟ لماذا هؤلاء هم الذين يبقون ؟ إنها فقط دائرة مفرغة من التعريفات وبالتالى هى كلمات لاجدوى منها أخشى أن الطريقة الآمنة الوحيدة من أجل عدم الانخداع بهذه المناقشات هو معرفة ودراسة النظرية محل المناقشة , ويمكن وصف الاختيار الطبعى كالاتى :

** كل ذرية أو نسل هى طور جينى , بمعنى أن لديها جينات مختلفة بعض الشيئ عن النسل الذى اندرج منه الابوان

** الذرية تقطن نفس البيئة التى سكن فيها السكان أمثالهم .

** إذا استطاع ذلك الطور الجينى لنسل ما أو ذرية ما أن يجعلها قادرة على إنتاج ذرية قابلة للحياة والنمو أكثر من باقى أفراد المجموعة ، فإنه بعد عدة أجيال سوف يهيمن على المجموعة كلها.

** لو حدث تتابع كاف من هذه القدرة الجينية ، فهذا من شأنه أن يؤدى إلى ارتقاء ونشوء المجموعة إلى أنواع جيدة

** هذه الإبداعات تنتج بسبب تحولات جينية اثناء التكاثر (لايوجد طفل يشبة تماما أيا من والديه) وأيضا بسبب التغيرات البيولوجية العشوائية والتى تغير

بدورها الجينات . كل هذه القضايا هى تاكيدات كافية يمكن التدليل عليها وليس بينها أى لفظ غير ضرورى لبيان معنى ما .

من أجل أن نفكر بشكل واضح ، يجب أن نفرق بين حقائق النشوء وبين النظرية التى بنيت على هذه الحقائق كما فى علم الفلك أو أى علم اخر , أى نظرية معاصرة قد تحتاج إلى إدخال تحسينات عليها من أجل أن تؤدى دورها بشكل لائق . وكما تمت الإشارة مسبقا , فإن النظرية تنقسم إلى جزئين . كل فقرة تصف (فيما عدا الاخيرة) طريقة الاختيار الطبيعى ، العملية التى من خلالها يتحدد الجين الذى سيهيمن وينتشر فى المجموعه . حتى الان ، لم يتسنى لأى عالم أن يجد بديلا للاختيار الطبيعى الذى له قوة تفسيرية ، لكن الفقرة الأخيرة تصف آلية النشوء ، بمعنى , القوى التى تسبب الابداعات الجينية وهى تدعى أن التغيرات الحيوية العشوائية تزودهم بسرعة كافة كى تشكل الحقائق ، أعنى التحول من نوع إلى آخر والذى نجده فى سجل الحفريات . وهذا محل تفنيد ودحض , قد يظهر سجل الحفريات فى بعض الأحيان أنواعا جديدة تنشأ بسرعة كبيرة لدرجة أنه يصعب رؤية كيفية التغيريات الحيوية العشوائية التى تشكل سرعة النشوء.

تم طرح العديد من البدائل ، تعمل كلها على تعديل التطور العشوائى للإبداعات الجينية إلى شيئ تركيبى أو مباشر .

** عندما يحدث تغير حيوى لأحد الجينات , فإن بمقدوره أن يؤثر على باقى الجينات بطريقة قد تنتج مجموعة فعاله , واحدة قد تمثل انتقالا راديكاليا من الماضى ولكن مازال لديها فرص البقاء و بعبارة أخرى الكروموسومات لديها تركيب يشكل الجينات المتغيرة بطرقة مناسبة .

** بعض القوانين تؤثر على الكائنات الحية وتعمل على إحداث التغيرات الحيوية فى واحدة من الاحتمالات الحسابية فى الحياة (ظلال افلاطون)

** الأنواع تتغير جذريا عن طريق استعارة جينات من أنواع أخرى

** التخلق المتعاقب (نظرية تقول بأن الجنين يتكون من سلسلة من التشكيلات المتعاقبة)- يمكن لبعض التكيفات مع البيئة أن تؤثر بشكل حقيقى فى الجينات وتصل الى نسل " متكيف مسبقا " من أجل أن تعيش فى هذه اليئة .

كل هذه الأشياء تضفي سمة التطور على عنصر التصميم ولكن ذلك يتم بطرقة علمية أمينة وبإمكاننا أن نبحث عن دليل ليصب فى مصلحتها بدلا من افتراض وجود كيان غامض خلق الكائنات الحية بالكيفية التى هى عليها.

يطلق على أخلاقيات أرسطو فى بعض الاحيان خطأ مصطلح الرطانة ، و يذكر أن الأعمال الجيدة هى تلك الاعمال التى يقررها الناس الأخيار ، وأن الناس الأخيار هم الذين اعتادوا على القيام بالأعمال الصالحة , وليس هناك شى عديم الجدوى وغير مباشر أكثر من ذلك فى الحقيقة ، و لقد قرر أرسطو عدة مسائل :

الأولى : الأعضاء السليمة بدنيا هى التى يعول عليها في القيام بالأعمال فنحن لا نطلب من شخص يعانى من مرض فى عينه أن ينظر فى التيلسكوب .

الثانية : هناك حالة صحية للشخصية الانسانية والتى يمكن إدراكها من خلال أى اسلوب حياة يؤدى الى دلائل على الصحة النفسية والتى أسماها ارسطو" فلسفة السعادة "

الثالثة : أن حياة المشاعر الانسانية المشتركة والعمل الإبداعى (والأخص التأملى) تصقل الشحضية الأنسانية ولذلك فإن الشخص المتعافى المثالى الكامل والمتعافى (أكثر من الشخص المريض) يجب أن يكون معيار الصواب والخطا (يجب أن ننتبه لحكمه الاخلاقى او حكمها الاخلاقى) , و من الطبيعي أن الأحكام التى يصدررها الشخص تعتبر أحكاما إنسانية بشكل أساسى

ليس هناك من بين هذه القضايا الثلاث ما يمكن أن نطلق عليه رطانة من الناحية النظرية على الأقل ، فالقضية الثانية والثالثة يمكن اختبارها بالدليل (هل حياة من الحب الانسانى و العمل الإبداعى تزيد من إحساس للفرد بالرفاهية , الأولى تعتبر فرضية حول كيفية الحصول على المعرفة , و أعتقد أنها مسالة غير صحيحة فإذا كان الذين يستطعيون أن يروا بوضوح هم فقط هؤلاء الذين يعانون

من أمراض بالعين ، فليس بوسعنا إلا أن نطلب منهم أن ينظروا مـن خـلال المجهـر . لكـن مسألة صحتها أو عدم صحتها ، يجـب أن تنـاقش ولا يمكـن اسـتعبادها لكونهـا لغواعـديم الجدوى .

(4)

المغالطة المستندة إلى المذهب الطبيعى
وما يترتب عليها – كن عقلانيا مميزا

المفهوم الـدال : (3) المغالطـة المعتمـدة عـلى المـذهب الطبيعـى (4) مغالطـة مدرسـة التسامح والقبول عبر القرون . قام الفلاسـفة بتسـمية بعـض المجـادلات الأخلاقيـة المعينـة بأنها مغالطات وعلى الرغم من ذلك ، فإن العديـد مـن هـذه المجـادلات بقـى ويسـتخدم عالميا ,و الإثنان اللذان سنناقشهما مرتبطـان ببعضـهما الـبعض ويجـب أن نكـون واضـحين بشان ما يترتب على إدراكنا أنهم افكار خاطئة أو مغالطات وإلاافإننا سـوف نشـعر بـالفرح أو الحزن واللذان يعتبران غير مجازين ولا مبرر لهما .

النظرة العامة التمهيدية : المغالطة المستندة عـلى المـذهب الطبيعـى , الحقـائق والقـيم , الحقائق وصلتها بالموضوع ، المغالطة عديمة القيمة ، مغالطـة مدرسـة التسـامح ، الطريـق ذو الاتجاه الواحد, المغالطة المستندة للمذهب الطبيعى

بعد التاكيد على دور المنطق فى الجدال الأخلاقي ، نحن الآن بصدد تناول مسـألة مهمة بشأن حدود المنطـق و بالتجديـد مـا إذاا كـان بإمكـان المنطـق تجـاوز الفجـوة بـين الحقائق و القيم, فعلى سبيل المثال قد يعتقد الفرد أن الحقيقة (و هي حقيقة مفترضة) التي تقول إن عقوبة الإعدام لا تردع القتلة المتمرسين وهذا يستتبعه قضية المدلول والتى تقول بأنـه يجـب أن نلغـى عقوبـة الإعـدام , هـؤلاء النـاس يرتكبـون مغالطـة تسـتند إلى المذهب الطبيعى

يزعم البعض أن هناك استثناءات للتفريق ما بين كلمة" يكـون" وكلمـة "يتعـين" ومع ذلك لا أحد من هـذه الاسـتثناءات يبـدو ذا دلالـة أخلاقيـة فهـم لا يجـدون حقـائق تستلزم منطقيا النصح الأخلاقي لما يجب أن يفعله الناس أو حقائق تستلزم منطقيـا اتخـاذ مبادئ أخلاقيه إنسانيا بدلا من غير الأخلاقى وحيث إن اهتمامى الرئيسى هو كيف يتسنى لك أن تدافع عن المثل الإنسانية أمام أعـدائها, لم أعـد أهـتم بمعضـلة" يكـون" /" يتعـين" عندما اتضح أمامى عجز الاستنثنائات المتاحة, وفى النهاية السبب الرئيسى وراء الحاجة إلى استثناءات هو أنه بإمكاننا أن نستخدم الطريقة الإعلامية من أجل أضفاء الموضـوعية عـلى المبادى المختلفة بـالاعتماد عـلى الحقـائق (لكوكـب المـريخ قمـران) , وإذا كانـت بعـض الحقائق بعينها تستلزم منطقيا مدلولات إنسانية فسوف تصبح موضوعية بشكل متوزان.

الحقائق والقيم

اذا كنت تعتقـد أن فى الـدليل الـذى يقـول إن الإعـدام لا يـردع عمليـات القتـل المحتملة هو دليل قاطع ، سل نفسك لمـاذا, الإجابـة المعتـادة أن عـدد الأشـخاص الـذين فقدوا أرواحهم فوق المقصلة أو المشنقة لا يقارن بعدد الأرواح التى تم أنقاذها وهذا من شأنه أن يؤدى إلى قياس منطقى عملى

المسلمة الرئيسية : أى شى يودى بحياة أشخاص أكثر من التي ينقذها فهو باطل

المسلمة الثانوية : عقوبة الإعدام تكلف أرواحا اكثر من كونها تنقذ أرواحا

الاستنتاج : عقوبة الاعدام باطلة .

تنشا المغالطة المستندة على المذهب الطبيعى فقط إذا اعتقدت أن المسـلمة الرئيسية تبرر نفسها بنفسها ، بمعنى ، أنك تعتقد أن الحقيقةالتي تقول بأن شـيئا مـا يؤدى إلى خسارة فى الأرواح أكـثر مـما يـؤدى إلى إنقـاذ الأرواح هـو أمـر خـاطئ مـن الناحية المنطقية , و لكن الأمر ببسـاطة لـيس كـذلك , و قـد تقـيم مبادئـك بإعـدام

القتلة فى ضوء النتائج المترتية لحماية أكبر عدد من الأرواح البشرية ولكن هناك آخرين لديهم مبادى مختلفة ربما يعتقدون أن للاقارب الحق فى التعويض مقابل خسران أحد الأفراد.. العين بالعين... أو قد يعتقدون أن الفن العظيم يزدهر فى المجتمعات التى لم تروض من خلال القضاء على القسوة وأن الفن العظيم مهم أكثر من أى شى آخر, وبعبارة أخرى فان العلاقة بين الفاعل- هي تكلف خسارة فى الأرواح أكثر مما تنقذ أرواحا- وباقى الجملة (يعد باطلا) يجىء من قبيل التزامك بالمثل الانسانية , و يشار إلى أن الملتزمين بمبادئ أخلاقية أخرى يمكن أن يرفضوا ذلك و ربما تظن أنهم طالحون غير صالحين أو أشرار , لكنهم لم يرتكبوا أى خطأ منطقى .

لايعرف بعض العلماء وعلماء الاجتماع أية فلسفة ، ولذا يقع البعض فى المغالطة المستندة إلى مذهب الطبيعة , إذ يكتب علماء الأحياء كتبا تفترض أن الحقيقة هى نزعة فى النشوء (اتساع فى الوعى ، إدراك أكبر لوجهات نظر الآخرين) و هذا يظهر أنها محببة أخلاقيا , أما اتباع داروين ذوى التوجه الاجتماعي يزعمون أنه بما أن هناك منافسات لسفك الدم من أجل البقاء عند بعض الشعوب ، يتوجب علينا أن نقر بأن الحقائق وحدها لا تحل القضايا الأخلاقية, و يمكنك هذا الإدراك من معرفة عدة امثلة تثبت تفرد المغالطة المستندة الى المذهب الطبيعى حيث إن إدراكها يوضح الجدل الأخلاقي ولكن إذا لم تفهم النتائج ، فإن كل الوضوح يضيع فى فوضى الاضطراب ، و يلاحظ أن التشويش أو الارتباك له ثلاثة أنواع , استبعاد الحقائق , المغالطة عديمة الجدوى ، مغالطة مدرسة التسامح .

أهمية الحقائق

إن المغالطة المستندة إلى المذهب الطبيعى لاتعنى أن المنطق والحقائق ليس لهما دور فى الجدل الأخلاقي فإذا أمعنا النظر فى شخص لديه قيم العنصرى

التقليدى وقمنا بإجباره على تعميم مبادئـه ، فهـذا مـن شـأنه أن يـؤدى إلى أشـياء يمكـن دحضها بالحقائق ، على سبيل المثال : كـل السـود غـير ناضـجين نهائيـا إمـا عقليـا أو فـيما يتعلق بشخصيتهم, و على مايبدو هناك معضـلة : بـالطبع لـو لم تكـن هنـاك حلقـة ربـط منطقية بين الحقائق والقيم ، فلن يكون هناك ربط بين القـيم والحقـائق كـما أن المنطـق ليس كل شيئ فالنزعة أو الميل نحو المبدأ ليس كافيا فى أعطـاء أى شـخص الأخـلاق التـى يعيش بها .

يجب أن تربط بين قيمك والعالم الواقعى بمقترحات أو قضـايا حقيقيـة مؤكـدة ، وهذه المقترحات أو القضايا المرتبطة يمكن أن تختبر بالأدلة, فماركس ربما كـان لديـه نزعـة نحو الإعجاب بالبروليتاريا (طبقة العمال والكادحين) لكنه لم يجرى فى الشـوارع صـائحاً (أنا أحب العمال) هذا قد يضعه على قدم المساواة مع شـخص يقـول " أنـا أكـره رئـيسى " هذا ربما يكون ذا معنى بالنسبة له لكنه لـيس ذا أهميـة بالنسـبة لنـا , ربمـا نقابـل رجـلا فرنسيا يهيج إذا سمع كلمة " جمل" , هذا أمر مثير ، ولكن لـيس مـن السـهل تحويلـه إلى مجموعة من القضايا الأخلاقية, حيث إن كل مافعله ماركس هو أنه عـبر عـن نزعتـه نحـو القيمة ذات المغزى بالتوسع فى نظرية التاريخ والتى تكفل للطبقة العامـة دورا رئيسـيا فى التقدم نحو مجتمع إنسانى . وهذا يضعه تحت رحمة الدليل أو الاثبات , فكلما رأينا بعض الماركسـين يجـدون أن احتماليـه الـدحض شـاقة ومرهقـة لدرجـة يصـعب تحملهـا ، ويستخدمون الرطانة كى يهربوا ويتفادوا الأحكام الصادرة

وبالمثل , عـلى الـرغم مـن أن العنصريـين ربمـا يكرهـون السـود وربمـا هـذه الكراهية هى الأساس السيكولوجى لفكرهم ، لكـنهم لايجـرون فى الشـوارع صـائحين "أنا أكره اللون الأسود" ولكى يحولوا هذه الكراهيـة إلى شـئ أكـثر مـن كونـه خاصـية مميزة لهم ، يجب عليهم أن يربطوها بالعالم بافتراضات عن علم الجينـات (امتـزاج الاجناس / تخالط الجنس مع الجنس أخر من شانه أن يحط مـن قـدر النسـل), و التاريخ (لو عاش فقط السود ، لأصبح الجنس البشرى جاهلا), و الإمكانيات البشرية (المهاجرون السود دائما مايشكلون عبئا على الميزانيـة العامـة) وهكـذا مخافـة

أن نشعر بالغرور ، فإن مشاعرنا نحو الإنسانية هى أيضا نزعه محضة مالم ترتبط بالعالم الأكبر ، يرجع لنا الأمر في أن نتاكد من ألا نجزم بأى ادعاء لا يستطيع أن يصمد أمام اختبارات المنطق والبرهان.

يتحدانا نيتشه بسؤاله عما إذا كان بمقدور أى شخص جاد أن يعنى بمصير الناس العاديين من العوام بدون تجاهل فظاعتهم المطلقة ,فالأب الذى ينتمى إلى الطبقة العامة التى تعوزها البراعة يصرخ فى التلفزيون متحدثا للممثلة إن نظرية الجدارة تخبرنا بأن مُثلنا تقضى على نفسها عند التطبيق ، بمعنى إذا وجدنا بيئات عادلة وحراكيا اجتماعيا كاملا فالنتيجة سوف تكون مجتمعا تحكمه الصفوة الجينية (من أجل الدحض والتفنيد ، انظر الفصل 10) , يخبرنا الاقتصاد أنه بينما يكون لدينا شعور بالتعاطف مع هؤلاء الذين يتقاضون الرواتب الضئيلة ، فإن الأجر الضئيل يعمل على تأكل مجموعة الوظائف المتاحة للطبقة العاملة غير الماهرة (من أجل بحث اكثر تفصيلا أنظر الفصل 12) وكما نطالب بالاتساق المنطقى وكذلك تقييم صادق للدليل من قبل الشخص المعارض ، فيجب أن نتاكد أن مُثُلنا جيدة بشكل كاف فإذا كنت تثق فى مُثلك أو أهدافك فقط لانك تعتقد أن كل عامل هو شريف أو نبيل ، أو أن كل امرأة رائعة مالم يحط من قدرها مرافقة الرجال ، أو أن كل الرجال فى الأساس صالحون ، لن تستمر طويلا فى أية مناظرة أخلاقية . و قد أكد نتيشه أن ديكنز لم يقدم وصفا لشخص ذى قلب طيب دون أن يشير إلى كونه أخرق.

المغالطة عديمة الجدوى

على مر التاريخ , حاول المفكرون ذوى النوايا الطبية أن يجدوا صلة منطقية أو جسرا منطقيا بين الحقائق و القيم حتى يمكنهم أن يثبتوا أن المثل الإنسانية موضوعية أكثر من المثل غير الإنسانية, ماذا يمكن أن يكون أكثر موضوعية من

إيجاد مُثلٍ إنسانية مبنية على حقائق بالإضافة للمنطق ؟ و قد يضفى هذا على مُثلنا مكانة خاصة فى ضوء الحقيقة, والفرق بين نيتشه وبيننا لن يكون فقط في الالتزام بمجموعة من المثل أكثر من مجموعة أخرى, و مع إدراك المغالطة التى تستند إلى المذهب الطبيعى يأتى إدراك عدم وجود طريقة لإظهار أن للمثل الانسانية مكانة موضوعية .

ذكر دوستوفييسكى فى روايته "الاخوة كارامازوف" أنه إذا كان الإ له غير موجود , فإن كل شئ مسموح به

فالإله بالنسبة له هو المصدر الوحيد لمعرفة وإدراك الخير ، و كان يعنى أنه إذا كان الخير غير موضوعى ، فإن كل المثل الأخلاقية تم تسفيهها , و تتهاوى المثل الأخلاقية أمام الرغبة أو النزوة, فتعريض نفسك للخطر من أجل إنقاذ طفل من أمام سيارة قادمة لايختلف عن رغبة فان جوخ المجنونة فى قطع أذنه . نحن ربما نكون ملتزمين عاطفيا بمبادئنا والتى من شأنها أن تملى علينا التعارف بشكل إنسانى ، لكن الفحوى من وراء هذه المبادئ تبدو خادعة فهى مثل الهلاوس ذات المحتوى الخادع .

وكى نضع المناقشة قيد القياس المنطقى:

المسلمة الرئيسية : ليس هناك معيار أو مقياس يمكن الدفاع عنه للموضوعية فى الأخلاق

المسلمة الثانوية : مُثُلى تفتقر إلى الموضوعية

الاستنتاج : لذا يجب أن أتعامل مع مُثُلى على أنها غير جديرة بالاحترام حتى من قبل نفسى

هذه المجادلة غير مترابطة منطقيا ولذا يتعين أن نسميها" المغالطة عديمة الجدوى" فالالتزام بمبدأ أخلاقى هو التزام بأداء واجب وهو يتعدى مجرد تفضيل شراب بارد بعينه على شراب آخر , و فى غياب اختبار الحقيقة الأخلاقى من أى نوع ، فإن الشخص لايمكنه أن يخبر نيتشة أنه يتوجب عليه أن يقبل بالمثل الانسانية ومع ذلك , قولك أنه يتوجب علينا أن نترك المثل الإنسانية يعني أن تزعم أنها تفتقر

للحالة الموضوعية وكذلك تزعم أنها حالة غير موضوعية, و هذا يعنى أن نعتبرهـا هـلاوس بسبب فشلها فى اختبار الحقيقة إنها شئ خادع بخصوص أمر ما : فـنحن نـرى الواحـة فى الصحراء وعندما نعدو بإتجاهها نجد رمالا بدلاً من الماء .

لو لم يكن هناك اختبار للموضوعية فى الأخلاق ، فإن المثل الإنسانية لا يمكـن لهـا أن تنجح أو ترسب لأنه ليس هناك اختبار ترسب فيه, و ما الذى يفترض أن تكـون خادعـة بشأنه ؟ إن المثل الإنسانية ليست خادعة فيما يتعلق بأنفسنا فى غياب الموضـوعية فلـيس هناك شئ سوى الذاتية, و ربما يكون من الحماقة أن نقول إنه يتوجب على المثل الإنسانية أن يتقبلها هؤلاء الذين ينفرون منها , وربما يكون على نفس القدر من العبث أن نقول إنه يتعين أن يرفضها هؤلاء الذين يقدرونها .

دعنا نوضح ماتستلزمه الموضوعية وبالتالى نكون واضحين بشأن ماتفتقده الأخلاق فالعلم جائز حدوثه لأن خبرات النـاس البصريـة جـديرة بالاعتبـارمن قبـل الآخـرين (مـع التسـليم بـأن افتراضـات الحقـائق تسـتند الى رؤيـتهم) عـلى الـرغم مـن أن الآخـرين قـد لايشاركونهم هذه التجارب البصرية , فاذا كنت أنا وأنت نقف فى نهايـة قاعـة المحـاضرات وبسبب الاستجماتزم ، فسوف ترى شيئا ضبابيا غير واضـح عـلى السـبورة البيضـاء التـى فى مقدمة قاعة المحـاضرات فى حـين أننـى أرى دائـرة وبإمكـانى أن أؤكـد أن قـدراتى البصريـة أفضل من قدراتك ويمكننى إثبات ذلك بدلائل حقيقية . ويمكننى أن أثبت أنك إذا اقتربت من السبورة بقدر كاف ، فأنت أيضا سوف يتسنى لك رؤية الدائرة وهذا لأننا كلنـا نعـيش فى كون طبيعي نتشاركه.

لاأعتقد أن هناك ثمة حقيقة أخلاقية مشتركة يمكننا أن نحتكم إليها عندما تظهر فى الأفق صراعات جوهرية بشأن المبدأ الأخلاقى إذ إن بعض الذين يتمتعون بنفس حكمة افلاطون لايوافقون على ذلك ويجب أن تقرأ لهم قبـل أن تقـرر لكـن لو كان رأيي صحيحا فإنه لن يتسنى لنا أن نطرق قضية الموضوعية فى الأخلاق لأنـه ليس هناك اختبار للحقيقة (يمكنك أن تقـرأ لهـؤلاء الـذين فنـدوا هـذه المسـأله,و أيضا ليس بمقدورنا أن نـزعم أن بعـض المُثـل جـديرة بـاهتمام نيتشـه (أى أنـه

يقدر هذه المُثل) ولا يهم أن يكون لديه نزعة لتفعيل هذه المُثل أم لا أو ما إذا كان حياديا وغير منحاز لأى منهم, ولكن هذا لا يعنى أننى ليس بمقدورى أن أكون ملتزما بشدة بالمثل الإنسانية ويمكننى أن أدافع عن مُثلى حتى الموت إذا تطلب الأمر ذلك, و ربما لا تعني هذه المُثل لنيتشه شيئا لكنها تعنى الكثير بالنسبة لى .

مغالطة مدرسة التسامح

حقيقة استناد المغالطة للمذهب الطبيعى تجرد المثل الإنسانية من موضوعيتها ، تلك الحقيقة لم تفزع أحدا , فالبعض تعامل مع هذه الحقيقة على أنها مصدر للفرح والسعادة ، حسناً , وإن لم تكن فرحا تماما فعلى الأقل تعتبر بلسما لشفاء الأرواح وتهدئتها , ذلك أنهم استندوا إلي غياب الموضوعية كأساس لبناء مغالطة أخرى جديدة .

ربما يعد وليام جيمس (1842 – 1910) أعظم فيلسوف أنجبته أمريكا ومع ذلك فقد حاول أن يستخدم مسألة غياب الموضوعية الاخلاقية كأساس للأخلاق التى تنادى بالمساواة بين جميع البشر وهكذا فقد ارتكب خطأ ,و سوف أعرض وأنقد المجادلة الخاصة بجيمس ثم اتناول نسخة تم الحط من قدرها من مناقشة دائرة الآن فى أمريكا أُطلق عليها مسمى (مغالطة مدرسة التسامح) لأنها بذلت جهدا كى تبرر التسامح أو شيئا من قبيل الظل الباهت للتسامح أو القبول .

مناقشة جيمس يمكن عرضها كقياس منطقى :

المسلمة الرئيسية : ليس هناك معيار للموضوعية فى الأخلاق يمكن الدفاع عنه

المسلمة الثانوية : هذا يعنى أننا ليس بوسعنا أن نصف مطالب بعض الناس على أنها موضوعية , لكننا نضعهم على المقدمة وقبل مطالب أناس آخرين

الاستنتاج : لذا يجب أن نتعامل مع كل المطالب الإنسانية على أنها جديرة بالإشباع دون الاشارة الى ماهية هذه المطالب أو تتعلق بمن .

يتضمن الاستنتاج أنه يجب أن نُشبع أكبر عدد ممكن من الحاجات الإنسـانية ولا نفضل مطالبنا على مطالب الغير ،إنها لفضيلة جذابـة بالنسـبة للـبعض , و مـع ذلـك فـإن الاستنتاج لايصح بالضرورة لأنه يتناقض مع المسلمات , وهـذا أمـر صـحيح حقـا , فغيـاب الموضوعية فى الأخلاق يعنى أن المُثل الانسانية ليس لها مكانة خاصة بمعنى أننـا يجـب أن نتناول كل المثل على أنها جديرة بالاحترام حتـى وإن لم نـدمجها فى الـنفس بحيـث تصـيح مبدأ هاديا . لكن الاستنتاج يخبرنا أنه يتعين علينـا أن نعامـل مطالـب الاخـرين عـلى أنهـا جديرة بالاحترام سواء أضفينا عليها صفة ذاتية أم لا , و يجب التأكيد على أن لكل مطلـب إنساني حالة موضوعية ألا وهى أن مطلبك ومطلبى يقفان على قدم المسـاواة ومـع ذلـك فأنا أهتم بمطلبى فقط .

إذا كنا نفتقر إلى معيار الموضوعية فى الأخلاق , فإننـا بالكـاد يمكننـا الـتملص مـن القول بأن بعض المطالب الانسانية لايمكن وصفها على أنهـا موضـوعية الى القـول بـأن كـل المطالب الانسانية يمكن صفها على أنها موضوعية ,لاحـظ أن هـذه المناقشـة تعتـبر صـورة طبق الأصل من المغالطة عديمة الجدوى ,فالأخيرة تدعى أن نتعامل مع كل المثل الانسانية بما فيها مُثُلنا على أنها أخفقت فى الاختيار الخاص بالموضوعية والذى لـيس لـه وجـود , و يقول جيمس إنه يتعين علينا أن نتناول كل الحاجات الانسانية وكأنها نجحـت فى الاختبـار الذى ليس له وجود وهو اختبار الموضوعية .

لم يقرا أغلـب الأمريكـان لجـيمس ، ولكـن لـديهم حجـة يسـتخدمونها كى يـبرروا التسامح المشابه فى بنائه المنطقى :

المسلمة الاولى : كل القيم متقاربة ثقافيا

المسلمة الثانية : هذا يعنى أنه ليس لدينا مبرر كى نفضل أية قيمة على أخرى

الاستنتاج : علينا التزام بأن نكون متسامحين وأن نتعامل مع كـل القـيم عـلى أنهـا صـالحة وصحيحة بشكل متساوى .

هذه المناقشة أيضا تدحض نفسها بنفسها عندما يتم إدراك أن الالتزام بكونك متسامح هو فى حد ذاته مبدأ أو قيمة أخلاقية ، وليست شيئا آخر ، فهي ليست على سبيل المثال ثمرة لفت , وطبقا لشروط المناقشة ليس لدينا مبرر كى نفضلها على عدم الاحتمال أو الجزع , و قد يقول البعض إنه فى حين أن التسامح ليس له علاقة منطقية بالنسبية الثقافية إلا أنه يعتبر رد فعل سيكولوجى مناسب بشكل واضح, لكن فى الحقيقة ، رد الفعل يعتمد على الشخص : لا يفرض علم النفس حدودا على نفسه , و عندما يخرج خارج حدود المنطق فقد يذهب فى أى اتجاه بدءا من تقرير التنوع والتسامح إلى ازدراء البدائيين مع الشعور بالرضا عن النفس .

على أيه حال ، قيل الكثير من أجل توضيح أنه عندما يقيم الأمريكان مُثُلهم بشأن المساواة على أسس غير موضوعية فى الاخلاق فهم فى الحقيقة يبنون قصورا فوق الرمال , عندما يتم تقديم التسامح وإعطاؤه الأولوية فإن هذا شئ خاطئ أيضا , كما أن الانتماء المغالى فيه للمجموعة وحكم النخبة كلها يجب أن تلقى المصير نفسه , و لا يجب أن تتعارض أخلاق التسامح مع الدفاع عن الحريات المدنية أو حرية التعبير فهي بذلك تعرَف نفسها على أنها كراهية فطرية لحرية التعبير ، بمعنى أنها تناقش وتتناول موضوع المجتمعات الإنسانية أو المجموعات المختلفة بطريقة قد تنطوى على الحكم على جماعة ما وتفضيلها على أخرى .

إن بعض الموضوعات التي يُمنع مناقشتها تتراوح بين كون بعض الممارسات الثقافية تعتبر خطأ غير مسموح به (حتى ختان الإناث من المفترض أن يكون من المسموح به) أو أن البيض والسود يختلفون بنسب فى قدراتهم أو استعداداتهم الجينية للذكاء . وقد قضيت وقتا طويلا وأنا أقاوم القضية الأخيرة ، لكن ما أغضبنى حقا هو أن الطلاب الصادقين الذين يختلفون معهم فى الرأى تم إسكاتهم بالصياح المعادى , فى الجامعات و فى كل الأماكن ، من قِبل أعضاء هيئة التدريس والطلاب وكأن ذلك نصر مؤزر على الواقع الذي نعيشه .

إن أخلاق التسامح غريبة بمعنى أنه لا أحد حقيقة يؤمن برسالتها, تخيل أن شخصا غريبا لدرجة أنه يؤمن بأن كل المطالب الانسانية هى مطالب نبيله بشكل

متساوى ، فعلى سبيل المثال المتعة فى تعذيب الآخرين (حتى ولو كانت الضحية ترضى بذلك) هى مساوية للمتعة التى تحصل عليها عند سماعك موتسارت وأن ختان الإناث يعادل فضيلة الصدق , و من المفترض أنه لايعتقد ذلك بل هو فقط لايحبذ تصنيف المطالب الإنسانية على الإطلاق حتى أن عدم التصنيف يأخذ الأولوية على محاولة تخفيف الألم (مع إلغاء ومنع ختان الاناث) حسنا ، إذا كان هذا ماتعتقده ، فإن هذا النوع من الأخلاق يمثل قيمة بالنسبة لك , لكن تأكد تماما أن هذا هو ما تؤمن به حقا . لا تعتقد أن غياب الموضوعية فى الاخلاق بالإضافة إلى المنطق يجبرك على هذا الاعتقاد .

إن اصحاب الفكرة الخاطئة الخاصة بمدرسة التسامح الأغبياء يرددون دائما مقوله " لا تكن عقلانيا في حكمك ", يقولونها لكل واحد له مبادئ أخلاقية .كلا, إذا كان لديك أية مبادئ أخلاقية يجب ان تكون عقلانيا فى حكمك . ولك كل الحق فى ذلك

الطريق ذو الاتجاه الواحد

ان أفضل دليل على أن هؤلاء الذين يدعون أنهم يقبلون خُلُق التسامح أو الاحتمال غير المقيد لايقومون بذلك فى الحقيقة هو أنهم لايؤيدونه باتساق منطقى , ومن الدارج أن يُمنع النقد الثقافى فى بعض الدوائر الثقافية , ففى نيوزيلاندا هناك من يرفضون أن يوجهوا أى نقد للموراي (السكان البولينيذين الأصليين) لممارستهم التمييز على أساس الذكورة والأنوثة مثل منع النساء من التحدث فى المقابلات المهمة ذات الشأن لكن إذا كنا نعتقد أنه من الخطأ أن نوحة اتهاماً اخلاقياً الى السلالات الثقافية فإن يتعين على الشعب الماووى ألا يتهم الاوربيين بالظلم .

إن القانون الذى يتعارض مع الأحكام الثقافية بشأن القيم له شرعية صائبة حقيقية, ففى بعض الأحيان قد يصلح نمط من أنماط السلوك فى مجتمعنا ،

لكن لو تم تغيره فى مجتمع ماقبل الصناعة ، فإن التغيير قد يمـزق النسـيج الثقـافى بأكملـه وبشكل فعلى و قد يكون لهذا ثمن باهظ يتعين دفعه . لكننا لانستطيع أن نسـتثنى أناسـا من فقد ممارستهم الثقافية تبعا لرغبة أو هوى .

إن مغالطة مدرسة التسامح تعد حقيقة نسخة معدلة من المغالطة المسـتندة إلى المذهب الطبيعى . دعنا نعيد صياغة المغالطة المستندة إلى المذهب الطبيعى لتكـون عـلي النحو التالي : ليس هناك جسر يربط القضايا التى لا تعتبر بعـض التصرفـات عمـلا أخلاقيـا مع القضايا التى تعتبر بعض الأفعـال أخلاقيـة, كـما أن كوننـا نؤكـد غيـاب الموضـوعية فى الأخلاق ليس له علاقة بتفضيل بعض التصرفـات عـلى غيرهـا . إنهـا تـزعم أن كـل القضـايا الأخلاقية فى نفس المركب ، لا يهم أى الافعال يعضـدونها, وتقـول المغالطـة المسـتندة إلى المذهب الطبيعى إن كل القضايا الأخلاقية لاتستحق الاهتمام سوى تلك التى يضفى عليهـا أصحابها صفة ذاتية, و لايمكنك أن تصل من كل ذلك الى الحكم بانه يتعين على أن أحجم وأمسك عن التدخل في أى سلوك لأى فرد أو إدانته .

السخط والجهل

معظم المفكرين لايعرفون بالفعل ماهو الشئ الذى يقف عـلى المحـك فى أية مناظرة عن الموضوعية الأخلاقية عوضا عن ذلك فهم لـديهم إدراك غـير واضـح لفكرة أنه يعد من الخداع والمغالطة أن تجادل بدءاً من الحقيقة ووصولاً الى القيم ، وقد أدى هذا إلى رفـض فكـرة أن المبـادئ الانسـانية متميـزة, و عنـدما يتنـاولون النسبية الخلقية يعرفونها على أنها العدمية أو القبـول اللاعقـلى لجميـع القـيم أو كلاهما , و يرفض كتاب المقالات الصحفية النسبية الأخلاقيـة وكأنهـا أمـر اختيـارى وينتقدون الناس الأشرار وكأنهم اختاروا أن يكونوا نسبيين , و أنت إما لـديك حالـة تمثل الموضوعية فى مُثلك أو ليس لديك . أنه أمر يعزى إلى العقلانية ولـيس إلى

الاختيار . واذا لم تفعل ذلك ، فإن النتائج ليست سيئة للغاية , ويشار إلى أن هذه المقالات تمثل الموضوع الرئيسى لهذا الكتاب : فكل المؤلفين خريجو جامعات و كنت أتمنى لو أننى كنت موجودا فى جامعاتهم كى أعطيهم قدرا من الثقافة الرفيعة كى يتسنى لهم التفكير بوضوح لكن هذا غير طبيعى – كلمات من الأفضل عدم ذكرها .

(5)

أمر غير طبيعي: كلمات لا يمكن البوح بها

المفهوم المضاد (5) الاحتكام إلى الطبيعة : من كل الأخطاء التى تصيب المجادلة الاخلاقية ، يعتبر هذا المفهوم الأكثر ضرراً حيث استخدم كى يغطي كل القضاياما بدءاً من حقوق الشواذ, و مرورا بزرع القلب ، وحقوق الملكية ،وصولا إلى مميزات وحماية البيئة .
النظرة العامة التمهيدية : التناغم و الوفاق مع البيئة ، عدم التدخل فى البيئة ، محاكاة البيئة, التعامل مع البيئة برفق وعقلانية , محدودية الفلسفة .

إن الاحتكام إلى البيئة يعد نوعا من الإفلاس فى المجادلة الأخلاقية لكننا لانستطيع أن ندينه كمثال للمغالطة المتعلقة بالمذهب الطبيعى, و قد سلم جون ستيوارت ميل (1806 – 1873) بذلك فى مقاله العظيم بعنوان "عن الطبيعة" ومنه آخذ الآتى . سأكون قاسيا وغير متساهل عندما أزعم أنه عندما يقول شخص ما " إن معيار الخير والشر هو ما إذا كان الشئ فى تناإم مع الطبيعية أم لا " فإنهم بقولهم هذا يقررون التطابق بين كلمة " خير " وبين كلمة " الطبيعة " وهذا قد يسبب الضجر لأنه يعنى ببساطة استبدال كلمة فى جملة بأخرى مثل الولع باستبدال كلمة سيارة بكلمة عربة من غير حصان وفى كل مرة نجد هذه الكلمة

على العكس فإنهم يعنون أن التناغم مع البيئة هو اختيار أو معيار لجودة الشئ : إن الطبيعة تحمل فى طياتها نوعا من الخير يتعلق بذاك الشئ ويجعله مصدرا رائعا للنصح الأخلاقى, و إذا كان هناك ثمة شئ طبيعى فإن هذايضيف إلى جودته أما إذا كان غير طبيعي فإنه لا يضيف شيئا وتجدر الإشارة إلى أن نقدى لهذه الفكرة سوف يركز على كيفية استخدامها فى الحاضر ,افلاطون وارسطو لديهما

مفهوم مختلف عن الطبيعة ، بمعنى نموذج لحقيقة كل شئ قد يزودنا بمعلومات عن هيئته الكاملة , و أعتقد أيضا أأهم مخطئون ، ولكن هذا لا يظهر سوى بالتحليل العميق . تذكر أننا في كل وقت و حين لن نسأل عما إذا كنا نقدر جمال الطبيعة والجداول ، لكن عما إذا كان بإمكان الطبيعة أن تزودنا بمعيار يخبرنا بماهو جيد وماهو سيئ.

معيار التناغم مع الطبيعة

ماذا نعنى عندما نقول إن هذا الفعل فى تناغم مع الطبيعة ؟ فنحن لانعنى الطبيعة كوحدة كاملة وكل قوانينها الفيزيائية لأن هذا قد يؤدى إلى العبثية وأن كل مانفعله ونقوم به من أفعال يكون سليما وحسن, كل فعل إنسانى يخضع لقانون الجاذبية سواء القينا بطفل من فوق السطح أو أطلقنا صاروخا إلى القمر, فكل فعل إنسانى يخضع لقوانين الكيمياء , سواء أعطينا السم لأحدهم أو أعطينا الطعام للجوعى بوسعنا بالطبع أن نشير إلى ان الفعل هو ذاك الذى تميل الناس بشدة الى القيام به مثل ممارسة الجنس , أو حب الذرية ,أو هو عمل يميل معظم الناس اليه مثل ممارسة الحب مع الجنس الأخر ، أو القاء نكات لكن يتوجب عليك ألا ترتكب المغالطة المستندة إلى المذهب الطبيعى : ليس هناك ما يدل على أن مايميل الناس الى فعله يتضمن كون هذه الاشياء صالحة أو صحيحة حيث يميل البشر بشكل فطرى الى القذارة ويشهد على ذلك صعوبة تعليم الأطفال عادات النظافة (تأتى النظافة فى مرتبة تالية للتقوى أو الورع) كما أن معظم الناس يميلون إلى الابتعاد عن المخاطر وهذا يبرز السبب وراء تدريب الجنود تدريبات أساسية وتعويدهم على سماع صوت الذخيرة الحربية الحية فوق رؤسهم . لكن القذارة والجبن لايقعان تحت مسمى الفضيلة .

هنا , يمكننى الإشارة الى مسأله ملحة : عنـدما نقـول إن النظافـة أو الشـجاعة أو مبـاشرة الجنس هى أمور فطرية فنحن ربمـا نعنـى أن عـدم ممارسـة هـذه الاشـياء يـؤدى بنـا إلى الأمراض أو الهزيمة فى الحروب أو انهيار المنظومة الاسرية . بعض هـذه المـزاعم قـد تكـون خاطئة (انظر سريع 5.1) لكن على الأقل هذه المزاعم تحمـل فى طياتهـا يئـا مـن الصـحة ومع ذلك , عندما نقول أشياء مثل هـذه فـإن كلمـة فطـرى تختفـى تمامـا ويحـل محلهـا الإشارة الى النتائج المترتبة والتى يعتبرها الناس سيئة دون الإشارة على الإطلاق إلى البيئة.

معيار عدم التدخل فى الطبيعة

اذا كان مفهومنا عن الطبيعة هو الكون الفيزيائى الذى لم يتـدخل فيـه الإنسـان ، وإذا أخذنا هذا المفهوم حرفيا ، فإن هذا يعنى شيئا سخيفا ومنافيا للعقـل كـون كـل شـئ نقوم به يعتبر خاطئا , فكل مرة أتنفس فيها ، أغير فى منظومة الهواء من حولى

جدول 5/ 1مؤسسة الزواج

وكأن الخطر الرئيسى الذى يهدد الاسرة ليس هو أن النـاس المسـتقيمن يتركـون أسرهـم بمجرد إدراكهم لوجـود متعـة أكـثر فى مكـان آخـر ولحسـن الحـظ ، مـازال هنـاك بـين المتزوجين من هو ملتزم بشكل حقيقى فمثلا كان فلاديمير ناكون (صاحب رواية لوليتا الشهيرة) يكرس حياته لزوجته فـيرا وكانـت هـى كـذلك . كانـت تـحضر كـل محـاضرة يلقيها و وكان أى طالب يهمس لزميله أثناء إلقاء زوجها للمحاضرة توبخه قائلـة : هـل تدرك أنك بحضرة عبقرى

يبدو كانه شئ مستذل ، لكنه ينطوى على شئ بالغ الأهمية فنحن لا نحاكى البيئة ولا نحميها بأكملها ولكن فى الحقيقة نحن ننتقى ونتخيروحتى عديم التأمل الطائش يفعل ذلك دون وعى ، بمعنى ، أنهم يستبعدون بعض التصرفات على أنها تضر بالبيئة دون اأى توضيح لما استندوا عليه فى اختيارهم لهذه التصرفات بعينها دون غيرها فعلى سبيل المثال ، يعد زرع القلب عملا يخالف الطبيعة ، فى حين أن الجراحات الأخرى المتصلة بالقلب لاتعد كذلك , هذا يعد مثالا موسعا لما كانت عليه التدخلات فى الطبيعة وما أصبحت عليه الآن . لقد أخذ الناس الكثير من الوقت كى يعتادوا على السفر بالطائرة ولو كان الله يريد منا أن نطير جوا لخلق لنا أجنحة (مربع 5.2)

فى بعض الاحيان , نسلم بأن كل شئ نقوم به يتداخل مع الطبيعة لكن مايتدخل بشك أقل يكون محبذا عن الذى يتدخل بشكل كبير, على سبيل المثال ، إعلانات التليفزيون تخبرنا ان الزبدة بها إضافات كميائية أقل من تلك الموجودة فى السمن الصناعى النباتى .. هذا مفهوم سخيف (هل يمكن لأى فرد أن يفضل الماء عن الخمر لأننا لانتدخل فى صنعه) , قد يبدو أنه مع الخداع لن نزعم أن هناك من يعتقد ذلك ، لكنهم يجب أن يعلنوا عن منتجهم بهذا الشكل ، وإلا سوف تتوقف الإعلانات فقد يكون من المعقول والمتقبل أن نفضل الزبدة عن السمن الصناعى لأن الأبحاث الحديثة أثبتت أنه ربما ، فى النهاية ، تكون الزبدة صحية بشكل أفضل لقلبك ولكن مرة ثانية ، كلمة طبيعى قد اختفت وظهر مصطلح آخر اكثر علما ألا وهو " أفضل لصحتك " والذى حل محل المصطلح الاول.

معيار محاكاة الطبيعة

هذا المعيار يبرز فى الحال التساؤل عن أى جزء فى البيئة ينبغى ان نحاكية أو نقلده ؟ إذا كان يجب علينا أن نحاكيها كلها ، كما قال ميل ، فنحن سوف نرتكب جرائم أسوأ من البروجواز (بدلاً من هتلر) . الطبيعية تقتل الابرياء بالزلازل

،وحرائق الغابات ،النمور التى تقتل الاطفال فى الهند ،مالم نريد أن نصبح أشرارا فانه يتعين علينا الانتقاء والاختيار عند محاكاة الطبيعة

مربع 2/5:اللـه ومانعة الصواعق

يتعين علينا أن نلقى بالا لهؤلاء الذين يعتقدون أن بعض أحداث الطبيعة هى مؤشر على قدرة اللـه . وكما ذكر بيرتراند راسيل (1950) عندما ضرب الزلازال مدينة بوسطن ، فإن العديد من علماء اللاهوت اشاروا الى ان بوسطن تمتلك مانعات الصواعق أكثر من أية مدينة أخرى حيث إن قاطنى بوسطن تدخلوا فى الشئون الإلهية التى تضرب بيد من حديد على الآثمين (وذلك باصابتهم الصواعق الرعدية) اكن الإله لايعجزه شئ فقد أرسل عليهم الزلازل عوضا عن الرعد وسوف نتناول بالشرح فكرة الإرادة الإلهية فى الطبيعة وذلك فى الفصل 15 لكن راسيل يدعونا أن نكون يقيظين حيث يتخيل أن الإله قد قرر أن يخلق شيئا ما فخلق الكون الذي نظم نفسه الى مجرات يضم بعضها كواكب قادرة على أن تحافظ على نفسها, وكذلك مركبات الكربون التي تتضاعف من تلقاء نفسها, و تتطور الحياة إلى بشر يقومون ببناء المدن و شن الحروب, هنا يمحو اللـه الجميع و يقول"حسنا إنها لعبة لطيفة و سوف أكررها في وقت آخر, تجدر الإشارة إلى أن مثال زرع القلب والذى صنف على أنه غير طبيعي يعتبر مثالا لم يكن من اختراعنا, فقد قامت إحدى كاتبات المقال في الصحيفة التي أعمل بها على النحو التالي.. لقد تساءلت كيف يمكن لله أن يقرر من صاحب القلب .. المتبرع أم المتلقي, و عموما وجدت بعض السلوى: بعد أن قرأت بحثا عن كيفية استحدام قلوب الخنازير ذكرت أن هذا يعد دليلا جيدا يدحض نظرية النشوء و الارتقاء, و على الأقل فإن قلوب القرود لا يمكن ان تصلح في عمليات الزرع و لقد استمتعت كثيرا بخطاباتها إلى المحرر, و لقد ذكرت أنه لم يشكو الناس أثناء فترة الكساد في عام 1933

إذا كنا بشرا حقيقيين فإننا نهتم بعمليات معينة في الطبيعة مثل الحقيقة الي تقول بإن معظم الأجناس تهتم بالذرية, و إذغ كنا فوضويين فإننا نهتم بمسألة عدم وجود ملكية خاصة في الطبيعة بحيث تجعل شيئا ما ملكي و شيئا آخر ملكا لك, و إذا كنا شريرين فإننا نختار شريعة الغاب التي تقول بأن البقاء للأقوى مع افتراض أن علي الناس أن يشتركوا في السباق على إراقة الدماء كما لو كان مطلوبا منا أن ندور حول أنفسنا مثل الكواكب, و في كل الحالات نحن لا نستعير من الطبيعة بشكل متجرد و لكننا نستخدم مبادئ موجودة سلفا للحكم على الطبيعة.

معيار حماية الطبيعة

هذا يثير فى الحال سؤالا يتعلق بأى جزء من الطبيعة يجب علينا أن نحافظ عليه أتمنى أن يحب كل فرد منا حماية الحدائق من سماسرة العقارات ، وحماية الجبال من أزالة القشرة الخارجيه لها وحماية تنوع الأجناس التى تعيش على الأرض ، وما إلى ذلك لكن الفكرة هى أن هذه الأشياء يقدرها العديد منا ، وهذا هو السبب وراء كونها ذات قيمة ,و مالم تكن مؤمنا بالموضوعية الأخلاقية فلن يكون للطبيعة أية قيمة جوهرية بالنسبة لك .

في الغالب ، إن تأمل البيئة ، والقمرالذي يسطع على سطح المحيط ، والطبيعة المعقدة الرائعة لمستعمرة نمل ، أو روعة الدب القطبى ،كل هذا يثير إحساسا من السمو وأن الطبيعة لها قيمة جوهرية , وأفضل طريقة للتخلص من هذه الفكرة هو أن نؤكد ، مرة اخرى على أننا ننتقى ونختار فاختفاء جليد القطب الشمالى قد يكون ذا أثر سيئ على الدببة القطبية ، لكنه فى صالح الأنواع الاخرى والتى قد تعمل علي توسعة مواطنها كما أن اختفاء الحيتان قد يكون ملائما للكائنات البحرية التى كانت الحيتان تلتهمها , و حماية العشب تعنى قتل البعض الآخر الذى قد يكون ضارا .

إن الاعتقاد بأن للبيئة صفة خاصة جعلها تبدو نفيسة وذات قيمة فهذا شئ , ولكن الاعتقاد بأن كل أجزاء الطبيعة المتعددة لديها قدرة أكبر من هذه الخاصية ، وقدر متنوع يضعهم فى تسلسل هرمى يتوافق مع درجة إعجابنا ، فهذا شئ أخر, إن للطبيعة قدرا وأهمية للدرجة التى نمنحها نحن بتقديرنا إياها فأنت عندما تقتل حشرات البرغوث من أجل مصلحة كلبك ، فأنت تقدم على اختيار معين ، لم يخبرك شئ فى الطبيعة بكيفية هذا الاختيار . أعتقد انه تقصير من الناس إذا لم يتمتعوا بالأماكن التى لم تمتد إليها يد الإنسان . لكن ليس هناك طريقة مختصرة لاقناع الناس بأن يكون لديهم حس جمالى أكثر رقيا فإذا أخبرت هؤلاء أن موقفهم هذا غير طبيعى فهذا لافائدة منه مثلما تقول للشواذ إن ممارساتهم الجنسية غير طبيعية .

إن الحفاظ على الطبيعة على أساس أننا نبغى بيئة صالحة للكائنات الإنسانية كى يعيشوا فيها ، هو بالطبع نفسه القصة المعهودة لاستبدال كلمة بدلا من "طبيعى" بكلمة "الحماية الذاتية", باختصار ، إن استخدام كلمة طبيعى فى المناظرة الاخلاقية دائما ما يكون له تاثير عكسى . عندما تنطوى على معنى فإنه من المفيد أن نستبدل الكلمة بأخرى تشير الى الشئ ذي القيمة المتضمن (الصحة – الحماية الذاتية), ان الاستخدام الحقيقى للكلمة هو أشبه بكلمة مستأسدة فالقول بأن شيئا ما يعتبر غير طبيعى فهذا بمثابة الورقة الرابحة التى تفوز بالمناظرة ، وعليك أن تنسحب وأنت تجر أذيال الخيبة .

استخدام كلمة " طبيعة " بحذر

إن الحقيقة التي تقول بأنه يتوجب عليك ألا تستخدم كلمة طبيعى / غير طبيعى فى الجدل الأخلاقي لايعنى أنه يتوجب عليك أن تكون متحذلقا لدرجة أن تمحو هذه الكلمة من مفرداتك , يتعين عليك أن تستخدم هذه الكلمة عندما لاتسبب أذى . انه ليبدو شئ غير ملائم أن تبحث عن كلمة أخرى غير كلمة

طبيعى فى كل مرة تقول شيئا ما مثل " إنه لمن الطبيعى أن تعتنى بأطفالك بقدر أكبر من الاعتناء بأطفال جيرانك " كلنا نفهم ماتعنيه أن الحب هو الذى يجعل الناس القريبين والأعزاءعلينا ذوى مكانة متميزة عندنا , إنك لاتستخدم كلمة " طبيعى " كى تكسب المناظرة لصالحك .

حدود الفلسفة

ماتعلمته من الفلسفة قد يكون غير ذى جدوى إذا تجادلت بشكل حقيقى مع البعض , فالدوافع وراء عدم انفتاح الناس على الحقيقية غفيرة إذ ربما يشعرون بالخوف من حقيقة أنهم لن يقيموا الدليل على حججهم . فالمتدينون الذين كانوا يعتقدون أن الأرض مسطحة قد اسسوا لقيام الصهيونية عندما أخذ أحدهم قائدهم على متن طائرة كى يتسنى له التحقق من كروية الأرض ، هنا اقتنع أن الأرض ربما تكون كروية, و إذا فقد الإنسان عقله ,يصبح العقل فى هذه الحالة عديم الجدوى لكن هذا ليس بجديد : فأنت ليس بإمكانك أن تقنع حجرا أن اأرض كروية

هذا لايعنى أنه يجب أن تستسلم ,فعندما ذهب مارتن لوثر كينج إلى مونتجومرى فى الباما ، لم يكن البيض بوسعهم أن يتقبلوا بالدليل القاطع أو الحجج المنطقية أن السود ليسوا قاصرين للأبد . ومع ذلك عندما رأوا بأم أعينهم استطاعة وقدرة السود على مقاطعة الحافلات ، وذكاءهم فى إدارة مشروع للنقل بالسيارات خاص بهم على الرغم من صعوبة ذلك وشجاعتهم فى قبول العنف مع عدم مقابلتهم بالمثل فإن بعض البيض بدأوا فى تغيير نظرتهم إلى السود . قالوا لبعضهم البعض " ليس بامكاني تحمل ذلك من أجل ما أؤمن به " ان بعض الدلائل الظاهرة والمكررة قد تكون مضللة وتكون أكثر تأثيرا من المجادلة العقلانية .

مهما كانت حدود قدرتنا على إقناع غير العقلانيين , فإن المناظرة الأهم هى التى تجرى داخل عقلك . إذا عرفت كيف تستخدم المنطق والدليل كى تعضد من مبادئك و المبادئ التي يحثك الناس عليها يمكنك الانخراط في مراتب الناضجين أخلاقيا و ليس من يشبهون الحجارة.

الجزء الثاني

حقيقة البشر

(6)

العينة العشوائية – الكيف وليس الكم

المفهوم الدال : (6) العينة العشوائية : عندما لايروق استطلاع الرأى لأحد من المعنيين بالسياسة أو أى أحد أخر , فإنهم يقومون بتسفيه هذا الاستطلاع ويشيرون إلى أن فقط 400 شخص أو حتى 1000شخص هم الذين شاركوا, لقد حان الوقت لأن نوقف ذلك
النظرة العامة التمهيدية : الكيف وليس الكم – الأهمية الإحصائية, لماذا يفضل الناس الاقتراعات السيئة .

القليل من علم الاجتماع يساعدك فى فهم كل شئ ابتداء من استطلاعات الرأى العامة ، مروراً باختيارات الذكاء وأهميتها والعِرق ومناظرة اختبار الذكاء ,إنه كذلك يسمح لك بتقييم الدراسات التى تزعم بأنها تمدك بمعلومات عن الطب ، والتعليم الخاص ، كيفية تدريس الرياضيات ، منع الحمل ، ومايخفيه لك المستقبل من مفاجآت وسوف أبدأ بسؤال نسمعه كل مرة يعلن فيها عن استطلاع رأى : لماذا يتوجب على أن أثق فى استطلاع للرأى شارك فيه القليلون إذا ماكنت تريد ان تعرف ماهية اتجاهات 130 مليون امريكى يبغون المشاركة والإدلاء بصوتهم فى الانتخابات ؟

الكيف وليس الكم

الإجابة هى أنه إذا حصلت على عينة عشوائية حقيقية فأنت لست بحاجة الى أعداد وفيرة , أما اذا كانت العينة متحاملة أو متحيزة فإن الأعداد الوفيرة لاتساعد فالعينة العشوائية هى تلك التى يكون فيها كل فرد فى السكان المنتخبين

له فرصة عادلة فى تضمينة فى العينة .إن الاختيار بالصدفة يحقق هذا ، وأية طريقة أخـرى غير هذه تؤدى الى إلتحيز أو المحاباة .

حقا إن أعظم قيمة للعينة العشوائية هى أنها ليست عينـة متحاملـة أو متميـزة ففى سنة 1936 شارك روزفيلت فى إعادة الانتخابات الرئاسية ضد لندن و قد أجرت مجلة ليترارى دايجست استطلاع رأي ضخم عن طريق التليفون والذى تنبأ بخسارة روزفليت , و لكن روزفليت فاز محققا انتصارا ساحقا و بالتالي أغلقت المجلة أبوابها , أما فى هذه الأيام , وأثناء الكساد الاقتصادى ، كـان العديـد مـن الامريكـان الـذين ينتمـون للطبقـة العاملـة لايمتلكون هواتف ,لذا فإن العينة كانت غير حيادية وانحازت إلى طبقة الأغنيـاء والأغنيـاء كانوا محافظين (ينتمون لحرب المحـافظين) والعديـد مـنهم كـان يكـره روزفيلـت , والآن يظهر جليا لك أن الأعداد الكبيرة لايمكـن أن تسـاعد فى نجـاح العينـة غـير الحياديـة, فـإذا استبعدت العينة 50 مليون امريكى فقيرا يمكنك ان تعتمـد عـلى الــ 250 مليـون البـاقين , ولن يتسنى لك فعل أى شئ ازاء الانحياز.

الدلالة الاحصائية

بعيدا عن كونها تخلو من التحامل أو المحاباة ، فإن الشئ الرائع بخصوص العينـة العشوائية هو أنه بوسـعنا اسـتخدام الحسـابات كى نحسـب الأعـداد التـى نحتاجهـا بغيـة الوصول إلى الدقة المعقولة , النتيجة قد تبهرك , كما أن العدد المعد للعينة يمكن أن يكـون كبيرا كما تشاء : قد يكون 300 مليار وهذا لن يشكل أى فرق لو أمكنك الحصول على عينة عشوائية ، فأنت ببساطة لست فى حاجة إلى أعداد كبيرة .

تخيل ان عندك زجاجة تحوى عددا لانهائيا من الكـرات بداخلـه وكـل كرة ترمز إلى ناخب معين, كذلك تخيل أن كفتـي الـديمقراطيين والجمهـوريين

متعادلتان ، لذا فإن نصف الكرات تحمل " د " اشارة الى الديمقراطيين ، والنصف الاخر يحمل " ج " اشارة الى الجمهوريين و لكى تحصل على عينة عشوائية ، فإن كل كرة فى الزجاجة يجب أن يكون لها فرصة متساوية فى اختيارها فى كل مرة من مرات الاختيار هذا ليس بصعب ,اذا التقطت كرة دون أن تنظر ثم تعيدها مرة أخرى فى كل اختيار ، رج الزجاجة جيدا فى كل مرة ، والتقط 400 مرة سوف تحصل على عينة عشوائية لـ 400 .

معظم الناس يبغون الفوز بنسبة 19من 20 على الأقل من الفرص المتاحة , فى الحقيقة أنا غير متأكد من أن هذا صحيح لدى عامة الناس ، لكن يجب أن يكون صحيحا لدى علماء الاجتماع , واذا كنت قد سمعت ذات مرة شخصا يقول إن نتائج دراسة ما ذات دلالة إحصائية ، فإن احتمالية أن يكون الشئ صحيحا ، يجب أن تكون على الأقل 19 من 20 , دعنا نقول إن مدى صحة اختياراتك يعني أنه يجب أن تكون على الأقل جيدة فى حدود الثقة .

كلما كبرت العينة ، قلت حدود الثقة . فإذا حافظت على 19فرصة من 20 ،من حيث الصواب ، سوف تعطى عينة عشوائية من 400 + أو – 5 % فى حدود المصداقية , وبعبارة أخرى إذا اعطت العينة الخاصة بك الديمقراطيين 53% تصبح فرصة الديمقراطيين تتراوح ما بين 48% و 58% هذا محدود جدا لدرجة يصعب إعلانها . لكن مع عينة مكونة من 1000فإن حدود المصداقية تنخفض لتصبح + أو – 3% ومع عينة 10000 تصبح +أو – 1 %. يزودنا مربع 1/6 بصيغة مبسطة لدقة العينات العشوائية ذات القياسات المختلفة وتثبت أيضا بالدليل أن العينات العشوائية لايجب أن تكون كبيرةجدا.

مربع 1/6 : دقة العينات العشوائية

الصيغة (لدقة تصل الى 19 فرصة من 20) هو أن تأخذ الجذر التريعى لحجم العينة ، وتقسم 100 على الرقم ، امثلة :

الجذر التربيعى لـ 400 هو 20، 100 مقسومة على 20 تكون النتيجة 5 و حدود المصداقية + أو-5%

الجذر التربيعى لـ 1000 يكون 32 ، 100 مقسومة على 100 تكون النتيجة 1 و حدود المصداقية + أو - %

تخيل اختيار كرات من الزجاجة مقسمة بتساو بين هؤلاء الذين يحملون علامة " د " أو " ج "

حجم العينة = 2 هناك فقط أربع عينات ممكنة ، وكلهم ممكن حدوثهم بشكل متساوى : ج ج د د دج ج د , لذا كرتان فقط قد تضع الديمقراطيين عند صفر % أو 100 % أكثر من كونها عند 50 % حدود المصداقية كبيرة + أو – 50 % ، فرص كوننا خارج هذه الصيغة هى أيضا 50%

حجم العينة 4 اذا كان حجم العينة = 4 فإن هناك 16 عينة ممكنة كل منها محتمل حدوثة بشكل متساو :

د د د د د د ج د د ج ج د ج ج ج ج ج ج ج ح ج ج ج ج د ج ج د د

ج ج ج د ج د ج د د ح د ح ج د د ج د ج ج د ج د ج ج د ج د د

ج ح د ح د د ج د

أنت الآن لديك فرصتان من 16 لوضع الديمقراطيين عند صفر % أو 100 % ، و أيضا لديك فقط 12.5 % (16/2 = 0.125) فرصة لوضع الديمقراطيين خارج ذلك تأكد من + أو – 25 % رفع العينة من 2 الى 4 ادى إلى تحسينات وتغيرات كبيرة .

اذا كنت تريد فرصة فى 20 تتخطى حدود المصداقية ، فإن عينة تتكون من 4 سوف تكون غير ذات جدوى ، بالطبع استخدام الصيغة الجذر التربيعى لـ 4 هو 2، 2/100 = 50 لذا فإن نطاق الخطأ هو +أو – 50% السابق ذكره يعطيك فقط النكهة او الصفة المميزة للدليل .

عند التنبوء بانتخابات فعلية , فإن مستطلعي الرأى يريدون شيئا أفضل من كيفية اتجاة عزم الناخبين على الانتخاب فى وقت معين حوالى 3 شهور قبل الانتخابات فهم يريدون ان يتتبعوا الاتجاهات التى تحدد من سوف يفوز ومن سوف يخسر وذلك أثناء تقدم الحملات الانتخابية , لذا فإنهم يأخذون عينة مكونة من 400 ، أسبوع بعد أسبوع ثم بعد ذلك عينة أكبر من ربما 1000/ قرب النهاية,و يشار إلى أن تكاليف عمل قائمة من 300 مليون امريكى واختيار 1000 ثم إجراء الاستطلاع عليهم قد تكون باهظة وسوف يحصلون على مايسمى بـ العينة الاحصائية . فهم يختارون بشكل متوقع مقاطعات متفرقة مماثلة للانتخابات السابقة , وعندما يحصلون على العينات ، يقومون بموازنة العينات كى يتأكدوا أنها تمثل كل الطبقات والأجناس وخلافه كما أخذوا فى اعتبارهم الناس الذين تغيبوا حتى هذا اليوم ، و تجدر الإشارة إلى أن استطلاع الرأى عن طريق الهاتف لن يأخذ فى الاعتبار ذوى الفقر المدقع .

لماذا يفضل البعض الاستطلاعات الرديئة

فى المرات النادرة عندما يخطئ الاستطلاع ويتنبأ بنتيجة مغايرة للواقع الانتخابى ، يتم الاحتفاء بذلك على أنه إثبات أن الاستطلاعات لايعتد بها دائما ، تصبح الاستطلاعات خاطئة عندما تكون الانتخابات وشيكة أو لأن العديد من الناس يقررون ويختارون من يصوتون له فى آخر أيام الحملات الانتخابية كما أن بعض الناخبين يختارون فقط عندما يصبحون بالفعل أمام الصندوق الانتخابى فى يوم لانتخابات .

إن الحقيقة بأن مستطلعي الرأى دائما مايكونون على حق تبرز أن العينة التي يختارونها كانت جيدة بالفعل والرسالة من هذا هي أن العينة العشوائية يمكن الوثوق بها أكثر من العينات المتحيزة مهما كبر حجمها , عندما يسخر شخص ما

من استطلاع مختار بشكل صحيح فهذا بسبب أن الأعداد ربما تكون صغيرة ، أما إذا أشار علينا ذلك الشخص بالقيام باستطلاع يحوى أعدادا كبيرة فهو ربما يكون جاهلا وعلى الأغلب فهم يفضلون النتائج التى يخرج بها الاستطلاع السيئ ولذا يضعونها فى المقدمة قبل الاستطلاعات الصحيحة , فالاستطلاعات السيئة والتى يفضلونها هى تلك التى يتداخل فيها الاختيار الشخصى مثل أن يتصل بأناس يعملون فى صميم الحملة الانتخابية ويدلون بترشيح ناخبهم .

قررمجلس مدينتنا ان يتقدم بمشروع لدفع ملايين من أجل بناء استاد رياضى جديد وأراد المجلس أن يحظى بدعم الأغلبية , لذا قاموا بإرسال ورق الاقتراع بالبريد إلى كل منازل مشجعى الرياضة ثم تم إحصاء عددهم و كان عليهم أن يعيدوا ورق الاقتراع بعد ملئ بياناته ، بعد ذلك ،قام باحث أكاديمى بإجراء استطلاع للرأى معتمدا على عينة عشوائية ومقابلات شخصية . أوضحت النتائج أن بناء الاستاد الرياضى يحظى بدعم الأقلية, و قد تم تجاهل هذا الاستطلاع حيث إن برامج التلفاز نادرا ماتعنى بدقة الاستطلاعات التى تقوم بها ولاهم لهم سوى دعوة المشاهدين للاتصال والمشاركة, هذا من شأنه أن يقدم نوعين من المحاباة التى تعتمد على الانتقاء الذاتى والذى يتمثل فى هؤلاء الذين يشاهدون البرنامج ، وهؤلاء الذين يتصلون ليشاركوا بالشيئ المفضل لديهم ، لكن هذا الاستطلاع من شأنه أن يحدث نشاطا وترويجا للتلفاز .

الأخذ بالاستطلاعات السيئة دون إدراك أنها كذلك

إن المعايير الخاصة باستطلاع الرأى الموثوق به لها علاقة بالحياة اليومية و يميل الناس إلى الحكم على الشخصية بعد عدة مقابلات حتى أنهم يمكن ان يقعوا فى الحب من أول نظرة دون الحاجة إلى عدة مقابلات , وإذا تناولت كل جوانب سلوك شخص ما بغرض الدراسة فإن عينة صغيرة لكيفية تصرف شخص ما

فى عشرة مواقف تعد كافية بالكاد, و لو كان سلوكا توددیا لأصبحت العينة منحازة.

يحاول كل سياسى منتخب أن يجعلـك تحكـم عليـه أو عليهـا مـن خـلال عينـات صغيرة من سلوكه على التلفاز ونحن نميل إلى إضفاء الصـفة الذاتيـة عـلى الـنماذج القويـة لبعض الأفراد الذين لانعرفهم على الإطلاق بدءاً من تونى بلير ، مـرورا بـالأميرة ديانـا أمـيرة ويلز ووصولا الى الأم تيريزا, إن السلوك على التلفاز أو التصرف كصديق , أوكزوج أو زوجة ، أو كرئيس ،أو كطالب ، هذه العينات ليست غير حيادية , و عندما تكوًن رأياً عن شخص ما ، اسال نفسك عن جودة العينة .

(7)

نسبة الذكاء : إعدام المتخلفين عقليا

المفهوم الرئيسى : (7) نسبة الذكاء (مامعنى ذلك) إن حقيقة استخدام اختبارات الذكاء أحيانا بشكل غير ملائم ، أو أن حقيقة تسجيلها الفروق العرقية ، جعلت منها موضع شك خاص لدى الأمريكان ,و لا تزيد في ملائمتها عن طرح شريط المقياس ، لأن الناس أحيانا ما يرتكبون أخطاء عند استخدامها أو لانهم يظهرون ان بعض الاطفال أقصر من الآخرين.
النظرة العامة التمهيدية : فهم درجات اختبارات الذكاء ، ضبط درجات اختبارات الذكاء ، طابور الموت ، دلالة درجات اختبارات الذكاء .

إن أول خطوة يمكن اتخاذها تجاه فهم درجات اختبارات الذكاء هى فهم الحقيقة بأنها تستند إلى معايير وقواعد,و يعني هذا أن ادرجات تعتمد على ماهية العينة العشوائية المأخوذة من السكان عندما تم تطبيق اختيار الذكاء فعلى سبيل المثال : إذا كنت أمريكيا وكان أداؤك يماثل تماما المعدل المتوسط لعمرك في المجتمع الأمريكي ، وبالتالي تحصل بسبب ذلك على 100 في اختبار الذكاء.

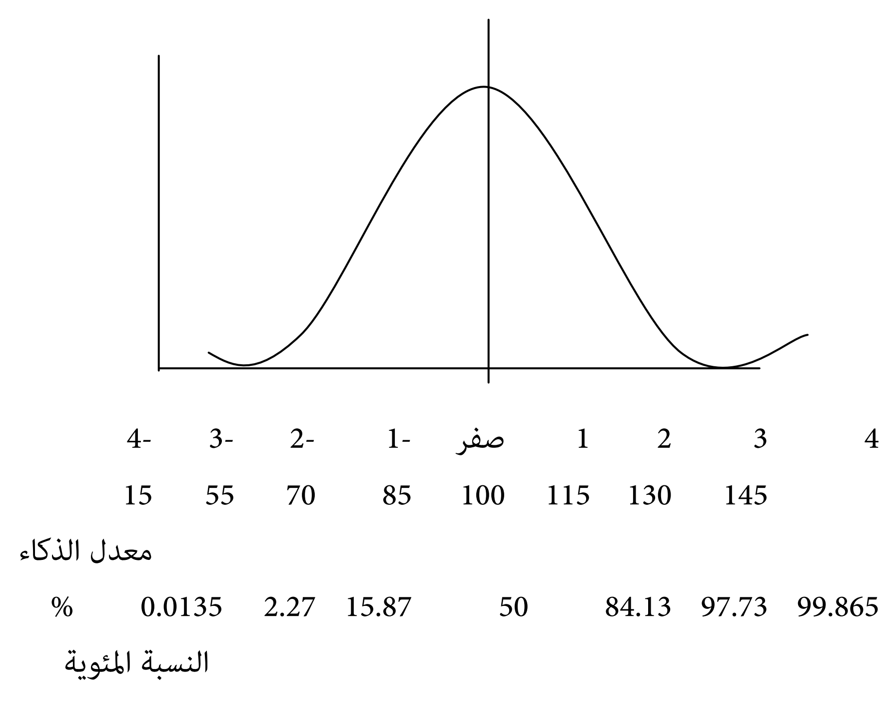
يذهب ناشرو الاختبارات إلى أماكن بعيدة من أجل اختيار عينة معيارية (المعايرة – التوحيد القياسى) والتى تقترب قدر الامكان من العينة العشوائية المختارة من السكان . و يختارون - مثلهم في ذلك مثل مستطلعي الرأى -عينة مقسمة إلى طبقات اجتماعية أكثر من العينة العشوائية بمعناها الحرفى . فهم يقومون باختيار مدارس متفرقة من جميع انحاء الدولة ثم يستبعدون بعض المدارس حتى تصبح البقية ممثلة للدولة من حيث مدنى / ريفى ، غنى /فقير ، أبيض / أسود ، الخ وبذلك يقتربون من أسلوب العينة العشوائية , و لقد قمت مؤخراً بتحليل 14 مجموعة من اختبارات الذكاءو وجدت أن العينات المكونة من أطفال

المدارس الأمريكان كانت دقيقة بنسبة + أو – 0.75 من نقاط معدل الذكاء . أما العينات الخاصة بالكبار فكانت دقيقة بنسبة + أو – 1.50 من نقاط معدل الذكاء , إن التقدير الجيد لاختبارات ويشسلر ستانفورد – بينيه فى امريكا (افضل الموجودين أو المتاحين) يرجع إلى أن معاييرهم كانت دقيقة بنسبة واحدة من نقاط معدل الذكاء , هذا لايعنى أن نتائج معدل الذكاء الخاصة بك يمكن الوثوق بها ، كما سوف نرى لاحقا .

فهم درجات اختبارات الذكاء

مامعنى درجات اختبار الذكاء ؟ إنها مقارنة بين عدد البنود الصحيحة التى تحصل علبها مع أداء العينة ذات المجموعة العمرية المتشابهة لك والمفترض انها تكون ممثلة لمجموع السكان , فلو كنت تبلغ من العمر 12 عاما، وحصلت على الرقم المتوسط المناسب لمجموعتك العمرية ، فأنت لهذه الاسباب تحتاج إلي 100 درجة في اختبار الذكاء ، و إذا كانت النتائج فوق المتوسط دعنا نقول أكثر من 84% من أقرانك ، فسوف تحصل علي 115 درجة على اختبار الذكاء، و السبب الفنى وراء ذلك هو أن الترتيب الرابع والثمانين فى النسبة يساوى انحراف معيارى واحد فوق المتوسط وان قيمة الانحراف المعيارى (**S D**) محدد عند 15 نقطة, و إذا نظرت الى الشكل 7 /1 ، سوف ترى المنحنى المعتاد المشهور ، الارقام التى بأسفله تشير إلى أرقام الانحراف المعيارى وأن نتائج معدل الذكاء أعلى أو أقل من المتوسط . لكنك سوف تكون مهتما بشكل أساسى بما يعنيه معدل ذكائك فى ضوء الترتيب .

وكما يتضح فى الشكل 1/7 فإن 145 درجة في احتبار الذكاء تعنى أنك أعلى من 999 فرد من أصل 1000 , كم أن 130 درجة تضعك فوق 98% من أقرانك , و لو أن شخصا حصل على 85 درجة ، فإن هذا يعنى أنه يتفوق على 16% من أقرانه



شكل 7. /1 الانحرافات المعيارية ، نتائج اختبار الذكاء ، الترتيب النسبى

و إذا حصل شخص على 70 فهو يتفوق على 2 % من أقرانه , أما الحصول على 70 درجة ، فهذا عادة ما يستخدم كفيصل أو إشارة إلى الإعاقة الذهنية, و كى تحصل على تقرير دقيق لمعدل الذكاء الخاص بك ، فإنه يحبذ أن يتم اختيارك مرة كل عامين من 8 الى 16 ، لأنه فى اليوم المحدد ربما تعانى من حمى القش ، أو تكون منزعجاً ، أو أن الممتحن قد يرتكب خطأ ، وما إلى ذلك أيضا ، أو ربما يتم نقلك الى مدرسة أفضل ، أو أن تصاحب مجموعة جديدة من أقرانك أو أن تقوم بشء ما يبرز قدراتك ، ويعلى من قدراتك المعرفية.

لقد قمت بتوثيق طريقة شيقة ، أعنى " تأثير فلين " أو ظاهرة الحصول على درجات متميزة في اختبارات الذكاء عبر الزمن . هذا يعنى أنه ليس باستطاعتنا أن نأخذ نتائج اختبارات الذكاء بمعناها الظاهرى . تذكر أن نتائج اختبارات الذكاء تنقل لنا رسالة ألا وهى أين تصنف أنت بالمقارنة بأترابك , وهنا يعنى أفراد في نفس العمر فلا يمكن لفرد يبلغ من العمر 16 أن نتوقع منه أن يقدم أداءً يماثل أداء فرد يبلغ من العمر 12 عام ، كما لايمكن أن نتوقع أداء ذي الـ 70عاما ان يماثل ذاك ذا الـ 35 ربيعا (إلا اذا كانوا سابقين أعمارهم) .

يجب أيضا أن تتم مقارنتك بأفراد فى نفس عمرك وفى نفس التوقيت هذا لأنه حتى الذين يعانون من الإعاقة العقلية قد يصعدون فى سلم الترتيب إذا ما قارنتهم مع أفراد من الماضى فالمنطق يقول لنا إنه إذا ماقارنته مع فرد في نفس العمر ولكن من العصر الحجرى فى الحقيقة ، هناك دلائل ساحقة تخبرنا أن الأمريكى الذى يحصل على 70 درجة فى اختبار الذكاء طبقا لمعايير اليوم يساوى المعدل المتوسط لأفراد فى نفس العمر عام 1916 كما أن الأمريكى متوسط الذكاء يحصل على 30 نقطة خلال الأعوام المائة السابقة طبقا لاختيارات وشلسر وستانفورد/ بينيه ، وهذا يبدو صحيحا على كل المستويات فى مقاييس الذكاء .

هناك موضوع شائق هنا . ربما يجادل أحدهم قائلا ان مكتسبات معدل الذكاء فى القرن العشرين يجب أن نؤخذ على ظاهرها مثل مكتسبات الذكاء ومع ذلك فإن هذه المسألة تحوى عددا من المفاهيم الضمنية التى تجعلها غير محتملة الحدوث . خذ على سبيل المثال أفراد حصلوا على معدل الذكاء يبلغ 40 طبقا للمعايير الحالية : فهذا يعنى 70 بمعايير مائة عام مضت . وفى النهاية ، إن إحراز 30 نقطة منذ ذلك الوقت وحتى الآن يعنى أنهم بوسعهم إحراز 30 نقطة أفضل عند المقارنة بأفراد من الزمن الغابر لو كانت المكتسبات تعنى ببساطة مكتسبات ذكاء ، لكان الأفراد الحائزون على 40 بمقاييس اليوم عليهم أن يبهروا علماء

النفس الاكلينكيين لكونهم اصحاء يتمتعون بقدراتهم العقلية ، وهذا بعيد عن الحقيقة .

لا يهم ما قررناه بشأن دلالة درجات اختبار الذكاء ، فإن درجات الذكاء خاصتك يجب أن تضبط نزولاً الى اسفل اذا خضعت لاختبار للذكاء بمقاييس عتيقة ,إن ناتج معدل الذكاء خاصتك يُعنى بإخبارك عن تصنيفك الترتيبى بالمقارنة بأقرانك فلو كنت تبلغ من العمر 17 ، ما جدوى معرفة معدل ذكائك عندما كان عمرك 17 عامامنذ عشرين عام مضت ، فأنت تتنافس مع من يبلغ 17 عام هذه الأيام عندما تلتحق بالجامعة ، لذا انت بحاجة إلى معرفة ترتيبك بينهم . ان مكاسب معدل الذكاء فى أغلب البلدان المتحدثة بالانجليزية قد زادت بمعدل ثابت يبلغ 30 درجة كل عام طبقا للاتجاة العام السائد , ولكى تضبط درجاتك في اختبار الذكاء الخاص بك عليك الالتزام بالآتى : أولا : اعرف أى اختبارقد خضعت له, وفى أى عام تم نشره أفرض أنه مقياس الذكاء لوشيستر الخاص بالاطفال الطبعة الثالثة ، الذي نشر عام 1991), تم اختيار العينة واختبارها قبل ذلك بعامين وهذا يعود بنا إلى عام 1989 فإن أخذت هذا الاختبار في عام 2009 ، فإن معدل الذكاء خاصتك قد تضخم بفعل 20 عاما . لذا فإن معدل الذكاء خاصتك زاد بمعدل 6 نقاط من معدلات الذكاء : 20 عام × 0.30 نقطة كل عام = 6.0 . فإذا حصلت على 126 فى معدل الذكاء قم بضبطه حتى يصبح 120

صَف الموت

إن الانخفاض فى معدل الذكاء خاصتك قد يجرح شعورك واعتزازك بنفسك لكن بالنسبة لمرتكبى جرائم القتل المدانين ، قد ينقذ حياتهم فى أمريكا ، حيث لايمكن إعدام الأشخاص مالم يكونوا فى كامل قدراتهم العقلية,لكى تُظهر أنهم لايتمتعون بقواهم العقلية ، يجب أن يظهر ناتج معدل الذكاء 70 أو أقل من

الاختبارات المأخوذة فى المدرسة, تناول مثلا توأما متماثلا تمت ادانتهم فى جريمة ما و حكم عليهمابالإعدام .

فى عام 1975 ، كان أحدالاطفال ذوى 11 عام ، قد خضع لإختيار (**FISC**) (مقياس وشسلر للذكاء المخصص للأطفال النسخة المنقحة) والذي كان مقايسا شائعا نسبيا فى ذلك الوقت , و تم اختيار عينة التوحيد القياسى عام 1972 ، لذا فهناك فترة فاصلة تبلغ ثلاثة اعوام بينه وهو يبلغ العام 11 وبين الاطفال ذوى 11 عام والذين خضعوا للاختبار مسبقاً . حصل على 67 فى معدل الذكاء ولم تطبق عليه عقوبة الإعدام فى عام 1975 , كان أخوه التوأم يذهب الى مدرسة مختلفة وهناك خضع لاختبار قديم لم يتم تحديثه منذ 1947 – 1948 (عندما تم اختبار عينة التوحيد القياسى) وجدت فترة فاصلة قدرها 27.5 عام بينه وهو فى سن 11 او بين الاطفال من ذوى 11 عام والذين خضعوا للاختبار . وبسب مقارنتة باطفال ذوى 11 عام من الماضى البعيد ، عندما كان الأداء المتوسط فى الاختبار فقد حصل على 74.35 فى معدل الذكاء وتم تطبيق عقوبة الإعدام عليه , يلاحظ أن حصوله على درجات عالية ليس له علاقة بقدراته العقلية ، بل يرجع بالكامل الى استخدام مقايس عتيقة .

هل نريد حقا أن يكون الموت والحياة شيئا أشبه باليانصيب ، كون الموت يرجع الى ما إذا كان المختص النفسى للمدرسة قام بشراء أحدث نسخة من اختبار وشلر**WISC** أو لأن المدرسة بسبب ضعف الميزانية قررت استخدام نسخة قديمة ، كلاهما غير مقبول وقمت بادارة حملة لحمل المحاكم على تطبيق اختبارات الذكاء المتقدمة على هؤلاء المنتظرين فى صفوف الموت . هذا ليس بالشى السهل ، لأن كل محامى وكل أخصائى نفسى سوف يصور نفسه للمحكمة على أنه خبير وسوف يحاول أن يشوش على المحكمة بشأن ما تعنيه نتائج اختبارات الذكاء كما أن أى مدعى أو خبير فى الادعاء وإقامة الدعوى لديه الشجاعة لأن يعترف بأنهم يرسلون بالناس إلى المقصلة فقط ذوى الحظ السيء وذلك طبقا لاختبار الذكاء والذى تم تطبيقه عليهم وهم صغار .

دلالة درجات اختبار الذكاء

لقد قمت بتأليف كتاب (ما هو الـذكاء " (فلايـن 2008/2007) حيـث تناولـت المناقشة عما إذا كانت اختبارات الذكاء تبرز الذكاء أم لا , و من الأفضل أن نركـز عـلى مـا تخبرنا به اختبارات الذكاء بشأن مهارات الشـخص الادراكيـة والمعرفـة ، والتضـمينات التـى تحويها هذه الاختبارات عن طموح الشخص او طموحها . يوجد بـين خلـيط مـن درجـات المدرسة الثانوية و اختبار الذكاء المدرسى **sat** معامل ارتباط مع درجات الجامعة بمعدل40 فاختبار**SAT** يعد بمثابة هجين يدمج اختبار الذكاء مع مقايس التحصيل الاكاديمى .

فى الوقت الحالى لنفترض أن الجامعات تسخدم معامـل الارتبـاط 40, فى انتقـاء الطلاب الواعدين . لذا فـان نتيجـة اختبـار معـدل الـذكاء تخـبرك عـن إمكانيـة قبولـك او التحاقك بجامعة جيدة , لكنه لا يخبرك سوى بالقليل عن كيفيـة أدائـك فى الجامعـة حـال قبولك للدراسة فيها , يعتبر الحافز وكـذلك ضـبط الـنفس كلاهـما مهمـين بالنسـبة لمعـدل الذكاء بنفس المؤهلات فنتائج معدل الـذكاء تخبرنـا عمـن هـو المحتمـل والمناسـب لنظـام واسع من الوظائف ، ويخبرنا أيضـا عـن أشـياء مثـل كيفيـة قدرتـه عـلى تجنـب الحـوادث والأمراض فى الحياه اليومية .

إن الحقيقة بأن نتائج اختبار الذكاء تخبرنـا بشـيئ ذى دلالـة عنـدما نقـارن الأفـراد داخـل مجموعات ، أدت إلى مقارنات بين المجموعات وبين الدول , هنا يجب على الأقل أن أشـير إلى معنى أن يغلب معـدل الـذكاء الوقـت حيـث أعتقـد أن نتـائج اختبـار الـذكاء تحقـق مكاسب فى المهارات المعرفية الضرورية فى المجتمعات المتقدمة تكنولوجيـا وعلميـا, بعـض المجموعات مثل الزنوج الامريكيين بعتبرون أقل انـدماجا فى المجتمـع ولـذا يكـون اداؤهـم سيئا فى اختبارات الذكاء دون انعكاس أو تاثير على قـدراتهم الفطريـة . فى الجيـل الاخـير ، احرز الزنوج الامريكيين أكثر من 5 نقـاط فى معـدل الـذكاء تفوقـا عـلى الأمـريكيين البـيض لكنهم ما زالوا متخلفين 10 نقاط عن الأمريكان البيض .

بدأ الناس فى الدول النامية لتوهم فى الحداثة ومكتسبات اختبارات الـذكاء بيـنهم على وشك الارتفاع , يلاحظ أن بعـض مهـاراتهم المعرفيـة (تلـك التـى تتعلـق بـالتفكير فى المجردات) تتباطأ فى الوقت الحالى لكنهم من المحتمل ان يلحقوا بركب الدول المتقدمة فى القرن القادم, إن هؤلاء الذين يدعون أن الدول الناميـة تفتقـر إلى الـذكاء مـن أجـل خلـق مجتمع صناعي يفتقرون إلي الدليل, إذ إن نسب الذكاء في الدول النامية اليوم تتساوى مع نسب ذكائنا منذ 100 عام, حيث قمنا بتطوير مجتمعاتنا.

(8)

نسبة الذكاء : الفــارق بين البيض والسود

المفهوم الدال رقم (7) الخاص بنسبة الذكاء والانحراف عن المتوسط الحسابي

هناك ارتباط بين نسبة الذكاء ونواتج الحياة مثل جودة أداء الطلاب في الجامعـة أو المؤهلات المهنية المتوقع حصولهم عليهـا ، فمعامـل الارتبـاط هـو مقيـاس للانحـراف عـن المتوسط الحسابي ولقد استخدم هذا المفهوم للإيحاء بأن السود لديهم جينات تحمل نسبة ذكاء أقل بالمقارنة بالبيض .

أحياناً لا نفضل عينة عشوائية بل عينة تزيد أو تقل عن المعدل بالنسبة لسمة معينة ، فلو افترضنا أننا نستخدم شريطا واخترنا أطول ثمانية وثلاثين شخصاً من بين مائـة في أحـد الفصول ، فإذا ما قارب توزيع الطول المنحنى العادي (وهو في الغالب يقترب منه) فإنهم سوف يقتربـون مـن الانحـراف المعتـاد عـن المتوسـط ، وربمـا يكمـن أحـد أسـباب العمـل بالتوزيعات العادية وقياس وضع السمات فيها من حيث الانحراف المعياري في أنـه يسـهل كثيرا مسألة الحسابات ، ضع كلامي هذا في ذهنك وعليك تقدير ما سيلي .

* معاملات الارتباط والانحراف عن المتوسط : إذا ما عدنا إلى الشـكل رقـم (7) ، سوف ندرك أن عينتنا تقترب من نسبة 84% بالنسبة للطول لأنها هي النسبة المئويـة التي تتفق مع الانحراف المعياري فوق المتوسط ، فهناك ارتبـاط بـين الطـول والقـدرة على لعب كرة السلة ، أما الأمور الأخرى مثل ردة الفعل والسرعة فهـي مهمـة أيضـا ، وبالتالي فإن معامل الارتباط لا يمكن الحكم عليه بأنه دقيق تماماً أو غـير موجـود بـل

هو بين الأمرين ، وبالتالي لا نضعه عند مستوى (1) أو " صفر " ولكن عند مستوى " 50" .

إن العينة المختارة للطول الفائق وتقترب من "1" في الانحراف المعياري تعتبر محققة لنسبة 0.50 بالنسبة للقدرة على لعب كرة السلة ، وهذا معناه أنها انحدرت بنسبة النصف نحو المتوسط وإذا كان الارتباط دقيقا لن تنحدر العينة على الإطلاق بل تعتبر محققة لنسبة "1" في الانحراف المعياري فوق المتوسط بالنسبة لكرة السلة كما تحققها في الطول ، وإذا كان الارتباط متدنيا فإنها سوف تنحرف تماماً عن المتوسط مما يشير إلى أن الطول ليس مؤشرا على القدرة على لعب كرة السلة على الإطلاق .

ولقد اكتشف السير فرانسيس جالتون (1822 ـ 1911) ـ وهو إبن عم غير شقيق لتشارلز داروين الارتباطات ومفهوم الانحراف عن المتوسط ,ولقد أدرك الناس بشكل فوري أن هذه المفاهيم تقدم معلومات مفيدة ولنأخذ على سبيل المثال المجموعة التي اخترناها آنفاً حيث إن انحرافا معياريا بنسبة " 1" عن المتوسط يتفق مع النسبة المئوية بقيمة 84% في حين الانحراف المعياري بنسبة 0.50 عن المتوسط يعادل النسبة المئوية 69% فالاختيار تبعا للسمة المرتبط بالقدرة على لعب كرة السلة يفرز مجموعة من لاعبي كرة السلة الجيدين .

لقد اتضح الآن لماذا تلجأ الجامعات المرموقة التي تعج بطلاب العلم من كل حدب و صوب إلى استخدام الاختبارات المقننة لفرز الطلاب ولنتذكر أن الارتباط بين درجات الامتحان والدرجات الجامعية يبلغ 0.40 ، وإذا ما قبلت تلك الجامعات الطلاب الذين لديهم انحراف معياري بنسبة "2" فوق المتوسط في الاختبار الذي تبلغ درجته النهائية "130" يصبح ضرب 40 × 2 مؤشرا على انحراف هؤلاء الطلاب عن المتوسط ,حيث إن الانحراف المعياري لديهم يبلغ 0.80 فوق المتوسط بالنسبة للدرجات الجامعية في هذه الحالة تبلغ النسبة التي تقبلها الجامعات 79% وبالتالي فإن معايير الدخول بها تقدم لهم طلابا يفوقون في المتوسط أربعة أخماس الأمريكيين وتسمح لهم باستبعاد البقية .

يوجد شرك هنا ، إذ قبل أن تستخدم الارتباط والانحراف عن المتوسط لكي تبدأ عملك ، أنت بحاجة ليس فقط لمجموعة منتقاة بل لمعرفة كيفية اختيارها ، تخيل أنك وجدت عينة من الطلاب في غرفة ما وقمت بقياس أطوالهم ووجدت أن لديها انحرافا معيارياً واحداً فوق متوسط السكان , هنا قد تعتقد أنهم سوف ينحرفون عن المتوسط المطلوب لكرة السلة ثم تفاجأ بأنهم قد اختيروا كأفضل لاعبين لكرة السلة في مجتمع العينة ، هنا قد تقول ، حسناً إذا كان معامل الارتباط 0.50 فإنهم من المؤكد سوف يختارون مجموعة لديها انحرافان معياريان فوق المتوسط كلاعبي كرة السلة .

وإذا ما كان العكس ، فإنهم لن ينحدروا إلى الوضع الذي هم عليه الآن (انحرافان معياريان × 0.50 = "1" انحراف عن الطول) ، وبالتالي فهم مؤهلون بنسبة 98% لأن يكونوا لاعبي سلة وأراهن على أنهم فريق الجامعة .

ونظراً لوضوح الأمر ، فإن الانحراف عن المتوسط لا ينطبق فقط عندما يختار المجتمع عينة ما ، وعموما فإن أي شيء ينطوي على اختيارات للمنافسة والمعيار و الذي يعتمد عليه يشتمل على التميز في السمة بالإضافة إلى بعض الحظ الجيد .

عندما يبدأ فريق الروكي موسمهم في البيسبول أو الكريكيت فإنهم عادة ما يختارون أمهر اللاعبين في استخدام المضرب ولكن مع مرور الوقت يؤثر الحظ في الأداء ، فقد يحدث أن تستفيد من أخطاء اللعب أو غياب أحد اللاعبين ، ولا يمكنك أن تنقل الحظ الجيد إلى الموسم التالي ولذلك يصبح من غير المحتمل أن يكون الارتباط بين الأداء في المرتين دقيقاً ، وكمجموعة يميل اللاعبون المتميزون إلى الانحراف عن المتوسط كما أن استخدامهم للمضرب يميل إلى التدهور فالمضمار أو الميدان أمر مختلف حيث إن سرعتك في العدو لمسافة 400 م مع افتراض عدم وجود إصابات من موسم لآخر ـ ليست لها علاقة على الإطلاق بالحظ ، حيث إن أي تغير من

موسم لآخر يرجع إلى عوامل العالم المحيط الحقيقية مثل النضج أو التراجع في المستوى .

إن المنافسة الأكاديمية على الدرجات في مقرر معين تتطلب شخصاً متميزاً يحصل على "+ A" ، ولكن في مجالات معينة يلاحظ أن الارتباط بين مقررات معينة أكثر دقة من الارتباط بين مقررات أخرى ، ففي مجال الرياضيات من المحتمل أن يكون أفضل الطلاب في معادلات التفاضل هو نفسه الأفضل في الهندسة الجبرية وفي نظرية العدد وهلم جرا ، وفي مجال الدراسات السياسية يعتبر أفضل الطلاب في السلوك السياسي أقل احتمالاً لأن يكون الأفضل في مجالات متنوعة مثل العلاقات الدولية والفلسفة السياسية والأساليب الكمية ، وبالتالي ، فإن الطلاب الموهوبين في الرياضيات يتقدمون إلى لجان الإلحاق وهم يحملون تقديرات تتراوح ما بين "+A" و "A" ، وبدلا من أن نضع طلاب الرياضيات دائما في القمة دعنا نبدل بينهم و كذلك طلاب العلوم وبين طلاب الآداب والعلوم الاجتماعية ، ولنلاحظ كيف ينسي الأساتذة بسرعة ما يعرفونه عن الانحراف عن المتوسط عندما نضع تلك الفرضية باختصار ، عندما تلم بالسمة التي تختار على أساسها عينة غير نمطية فإنه يصبح بإمكانك استغلال الدرجات في هذه السمة في التنبؤ بدرجاتهم في سمة أخرى حيث يسمح للانحراف إلى المدى الذي يصبح فيه الارتباط غير دقيق ، وعندما لا تكون ملماً بالسمة المختارة قد ينشأ الارتباط وقد تعرف كل شيء عن النزول إلى المتوسط ، ولكنك في هذه الحالة لا حول لك ولا قوة .

تحذير آخر وهو أنه يجب أن تعي أن الارتباط بين عاملين لا يخبرك بأنهما مرتبطان سببيا ، قد يكون هناك عامل ثالث استخدمته للاختيار وأنت لا تدري به ، فعلى سبيل المثال ، درس العلماء سكان أمريكا السود وبحثوا عن ارتباط بين نسبة الذكاء فوق المتوسط وبين البشرة الفاتحة فوق المتوسط ، ولقد جاءت هذه الفكرة بغرض اكتشاف ما إذا كان السود المنحدرين من أصول بيضاء لديهم ميزة ارتفاع نسبة الذكاء وعموماً لوحظ أن الذكور مرتفعي الأداء من ذوى البشرة السوداء يفضلون النساء السودوات من ذوات البشرة الفاتحة ، ولأن هؤلاء الناس لديهم

جينات أفضل في نسبة الذكاء فإن أطفالهم يميلون لأن تكون لديهم نسبة ذكاء أعلى من المتوسط وبشرة فاتحة أكثر من المتوسط ، وبالتالي فإن هناك ارتباطاً بسيطاً بين البشرة الفاتحة ونسبة الذكاء التي تفوق المتوسط بسبب اختيار السلالة , ويلاحظ أنه يوجد في عموم السكان ارتباط بين نسبة الذكاء وطول سيقان المرأة ما بين الركبة والردف ويلاحظ أن الرجال يفضلون هذا النوع من السيقان الطويلة وعند التنافس على إمرأة مرغوب فيها يفوز الرجال ذوى المكانة العالية ويتمتعون بنسبة ذكاء فوق المتوسط كما يلاحظ أن بنات الزوجين من هذا النوع يملن لأن يكون لديهن سيقان طويلة ونسبة ذكاء أعلى من المتوسط ولكن يجب الإشارة إلى أن السيقان الطويلة لا تسبب ذكاءً مرتفعا إلا أن اختيار السلالة يؤثر في الارتباط ، لاحظ إلى أي مدى يتمتع الرجال بعيون فاحصة حيث إنهم لا يفضلون السيقان الطويلة بشكل عام بل يفضلون نوعا معينا من السيقان ، فهم ذوى ذوق رفيع وروح عالية .

الانحراف عن المتوسط والسلالة

أنت الآن في وضع لأن تفهم أرثر جينسن المولود في عام 1923 وكذلك النقاش حول السلالة ونسبة الذكاء بشكل أفضل من علماء النفس ، لقد فحص جينسن الدراسات المتعلقة بالتوائم المتطابقين ولكن يتلقى كل واحد منهما تربية بشكل منفصل ، وقد وجد أنهم متماثلون في نسبة الذكاء بشكل يفوق الآخرين المختارين اختيارا عشوائيا ولأنهم لم ينشأوا في بيئة أسرية مشتركة إلا أن تساويهم في نسبة الذكاء قد يرجع إلى جيناتهم المتماثلة ، فالفارق بين نسبة الذكاء لدى أحد التوأمين والآخر صغير جداً لدرجة أن تأثير البيئة الأسرية يبدو ضعيفا وبالفعل كان الارتباط بين الاثنين في حدود 0.33 فالبيئة الأسرية هي ذلك النوع من البيئة

التي يحتمل فيها الفصل بين الأطفال السود والبيض بمعنى أن الأسر السوداء عادة ما تكون أشد فقرا من الأسر البيضاء كما أن الوالدين عادة ما يتلقون تعليما أقل .

يمكن اعتبارك نجماً ذهبياً إذا ما فطنـت إلى كـلام جينسـن ، دعنـا نفـترض أن السـود والبيض متطابقون من حيث الجينات الخاصة بنسبة الذكاء ، حينئذ يمكـن معاملـة السـود كعينة من عموم السكان مختارة من بيئة فقيرة ولأننا نعرف أنهم قد اختيروا فإننا يمكن أن نضع ارتباطات و نزولاً للمتوسط لكي نعمل ، وعند كتابة جنسن لكلامه هـذا كـان السـود عند مستوى انحراف معياري واحد (أو 15 نقطة) أقل من البيض من حيث نسبة الـذكاء ، ولذلك ، في ظل وجود ارتباط بمستوى 0.33 فقط يمكن القول إنـه مـن المؤكـد أنهـم قـد اختيروا كمجموعة ذات بيئة عند مستوى ثلاثة انحرافات معيارية أقل مـن المتوسـط لـدى البيض .

ومع التسليم بوجـودانحراف عـن المتوسـط فـإن أي شيء أقـل مـن ثلاثـة انحرافـات معيارية لا يبرر وجود عجز بمقدار 15 نقطـة ، والآن ، عـد إلى الشـكل رقـم 1/7 ، إذا كـان السود أقل بكثير من البيض من حيث البيئـة فـإن بيئـة السـود العاديـة تصـبح أسـوأ مـن 99.865% من البيض من يصدق هذا الأمر ؟ حيث إن الأسـود العـادي يشـبه شخصـاً ثمـلاً مستلقياً على أحد المدقات .

إذا عدنا إلى جنيسن فعلينا أن نغوص إلى الأعماق ، فالحسابات دقيقة وعلى أية حال يبدو أن لحجته بعض الفرضيات الخفية التي تكفلت أنا وبيل ديكنـز بإيضـاحها وتفـترض حجته أن الجينات والبيئة لا يتفاعلان كما أنها تحذف العوامل الديناميكيـة ذات الفاعليـة العظيمة والتي تعمل بين المجموعات هذا بالإضافة إلى أنها في رأيي تلغـى الـدليل عـلى أن ثقافة السود تعزلهم عن هذا النوع من التحدي المعرفي الذي يستمتع به البيض .

هذا الموضوع قد يصبح معقولا بعد صفحات قليلة عندما تقرأ عـن ألـزي مـور التـي وجدت أن الأسر البيضاء والسوداء المنتميـة للطبقـة الوسـطى يختلفـون تمامـاً في تـربيتهم لأطفالهم الأمر الذي له تداعيات ملموسة على نسبة ذكاء أطفالهم .

من المهم أن نفهم عن حق مسألة النزول إلى المتوسط وأخطر ما في الأمر أن نعتقد أنه قضية عالمية حقيقية وسوف أضرب مثالين :

إن الارتباط بين طول الوالدين وطول الأطفال ليس دقيقا ، فإذا ما اخترنا عينة من الآباء أطول من المتوسط فإن أطفالهم يميلون لأن ينحرفوا عن المتوسط ويصبحون أقصر من والديهم ، وبنفس الطريقة ، إذا ما اخترنا عينة من الآباء أقصر من المعتاد ، فإن أطفالهم يميلون للانحراف عن المتوسط ويصبحون أطول من والديهم ، ألا يعني هذا أن الجيل الحالي يتمحور حول المتوسط أكثر من الجيل السابق ؟ وأنه بعد عدد كاف من الأجيال سوف نصبح على نفس القدر من الطول ؟

أولا : دعنا نرى السبب في أن هناك انحرافاً عن المتوسط في الأطفال المولودين لآباء طوال ، أثناء المعاشرة الجنسية يوجد عنصر عشوائي في كيفية اتحاد الجينات من أحد الوالدين مع جينات الطرف الآخر ، وفي المتوسط قد يكون لدى الأطفال الأكثر طولا فرصة أفضل من حيث الجينات ، ولاشك في أن هناك أيضا عوامل بيئية تؤثر على الطول والتي يلعب فيها الحظ دورا ما مثل العوامل التي تتعلق بالتغذية عندما يكون الجنين في رحم أمه في المتوسط قد يكون للأكثر طولا حظا أوفر أيضا حيث لا يمكنك الفكاك من الحظ سواء كان جيدا أم سيئا وتأثيره على أطفالك فالأطفال المولودون لوالدين محظوظين يميلون لأن يكون لديهم حظا عاديا وبالتالي ينحرفون عن المتوسط .

إننا نرى الآن أن الانحراف عن المتوسط يعتبر وسيلة لاختيار جزء غير نمطي من أي جيل ، بمعنى أنه وسيلة ذات نوع خاص من وسائل تحديد العينة فإذا ما اخترنا عينة عشوائية من جيل معين لن يوضح هذا النوع من العينة صفة الطفل العادي ما إذا كان أقصر أم أطول من والديه إلا إذا عملت أسباب العالم الحقيقي

عملها وقد يلعب الحظ لعبته حيث قد تكون لدى الوالدين فرصة للطول وقد يكون لـدى أطفالهم نفس الفرصة للطول .

إن مسألة العينة ليست هـي الأسباب الحقيقية التي تـؤثر عـلى العـالم الحقيقـي فالجيل السابق لم يكن عينة ممثلة للجيل الحالي فإذا كان الجيلان مختلفين فإنهما بلا شك يتأثران بالأسباب ولكن بشكل مختلف بالضبط كما تختلـف شـجرتا البلـوط عـن بعضـهما البعض ، إذن ما الذي يؤدي إلى تخريج جيل جديد يتمحور حول محور الطول بشكل أكـبر من الجيل السابق ؟ يجب أن يكون هنـاك سـبب حقيقـي يعمـل عـلى تقليـل الفـروق في الطول ، فعلى سبيل المثال ، إذا قمت بقتل كل الناس الذين يفوق طولهم المتوسط قبل أن يتناسلوا فمن المحتمل أن يكون هناك تغير أقل في الجينات التي تؤثر عـلى الطـول ، أو إذا ما قامت الأمهات في الجيل الحالي بإعطاء أطفـالهم وجبـة موحـدة بشـكل أكـبر مـما كـان يتلقى جيلهن قد يحدث تغير طفيف في الطول في الجيل الحالي .

ينطبق نفس التحليل على نسبة الذكاء بالطبع ، فإذا ما اخترنا عينـة مـن أنـاس ذوى نسبة ذكاء مرتفعة فإن أطفالهم قد تكون لديهم نسبة ذكاء أقـرب إلى المتوسـط ، وإذا مـا اخترنا عينة من أناس ذوى نسبة ذكاء منخفض فإن أطفالهم قد تكون لـديهم نسـبة ذكـاء أقرب إلى المتوسط ، ولكن إذا لم يحدث شيء ما في العالم الحقيقي يعمل على تقليل التغـير في نسبة لذكاء (مثل نظام التغذية الموحد) قد لا يكون هناك أي ميل نحو أية اختلافـات في نسبة الذكاء بين الناس تقل من جيل إلى جيل .

أثناء المناقشات حول السـلالة ونسـبة الـذكاء عـانى عالمـان (بلـوك و دوركـين 1976) من نفس النوع من البلبلة حيث أقرا بأن نسبة الذكاء لدى السود تقـل 15 نقطة عن البيض ، ولكننا نعـرف جميعـا أن الارتبـاط بـين نسـبة الـذكاء أو الـذكاء المقيس والـذكاء الحقيقـي لـيس دقيقـا ، ولـذلك ، يمكننـا ـ بفضـل الانحـراف عـن المتوسط أن نعرف أن الفارق في الذكاء الحقيقي بين السـود والبـيض أقـل مـن 15 نقطة ولكنهما أعلنا أنهما لم يلاحظا هـذه المعلومـة عـلى الإطـلاق ، ومـن نـاحيتي

أتمنى عدم وجودها ، إن السود الذين قيست نسبة ذكائهم بطريقة سيئة ليسوا عينة ذات ذكاء منخفض في محيط السكان السود الذين قيست نسبة ذكائهم بطريقة جيدة .

إذا استخدمت وسيلة قياس غير دقيقة قد يأخذ الخطأ أحد اتجاهين ، فأنا أقيس طول إبني ثم أكتشف أن العصا التي قسته بها معيبة ، وحتى يحين وقت اكتشافي للخطأ قد لا أعرف ما إذا كنت قد بينت أنه طويل أم قصير ، وربما يبين تحليل لاختبارات الذكاء أنها وسائل دقيقة لقياس ذكاء البيض ولكنها لا تقدر ذكاء السود تقديرا دقيقا ، وعموما قد تحتاج إلى دليل عملي على تلك الحقيقة ولا يكفي فقط الحديث عن الانحدار نحو المتوسط ، ولقد ذكر جينسن أن كلام بلوك ودوكين ما هو إلا رطانة إحصائية ، ويعتبر في هذه الحالة غير مهذب على الرغم من أن كلامه صحيح تماما .

(9)

المجموعة الضابطة ـ كيف تغير دراسة الناس من سلوكهم

المفاهيم الدالة : (9) تأثير الوهم (10) تأثير الكاريزما (11) المجموعة الضابطة

لا يمكن أخذ ارتباطات من القيمة الإسمية بسبب تدخل العوامل الثالثة ، حيث إن مفهوم استخدام مجموعة متطابقة لضبط التدخل يعتبر مفهوماً بسيطاً ولكنه صعب أو مستحيل عملياً.

هناك ارتباط بين مبيعات الآيس كريم والإصابة بحمى القش ولكن تناول الآيس كريم لا يسبب حمى القش ، فالطقس الحار وحبوب اللقاح في الربيع يعتبران أسبابا خفية ، دعنا نسترجع بعض الأمثلة السابقة ، يميل السود ذوى نسبة الذكاء المرتفعة لأن يكونوا من ذوى البشرة الفاتحة ، وعلى أية حال يبدو السبب في ارتباط البشرة الفاتحة بنسبة الذكاء المرتفعة قد يرجع إلى أن الذكور من السود يفضلون الزواج من شريكات لديهن بشرة فاتحة ، ولذلك فإن المفاضلة الجنسية وليس الأصل الأبيض هي السبب في ذاك الارتباط ، فالنساء ذوات السيقان الطويلة (ما بين الركبة والردف) قد يكون لديهن نسبة ذكاء أعلى بقليل ، وعلى أية حال ، هذا هو السبب الوحيد لأن الرجال يفضلون النساء ذوات السيقان من هذا النوع ، وبعبارة أخرى ، عندما يكون هناك ارتباط بين شيئين قد لا يكون ذلك بسبب أن أحدهما يؤثر في الآخر ولكن لأن العامل الخفي يسبب تلك العلاقة .

يطلق على العوامل الخفية متغيرات محيرة ، ويعتبر تجاهلها نوعـاً مـن الأخطـاء التي لا يرتكبها أحد ، وعلى أية حال ، أنها خطر دائم الوجود بسبب الجهل ، فـإذا لم تكـن على دراية بتفضيلات الأمريكان السود في الزواج ، كيـف يمكنـك أن تتخيـل أنهـا كامنـة في الذاكرة ؟ وعندما أُخبر الرئيس كيندي بـأن الأطفـال الـذين يـأتون مـن بيـوت تكـون فيهـا المفردات محدودة يتكون لديهم مخزون ضئيل مـن المفـردات شـدد عـلى أن هـذا مبعثـه ضـعف التحصـيل في بـدايات الدراسـة ولم يتطـرق إلى ذهنـه أن الوالـدين ذوى الجينـات المتدنية في الذكاء لا يتحدثون إلى أطفالهم باستخدام مفردات أقـل مـن المسـتوى فحسـب لكنهم أيضا يورثونهم جينات متدنيـة ، ولم يكـن كينيـدي الوحيـد في رؤيـة أن التفسـيرات البيئية للفروق الفردية مرحب بها والتفسيرات الجينيـة غـير مرحـب بهـا فمـن السـهل أن تجد مجلات علمية مليئة بالأبحاث التي تركـز عـلى كـل شيء إلا الجينـات وبالتـالي تصـبح نتائجها غير ذات قيمة .

هناك أولويات أخرى تجعل الناس يقاومون الاعتراف بالمتغيرات المحيرة ، فقد درست إحدى أفراد أسرتي مقررا في المراسلة في قسم إعداد المعلم ، حيث درست موضوعات كانت تركز على أن استخدام العقاب البدني يرتبط بارتكاب الجريمة لدى الشباب ، وعندما أبـدت ملاحظتها بأن الفقر ربما يبرر استخدام العقاب البدني والمداومة على ارتكاب الجريمة ، قيل لها بأن عليها مراجعة آرائها بشأن العقـاب البـدني وكـان المحـاضرون متمسـكين بفكـرة أن العقاب البدني هو مصدر كل الشرور ولم يعترفوا بإمكانية وجود أية أسباب مختلفة أخرى.

إذن عندما تجد ارتباطاً يروق لك فإنك تحاول أن تتخيل كل متغير عديم القيمة يبرر النتائج.

حبوب السكر وحالة التنويم المغناطيسي

بمرور الزمن ، أصبح العلماء مدركين بشكل جماعي للمتغيرات المحيرة التي قد لا تحدث لكل الناس حيث اكتشف الأطباء أنه عند إعطاء أحد المرضى حبة من السكر وأوحي إليه أنها دواء حقيقي تحسنت حالته مما يدلل على مدى تأثير العقل على الصحة البدنية ، ويطلق على هذا الأمر " التأثير الوهمي " ، وتشير بعض الدراسات إلى أنه عندما يعمل التحليل النفسي عمله ، لا يرجع السبب بشكل رئيسي إلى أن المحلل النفسي لديه فهم متفرد للنفس البشرية ولكن لأن الناس يستجيبون بشكل جيد لفكرة أن المحلل المتمكن يعرف ما يعانون منه يود مساعدتهم ، وقد يتحسنون بعد تسجيلهم على قائمة انتظار لمقابلة الطبيب النفسي .

يمكن للعقل أيضا أن يحسن من القوة البدنية, فقد أعطى بعض طلاب الجامعة في استراليا شيئا ثقيلا لكي يمسكوا به بأيديهم حيث تحسن أداؤهم بشكل مدهش عندما أخبروا بأن الطالبات قمن بهذا العمل لمدة خمسة دقائق ، فالناس يؤدون أداء مذهلا عندما يكونون في حالة تنويم مغناطيسي ، وليس من الواضح أن هناك شيء ما يقوم به الناس تحت تأثير التنويم المغناطيسي والذي يمكن أن يكون مثيلا للدوافع العادية .

الأطباء والصيادلة

يمكن أن تكون شخصية الإنسان الذي يقوم بإجراء العلاج عاملا في فاعلية شيء ما ، فقد تحصل على نتائج جراء تناول دواء أوصى به طبيبك المعالج أفضل من النتائج التي تحصل عليها إذا ما أوصى صيدلي بنفس الدواء ، ويطلق على هذا الأمر " تأثير الكاريزما " الذي يتعدى مسألة الدواء إذ عندما يقدم المبدعون أو تلاميذهم طريقة جديدة في تدريس الرياضيات بدافع الحماس والثقة بالذات تحدث أمور جيدة ، فهم في الغالب مجتهدون وأكثر كفاءة وأكثر تعاطفاً من

المعلم العادي كما أنهم بالإضافة إلى ذلك أكثر تأثيرا حيث يفرضون احترامهم أو حتى الخوف بين المعلمين والطلاب الذين يبدأون في الاعتقاد أنهم يتحسنون حقا ولذلك يقبلون على الرياضيات بروح جيدة ، وعادة ما يتوقف مفعول الطريقة الجديدة عندما تنتقل إلى جموع المعلمين المنضوين تحت مظلة النظام المدرسي والتي تعتبر بالنسبة لهم مجرد حلقة من سلسلة الإبداعات بمعنى أنها طريقة مماثلة للطرق التي طلب منهم تجربتها مرة تلو الأخرى خلال حياتهم الوظيفية .

المجموعة الضابطة

في حالة ما أصبحت مدركا للخطر بأن المتغيرات المحيرة يمكن أن تخدعك تود أن تتخذ خطوات لمنع تدخلها ، وتعتبر الطريقة المعتادة لعمل هذا هي أن تكمل المجموعة التي تقوم بدراستها بمجموعة ثانية تسمى المجموعة الضابطة ، وفي الواقع أول سؤال تسأله عندما تعرض عليك نتيجة من أحد العلوم الاجتماعية هو ما إذا كان هناك مجموعة ضابطة أم لا .

من السهل نسبيا أن تتخذ مجموعة ضابطة في حالة العلاج الوهمي باستخدام ما يسمى " المحاولة الغيابية " حيث يقسم عدد كبير من الناس عشوائيا إلى مجموعتين واحدة تعطي الدواء الجديد والأخرى تعطي حبوباً من السكر ، ولأسباب واضحة لا يوجد شخص على صلة بأفراد العينات أو يقوم بتحليل النتائج يعرف أيهما الضابطة وأيهما التجريبية ولأسباب واضحة أيضا لا يخضع معظم منتجي الدواء منتجاتهم لهذه الاختبارات الشاقة فهم ببساطة يمطرونك بأناس يقدمون شهادتهم بأن أدويتهم فعالة ، وكما رأينا ، يمكن التحكم في تأثير الكاريزما من خلال مقارنة تأثير دواء ما يقدمه شخص معين بالآثار التي تحدث عندما يقدمه شخص آخر, وإذا كان من النادر أن يحدث مفعوله إلا إذا وصفه طبيب أو أخصائي طب نفسي ولم تكن هناك فرصة لأن يلعب التشخيص دوره ، فمن المؤكد أن هناك أمراً غريباً .

عنـد اتبـاع نظـام المجموعـة الضـابطة بشـأن طريقـة تـدريس جديـدة يعتـبر تغيـير الأشخاص أمرا صعبا ، فمن الناحيـة المثاليـة قـد تريـد أن يـتم تـدريس كـل مـن الطريقـة الجديدة والطريقة الحالية لطلاب مختارين عشوائيا على يد مدرسـين مختـارين عشـوائيا ، ولكن من الصعب أن تتحاشى المعلمين المكلفين بالتدريس تبعا للطريقة الجديـدة والـذين يحدوهم الأمل في تحقيق نتـائج أفضـل وكـذلك المعلمـين الـذين يدرسـون تبعـا للطريقـة القديمة والذين يتوقعون نفس النتـائج القديمـة ، إن إحضـار ممثلـين بغيـة نقـل الحـماس للمجموعة الضابطة مسألة مكلفة كما أن الممثلين من غير المحتمل أن تكون لديهم معرفة جيدة بالرياضيات .

الحـظ السعيــد

أحيانا ما يضع الحظ في طريقك بيانات تتضمن عملية الضبط بشكل آلي , ويشـار إلى أن النرويج تبتكر طريقة جديدة في تدريس الرياضيات كل عقد مـن الـزمن في حـين أن السويد لا تقدم ذلك ، ولقد رأينا مثالا على ذلك منذ فـترة قريبـة ، لنفـترض أنـك تريـد أن تختبر فاعلية أو عدم فاعلية البقاء في الخدمة بعد سـن السـتين في جعـل النـاس متيقظـين عقليا ومنع التدهور المعرفي المرتبط بالتقدم في السن ، وتكمن المشـكلة في أنـك إذا قمـت بتقسيم الأمريكيين إلى مجموعتين ـ مجموعة تقاعد أفرادها في سن الستين وأخرى لا يـزال أفرادها في الخدمة لن تعرف حينئذ أين السبب وأين الأثر .

فإذا كان الأفراد الذين لا يزالون يباشرون عملهم بعد الستين ذوى قدرة عقلية أكـبر ، هل مرد ذلك إلى أن العمـل يسـاعد عـلى تقويـة عقـولهم أو أن مـرده إلى أن النـاس ذوى القدرة العقلية المرتفعة أقل احتمالاً للتقاعد في سن الستين .

في عام 2007 ، أدركت مجموعـة مـن علـماء الاجـتماع أنـه قـد قـدمت إلـيهم تجربة على طبق من الفضة حيث أخذ مجموعة من الذكور من سن 50 ـ 54 ـ 60 ـ

64 على التوالي نفس الدواء الخاص بضعف الذاكرة ، وينتمي هؤلاء الأشخاص لـ 12 دولة لها قوانينها الخاصة بالتقاعد الإجباري الأمر الذي يخفف من حدة عامل الاختيار ، هذا بالإضافة إلى أن الاختلافات الثقافية المتعلقة بعدد من يبقى في العمل حتى بعد بلوغهم سن التقاعد ليس لها علاقة مع الاختلافات القومية بشأن ما إذا كانوا مؤهلين من حيث ذاكرتهم إلى الحد الذي يجعلهم يستمرون في الخدمة وقد وجد علماء الاجتماع أنه إذا ما كانت نسبة الذكور في العمل قد هبطت بنسبة 90% بسبب بلوغ الرجال سن التقاعد (النمسا وفرنسا) فهناك تدهور في الذاكرة بنسبة 15 نقطة ، وإذا ما هبطت النسبة في العمل بما يصل إلى 25% (الولايات المتحدة والسويد) فإن التدهور في الذاكرة قد يصل إلى 7% فقط .

كيف تتحكم في الحظ

يعتبر الحظ الجيد من هذا النوع نادرا ولنأخذ دراسات التدخل التي نعطي فيها برنامجاً إثرائيا للأطفال القادمين من بيئات محرومة ، وربما تعتبر أشهر دراسة تلك التي يطلق عليها " مشروع ميلواكي " ، ففي عام 1967 اختار علماء النفس في جامعة ويسكنسون منطقة محرومة من ميلواكي والتي على الرغم من أنها تضم 2.5% فقط من سكان المدينة إلا أنها يخرج منها ثلث الأطفال الذين يمكن تصنيفهم بأنهم متخلفون عقلياً في المدارس الحكومية بالمدينة ، ويعتبر حد التخلف العقلي في ذلك النظام المدرسي هو نسبة ذكاء 75 أو أقل .

كان علماء النفس يريدون أن يتعرفوا على تأثير توفير بيئة أفضل لهؤلاء الأطفال ، وذلك بتقديم المزايا التي يتمتع بها أطفال الطبقات العليا ـ على نسب ذكائهم حيث كان يقضي أطفال المجموعة التجريبية منذ طفولتهم معظم اليوم ولمدة خمسة أيام في الأسبوع في مراكز تعلم يقوم بالتدريس فيها محترفون متدربون ، ولقد أعطى الأطفال برنامجاً شاملاً مصمماً للارتقاء بإمكانياتهم المعرفية واللغوية والاجتماعية والعاطفية والإدراكية والحركية كما تم توفير الطعام

والرعاية الصحية والعناية بأسنانهم ، وفي محاولة للارتقاء بأخلاقيات الأسرة تلقت الأمهات تدريبا مهنيا وتدريبا على كيفية الاهتمام بالمنزل ومهارات العناية بالأطفال وتم إجراء اختبارات ذكاء بين الحين والحين للأطفال بدءا من سن عامين .

عموماً ، كيف يمكن للإنسان أن يحدد الجانب الفعال ؟ هل هو البرنامج الإثرائي أم الارتقاء بمستوى المنزل أو الخضوع للعديد من اختبارات الذكاء ؟ وكيف يمكن للمرء أن يتحكم في الجينات ؟

لقد اختار علماء النفس مجموعة من الأمهات من تلك المنطقة : كلهن كن سوداً ولديهن نسبة ذكاء يبلغ متوسطها أقل من 75 ، ولأن الأطفال قد ولدوا من هؤلاء الأمهات في مستشفى محلي فقد تم تقسيمهم إلى مجموعة تجريبية وأخرى ضابطة وبالتالي أمكن التحكم في مسألة الجينات (تعتبر نسبة الذكاء لدى الأم أفضل مؤشر على نسبة الذكاء لدى الطفل) لم يتلق أطفال المجموعة الضابطة إلا اختبارات ذكاء بين الحين والحين وبالتالي أمكن التحكم في صعوبة الاختبار وكانت مجموعة الأشقاء عبارة عن الإخوة والأخوات في المجموعة التجريبية وقد تلقوا الاختبارات بالإضافة إلى مسألة الارتقاء بالمنزل ، والمجموعة المقابلة كانت عبارة عن الأشقاء في المجموعة الضابطة الذين تلقوا فقط الاختبارات ولكن بمقارنتهم بالأشقاء في المجموعة التجريبية يمكن القول بأن الأطفال تلقوا فوائد عندما خضع أشقاؤهم لبرنامج الأثراء .

يا له من تصميم رائع ، لقد سجلت المجموعة التجريبية ثلاثين نقطة في اختبار الذكاء زيادة على المجموعة الضابطة حتى نهاية البرنامج في سن السادسة لدرجة أن عددا قليلا منهم تم تصنيفه على أنه متخلف عقليا ، ولقد نشأ نزاع لا نهاية له بشأن الحقيقة بأن تحصيلهم التعليمي لم يكن مرتفعا بالشكل المتوقع من نتائج اختبارات الذكاء والحقيقة بأنهم فقدوا كثيرا من ميزة نسبة ذكائهم مع تقدمهم في السن ولكن الهدف الرئيسي من الدراسة قد تحقق بالفعل .

لقد منى علماء النفس بجامعة ويسكونسون بقدر من الحظ السيئ لأنهم لم يضعوا في اعتبارهم ما كان مجهولا حتى عام 1984 وهو أن الأطفال الأمريكيين بشكل عام يحققون تقدما هائلا في نسبة الذكاء مع الزمن ، لقد استخدم العلماء اختبارات ذكاء ملائمة للأطفال في كل مرحلة عمرية مثل" ستا نفورد بينيه" للأعمار من سنتين إلى ثلاث ،و اختبار" ويسلم" لفترة ما قبل المدرسة للأعمار من أربع إلى خمس ، واختبار "ويسلر" لأطفال المدارس للأطفال في سن السادسة فما فوق ، وعموما تم تقنين هذه الاختبارات في أعوام 1932 ، 1965 ، 1948 على التوالي ، وكما رأينا كان أطفال المجموعة التجريبية يتم مقارنتهم ليس بمعاصريهم ولكن بأطفال حاصلين على نسب متدنية في اختبارات الذكاء ولكن منذ 20 حتى 40 عاما ، وكما تتصور كان هذا يعني أن متوسط نسب ذكائهم كان يتأرجح بشكل ليس له علاقة بما كان يحدث لهم , فعلى سبيل المثال ، أظهروا انخفاضا عندما تركوا البرنامج ودخلوا مدارس المدينة الداخلية ولكن الانخفاض كان يتم تقديره بطريقة غير جيدة حيث انتقلوا من اختبار مقنن في عام 1965 إلى اختبار مقنن في عام 1948 مما أعطاهم زيادة في نسب الذكاء وصلت إلى 5 نقاط .

لا يعني هذا أن التصميم الرائع كان عديم الفائدة ، حيث ركز العلماء المعنيون على الفرق بين مجموعتهم التجريبية ومجموعتهم الضابطة كمؤشر لما كان يحدث : لم تتأثر تلك الفجوة لأن أفراد كلا المجموعتين كانوا يتلقون نفس الاختبار وفي نفس السن . وعلى أية حال ، من لا يعرف ينتابه الفرح بالنسبة العالية للذكاء والتي كان عليها الأطفال (فوق 120 كأطفال) ، حيث خدعوا بدرجات اختبارات الذكاء التي كانت تمثل متغيرا محيرا مما أدى إلى مستويات متضخمة في نسب الذكاء .

(10)

مغالطة عالم الاجتماع ـ تجاهل العامل الحقيقي

المفاهيم الدالة 11ـ مغالطة عالم الاجتماع 12 ـ النسبة المئوية أو النسبة قد يبدو أنه لا شيء أبسط من مقارنة مجموعتين بعضهما البعض ، ففي الواقع ، يعني هذا أن الاختلافات في العالم الحقيقي قد لا تلاحظ

كما رأينا ، عندما تفعل شيئا ما للبشر فإن ذلك في الغالب يأتي بمتغير محير ، وعلى نفس المنوال ، عندما تعالج بيانات معينة فأنك قد توجد متغيراً بدون أن تدركه ، إن أكثر النماذج شيوعاً هي تلك الحالات التي تجرى فيها المقارنة بين مجموعتين بحثا عن شيء معين حيث يتولد نوع من إساءة التقدير لشيء آخر وقد يحدث هذا في أي مجال من مجالات العلوم وعلى وجه الخصوص في العلوم الاجتماعية لأن العديد من العوامل تتفاعل بشكل معقد.

المطابقة على أساس الخلفية الاجتماعية الاقتصادية

لنأخذ موقفا تتداخل فيه ثلاثة عوامل و هي الجينات والبيئة ونسبة الذكاء ، إذ عندما يسمع الناس عن الجدال الدائر حول الفارق في نسبة الذكاء بين البيض والسود فإن أول شيء يقولونه عادة هو ولكن عندما تضبط على أساس الطبقة فإن العجز في نسبة ذكاء السود تختفي ، وفي الواقع ما زال هناك فارق , ولكن دعنا ننحي هذا جانبا إلى حين ، كيف نضبط مسألة الطبقة ؟

إنك تختار معيارا للطبقة ، ربما يكون شيئا كالخلفية الاجتماعية / الاقتصادية والذي يضع في الحسبان وضعية العديد من الوظائف (فالأطباء مثلا أعلى مرتبة من العمال غير المهرة)، ومستوى دخل الأسرة .

إن أبسط طريقة للربط بين بيئة المنزل والطبقة هي المقارنة بين منازل السود ومنازل البيض من حيث الخلفية الاجتماعية والاقتصادية على سبيل المثال وذلك بغرض المقارنة بين نسبة الذكاء لدى أبناء الأطباء السود الذين يبلغ دخلهم السنوي 100000 دولار أمريكي ونسبة الذكاء لدى أبناء الأطباء البيض الذين يبلغ دخلهم السنوي 100000 دولا أمريكي ، ومع استبعاد تأثيرات البيئة المنزلية غير المتكافئة ، يمكننا عقد مقارنة تسمح لنا بقياس مردود الفروق الجينية الممكنة وإذا لم يتبق أي فارق في نسبة الذكاء ، فإن السود والبيض من المؤكد أن يكونوا متساوين في جينات الذكاء ، وعموما ، قد يكون هذا استنتاجا زائفا .

يرجع هذا إلى أنه لا يوجد رابط سببي بين البيئة ونسبة الذكاء فحسب ولكن هناك سلسلة سببية تسري من الجينات إلى نسبة الذكاء ثم إلى البيئة ، ولنفترض أن الذكاء يلعب دورا ما في المنافسة على تحقيق مكانة اجتماعية واقتصادية (إذ عادة ما يتحتم أن تكون أكثر ذكاء لكي تلتحق بكلية الطب) وأن الذكاء يتأثر إلى حد ما بالجينات (اينشتاين كان لديه جينات أفضل من معتوه في قرية ما) .

دعنا نفترض أن نسبة السود المؤهلين للعمل كأطباء أقل من نسبة البيض ، فإذا كان 5% فقط من السود مؤهلين للعمل كأطباء فإن أطفالهم سوف يرثون جينات متميزة داخل مجتمع السود ,وإذا كان 15% من البيض مؤهلين للعمل كأطباء فإن أبناءهم سوف يرثون جينات متميزة بين مجتمع البيض ولكن جيناتهم سوف تكون أقل تميزاً بشكل واضح ، ولذلك ، حتى إذا كان لدى أبناء السود وأبناء البيض نفس نسبة الذكاء يصبح الأبناء السود أكثر تميزاً جينياً ، ولكن النسبة الغالبة من السود تعتبر أقل من البيض فيما يتعلق بنوعية الجينات الخاصة بنسبة الذكاء .

قد تعتقد أننا إذا قارنا نسبة ذكاء أبناء غير المهنيين ، ستكون النتيجة في صالح البيض ، وفي الواقع قد تميل تلك المقارنة أيضا لصالح السود ، عموما ، فكر للحظة ، إذا قمنا بطرح النسبة الكبرى من ذوى الجينات المتميزة من مجتمع البيض وطرحنا النسبة الصغرى من ذوى الجينات المتميزة من مجتمع السود ، إلى أي من السلالتين تميل نتيجة المقارنة ؟ ويمكننا أن نرى هذا بوضوح إذا ما بالغنا في النسبة المئوية ، تخيل أنني كنت أقارن بين النصف السفلي للبيض مع الثلاثة أرباع السفلية للسود ، من الواضح أن البيض سوف يكونون أكثر تميزا من حيث الجينات وأن السود أقل تميزا منهم بكثير .

عند دراستنا لجدول رقم 1/10 نرى أن كل المقارنات التي توازن بين الأجناس من حيث المكانة الاجتماعية الاقتصادية تميل لصالح السود حيث إنها كلها تنتقي السود ذوى الجينات المتميزة داخل مجتمعهم بشكل أكبر من البيض الذين تجري المقارنة معهم ونذكر أن الأطفال لا يأخذون فقط بيئة المنزل من والديهم ولكنهم يرثون عنهم الجينات أيضا .

جدول 1/10

مغالطة عالم الاجتماع

مغالطة عالم الاجتماع : افترض أن العدد الأقل من السود يتمتع بمكانة اجتماعية واقتصادية أعلى من البيض .

البيض	السود
مكانة اجتماعية / اقتصادية عالية (لديها جينات أفضل من المعتاد بقليل)	مكانة اجتماعية / اقتصادية عالية (لديها جينات أفضل من المعتاد بكثير)
مكانة اجتماعية / اقتصادية منخفضة (جينات أسوأ من المعتاد)	مكانة اجتماعية/ اقتصادية منخفضة (لديها جينات أسوأ من المعتاد بقليل)

(1) دعنا نجري مقارنة بين أبناء السود ذوى المكانة الاجتماعية الاقتصادية العالية وأبناء البيض ذوى المكانة الاجتماعية /الاقتصادية العالية ، فإذا ما كان

الذكاء يلعب دورا في المنافسة على تحقيق مكانة اقتصادية اجتماعية عالية وإذا ما كان الذكاء يتأثر إلى حد ما بالجينات ، وإذا ما كان 25% فقط من السود ذوى مكانة اجتماعية اقتصادية عالية مقارنة بـ 75% من البيض ، هنا يمكن القول بأن السود الذين يتمتعون بمكانة اجتماعية اقتصادية عالية يعتبرون ذوى جينات متميزة في مجتمع السود أكثر من تميز البيض في مجتمع البيض.

(2) دعنا نقارن بين أبناء السود ذوى المكانة الاجتماعية والاقتصادية المنخفضة وأبناء البيض ذوى المكانة الاجتماعية المنخفضة ، هنا نجد أن الآباء السود هم السواد الأعظم لمجتمع السود في حين أن الآباء البيض يمثلون أقلية مكونة من مجموعة من الفاشلين غير الناجحين في مجتمع البيض .

لذلك ، إن أية مقارنة بين الأجناس على أساس المكانة الاجتماعية الاقتصادية قد تتولد عنه مقارنة بين السود والبيض مثل أن السود قد تكون لديهم صفة جينية لا تتوفر لدى الأطفال البيض ، ولكننا نحتاج إلى جهد بحثي جيد ، ففي عام 1986 قارنت ألزي مور بين مجموعتين : 23 طفلا السود تتبناهم أسر من الطبقة الوسطى البيضاء , و23 طفلا من السود تتبناهم أسر من الطبقة الوسطى السوداء ,(مور 1986) وقد قضت الأمهات بالتبني نفس الفترة في التعليم وهي 16 سنة ، وعند اختبار الأطفال السود الذين تبنتهم أسر سوداء في سن السابعة والعاشرة كان متوسط نسبة الذكاء لديهم تقل بـ 13.5 نقطة عن متوسط نسبة ذكاء الأطفال السود الذين تبنتهم الأسر البيضاء ، وقد لاحظت مور أن هناك تفاعلاً بين الأم والطفل عندما كان يحاول ذلك الطفل القيام بمهام معرفية صعبة ، كانت الأمهات من البيض تميل إلى الابتسام وإلقاء النكات وتقديم تشجيع إيجابي وتقوم بالتصفيق ، أما الأمهات من السود فكن يملن إلى التجهم والعبوس والنقد والتعبير عن عدم سعادتهن ، وكان الأطفال يميلون إلى طلب المساعدة من الأمهات البيضاء أكثر من الأمهات السوداء .

إن التصميم الذي وضعته مور يتحاشى مشكلة الجينات التي يرثها الأطفال من الوالدين القائمين على تربيتهم (لا ذكر لأي منها) ، ومن سوء الحظ أن الأرقام

ضئيلة ، وليس بوسعنا أن نتأكد من أنه لا يوجد عامل عشوائي يميل لصالح جينات الأطفال السود الذين تبنتهم أسر من البيض عند مقارنتهم بأولئك الذين تبنتهم أسر من السود وعلى أية حال ، ومما يؤسف له أن هذه الدراسة لم يتم تكرارها حيث إنها تقدم شيئا جديراً بالمعرفة وهو أنه حتى إذا استطعنا المقارنة بين الآباء السود والآباء البيض على أساس المكانة الاجتماعية والاقتصادية بدون أن تفرض مسبقا فرص النجاح أو الفشل ، فإنها قد لا تعتبر مقارنة عادلة بسبب الانحياز لصالح البيض ، وبشكل عام يمكن القول بأن الأطفال يستمتعون ببيئة غنية معرفيا وهم في كنف أسرة بيضاء من الطبقة الوسطى أكثر من نشأتهم في كنف أسرة سوداء من الطبقة الوسطى .

المقارنة بين المهن

ثمة مثال آخر عن المغالطة الناتجة عن المقارنة بين الجماعات على أساس الوضع الاجتماعي الاقتصادي قد ظهر مع ظهور فرضية الجدارة التي تفترض أن الفارق في نسبة الذكاء بين الطبقات الدنيا والطبقات العليا يتسع بمرور الزمن وقد قام بعض علماء الاجتماع باختبار هذه الفكرة بمقارنة نسبة الذكاء لدى المهنيين اليوم بنسبة ذكاء المهنيين منذ حوالي 30 عاما وكان منطقهم هو أنه إذا كان متوسط نسبة الذكاء لدى المهنيين لم يرتفع من جيل لآخر إذن لا وجود لفرضية الجدارة .

إن هذا الخطأ له عذر قليل جدا لأنه لا يتضمن تعقيدات دور الجينات ، فنسبة المهنيين في أمريكا اليوم أكبر بكثير عما كانت عليه منذ جيل مضى ، ولذلك يعتبرون أقل تميزا من حيث نسبة الذكاء ، فإذا ما أصبح شخص ما طبيبا ، فإن متوسط نسبة الذكاء لديه قد تصل إلى 100 ، ويشار إلى أن البيانات المقدمة لا تزيف فكرة الجدارة ولكنها ببساطة تبين أن الطبيب يشير إلى جماعة من الناس

تغيرت عبر الزمن ويصبح الاختبار الملائم هو تحديد ما إذا كان الثلث الأعلى من الموظفين حاليا لديهم نسبة ذكاء أعلى من الثلث الأعلى من الموظفين في الجيل السابق , كما أن سيارة اليوم ليست مثيلة للسيارة منذ ثلاثين عاما فإن فكرة " الطبيب " تتطور كل يوم ، وعلى أرض الواقع يضع علماء الاجتماع مسألة التغير الاجتماعي في الاعتبار أكثر من علماء النفس ، ولقد أطلق أرثر جينسن على هذا النوع من المغالطة " مغالطة عالم الاجتماع " لأنها تتعلق بمسألة المكانة الاجتماعية الاقتصادية وهي من موضوعات علم الاجتماع .

أيسر أنواع المقارنة

لقد قمنا ببحث حالات كانت فيها المقارنة أمرا صعبا ، ولكن المقارنة أمر سهل و يبدو أنها لا يتم إجراؤها بسبب الفشل في تطبيق أبسط قواعد الحساب ، إن استخدام مفهوم النسبة المئوية أو النسبة قد يبدو واضحا ولكنه أمر يجعلك متفوقا على معظم الصحفيين الذين يظهرون على شاشات التليفزيون وفي الإذاعة ، وغالبا ما ينخدع الناس بنتائج مزعجة أو مخيفة لشيء ما ولذلك لا يقيسون تكرار تلك النتائج مقابل تكرار النتائج البديلة .

قد تتسبب إحدى حبوب منع الحمل الجيدة في الوفاة ولذلك ننسى أن حبوب منع الحمل غير الجيدة قد تسبب في أعداد أكبر من الوفيات على مستوى المجتمع وذلك بفعل مخاطر الإجهاض أو الولادة ، ويلاحظ أن نقطة من السم تقتل أشجارا قليلة ولذلك فإننا ننسى أن عددا كبيرا من حيوانات البوسوم ينفق في نفس الوقت ، ويعاني القليل من الناس من الإهمال بفعل نظام الطب المشترك ولذلك فإننا ننسى العدد الهائل من غير المؤمن عليهم المحرومين في أمريكا .

عادة ما يعبر عن النسبة في صورة نسبة مئوية فإذا كان 90% من الناس بيض و10% من السود ، فإن نسبة البيض إلى السود تكون 9 إلى 1 ، وإذا ما قتلت حبة

جديدة لمنع الحمل 0.01% وأنقذت 1% من الموت عن طريق الإجهاض أو أثناء الولادة ، فإن نسبة الأرواح التي أنقذت إلى التي أزهقت تبلغ "100" إلى "1" ، ولن أطيل الحديث كثيرا عن هذه النقطة فإذا كنت ضد تناول حبوب منع الحمل بشكل مطلق فإن تقديم أي سبب لرفضها يعتبر كافياً ، وإذا كنت أنت نفسك تتمتع بغطاء صحي ممتاز ولكن لديك إبن تعوله في الجامعة فإن أي ترشيد يوفر عليك دفع الضرائب لمنفعة الآخرين سوف يكون ملحاً .

للنسبة فوائد أخرى ، إذ أحيانا ما يخبرك البعض بأن عدد السرقات في الحي الذي تقطنه قد تضاعف ، إذن عليك بالرجوع إلى النسبة المئوية فإذا ما تضاعفت نسبة المنازل التي تمت سرقتها من 10% إلى 20% فإن هذا يعتبر أمرا مزعجا ، أما إذا تضاعف من 1% إلى 2% فلا داعي للقلق .

نماذج غير معروفة بشكل كاف

قبل أن نترك موضوع مغالطة عالم الاجتماع علينا أن ننظر إليها على أنها علامة على خطأ أساسي في العلوم الاجتماعية : وهي فقدان التواصل مع العالم الحقيقي ، و الحقيقة بأن مجموعتين من البشر تحملان نفس الاسم وكلاهما لهما المكانة الاجتماعية والاقتصادية العالية وكلاهما يطلق عليه " طبيب " ـ تلك الحقيقة تحجب الحقيقة بأن بينهما نقاط اختلاف ونقاط تشابه ، فالعلوم الاجتماعية تستخدم نماذج للتنبؤ بالاتجاهات ولكنها في الغالب تتجاهل ما قد يحدث في العالم الحقيقي لكي يحدث ذاك الاتجاه ، ويطلق على هذه النماذج " النماذج غير المعروفة بشكل كاف " .

سواء كان ماركس يؤمن أو لا يؤمن بما يلي إلا أن بعض أتباعه يؤمنـون بـه وهـو أنـه اكتشف قوانين عامة للتاريخ تحتم اتجاهـا موحـداً وهـو أن المجتمعـات الصـناعية سـوف تتطور من الرأسمالية إلى الاشتراكية ثم إلى الشـيوعية ، وقـد أطلـق كـارل بـوبر عـلى هـذا الاتجاه " التاريخانية " وقد بين أن القوانين الكونية لا تفرض اتجاهـا موحـدا بـل تفـرض في الواقع عددا من الاتجاهات بسـبب حقيقـة أن الأحـوال دائمـة التغـير ، ولـذلك ، فـإن كـل النماذج التي تدعى بأنها تتنبأ باتجاهات بدون أن تضـع الشروط اللازمـة هـي نمـاذج غـير معروفة بشكل كاف .

يعتبر علم الفيزيـاء علـما أكـثر دقـة بكثـير مـن الاقتصـاد أو التـاريخ ، ومـع ذلـك لا يكتشف القوانين التي تفرض اتجاهـات موحـدة ، فقـانون الجاذبيـة قـانون عـام ولكنـه لا يقول بأن كل الأشياء تدور حول الشمس في مدار واحد ، فالمدار يعتمد عـلى حجـم الشيء وبعده عن الشمس والسرعة التـي يتحـرك بهـا حيـث إن الكوكـب القريـب مـن الشـمس يتحرك بشكل أسرع بكثير من الكوكب البعيد عنها وذلك لتحاشي الدخول في أتون الشمس ، كما أن الكوكب الذي تكفي سرعته لمعادلة جاذبيته أو تزيد قليلا يكون لديه مدار دائري مثل الأرض أمـا الكوكـب فـائق السرعـة ولكـن بشـكل لا يسـمح بالانفصـال عـن الشـمس والذهاب في غياهب الفضاء لديه مدار بيضاوي مثل مدرا المريخ ، ويلاحظ أن المذنبات لها مدارات بيضاوية متطاولـة مثـل مـذنب هـالي وهـي ترجـع بعـد سـنوات عديـدة وهنـاك مذنبات تسير بسرعة مذهلة لدرجة أنها تأتي من الفضاء الخارجي ثم تدور حـول الشـمس ثم ما تلبث أن تعود إلى الفضاء الخارجي ولا ترى بعد ذلك على الإطلاق .

تؤدي قوانين التطور إلى اتجاهات مختلفة تحت ظروف مختلفة ، فالثـدييات قد تطورت من الزواحف الليلية التي لم تكن بحاجة لرؤية الألوان ولذلك فـإن كـل الثدييات لديها عمى ألوان ولكن الطبقات العليا من الثدييات تمكنت من استعادة

رؤية الألوان ببطء لأنها تعيش بين الأشجار وتحتاج رؤية أفضل من الكلاب والقطط التي تعيش على سطح الأرض ، ولما كان البشر من الثدييات فأنهم يتمتعون برؤية الألوان ولكن المثير أن عددا لا بأس به من البشر(مثلي) مصابون بعمى الألوان .

ولقد أصبحت أسماك الكهوف بعد أجيال عديدة عمياء لأن الرؤية لا قيمة لها في الظلام الدائم ، و تجدر الإشارة إلى أن مستقبل التاريخانية الماركسية يبدو قاتما ولكن دعنا ننظر إلى ما يقوله ماركس إن ملخص ما يقول بسيط ولكن إذا بحثت بشكل أوسع سوف تصبح الرسالة سليمة .

ماركس والتاريخ

كان ماركس يؤمن بأن نظام المصانع من شأنه أن يقسم الناس إلى طبقات ، فالطبقة الرأسمالية تمتلك وسائل الإنتاج من مصانع ومناجم ومطاحن ولذلك يصبح بإمكانهم تحديد من يعمل لديهم أما طبقة البروليتاريا أو الطبقة العاملة مضطرة لأن تعمل لدى الرأسماليين تحت أي شروط يفرضها السوق ، فالعامل الذي يعين هو العامل الذي باستطاعته العمل لأطول مدة ممكنة مقابل أقل أجر ممكن ، وكانت الفتيات تفضل على الرجال في صناعة النسيج الإنجليزية قديماً لأنه كان بإمكانهن العمل بطعام أقل مما يطلبه الرجال ، أما عن الميكنة فحدث ولا حرج لأنها ببساطة تطيل يوم العمل حتى يسقط العامل مغشيا عليه حيث يمكنك العمل عند تشغيل جرافة بخارية لفترة أطول مما لو عملت مستخدماً المعول والمجرفة .

من الواضح أن الرأسمالية تعمل على إيذاء الطبقة العاملة ، ولكن العمال هم الأغلبية والرأسماليين أقلية وإن آجلاً أو عاجلاً سوف تتكون لدى العمال روح ثورية ويثورون وسوف يتخلصون من الطبقة الرأسمالية ويتولون ملكية وسائل الإنتاج وعند إلغاء السوق سوف ينتج الجميع البضائع لتلبية احتياجات الجميع .

لقد كان من الواضح طيلة الـ 150 عاما الماضية طرأت ظروف معينة, ولا يجب إبادة الجنس البشري أو إعادته إلى الوحشية البدائية من خلال الحرب النووية حيث لا يجب إخلاء الأرض من الموارد التي نحتاجها لدعم الحياة البشرية أو المجتمع الصناعي أو أن يطور العمال طبقة يخشى فيها عمال التشييد و من هم دونهم من العمال أو يحتقرونهم أكثر من احتقارهم للرأسماليين ويجب ألا يعطي السوق معظم العمال أملاكاً كافية أو ألعابا أو سيركاً لتسليتهم ويجب ألا يسيطر الأثرياء وكوادرهم الفكرية على أية وسيلة إعلامية يمنعون فيها مناقشة إعادة توزيع الثروة .

إن التاريخ الحقيقي للطبقة العاملة الأمريكية يعني الاعتداد بالقوى التاريخية التي لا تقوم على الطبقية والتي كانت في معظمها تأثيرات " رجعية " ، فالعمال أتوا من ريف أوربا إلى مجتمع غريب كانت في الكنيسة الكاثوليكية هي المؤسسة المألوفة الوحيدة ، وقد شعر كثير من العمال البيض بالتهديد من قبل العمال السود والمهاجرين المكسيكيين الذين اعتبروهم منافسين لهم على الوظائف وأنهم أناس أقل منهم مرتبة بحكم القانون .

الجدارة والتاريخ

تتنبأ فكرة الجدارة أيضا باتجاه على أساس نموذج لم يعرف بشكل كاف ، تخيل أن ليبراليا أو يسارياً نجح في تقليل نسبة عدم المساواة في البيئة والمميزات ولنتخيل أيضا أن كل المظالم قد ألغيت ، حينئذ يمكننا أن نضع نموذجا له ثلاثة فرضيات (1) مع استبعاد الفروق البيئية , يمكن إرجاع الفروق المتبقية في الموهبة إلى الاختلاف بين الأفراد في نوعية الجين ، (2) مع استبعاد المزايا, قد تأخذ الموهبة طريقها صوب القمة لا يعوقها شيء وما دونها يغوص إلى القاع (3) سوف تتركز الجينات الجيدة للموهبة في الطبقات العليا وتتركز الجينات السيئة في الطبقات الدنيا .

يمكن القول بعبارة أخرى إن مبدأ المساواة بين البشر يميل لأن يـدمر نفسـه بنفسـه ، إذ كلما اقتربنا من مُثُله كان أطفال الطبقـات الـدنيا والعليـا أكـر مـيلا لأن يرثـوا وظـائف ودخول آبائهم طبقا للميزة التي يتمتعون بها ، فالطبقات العليا سوف تصبح متميزة جينياً ولها كل شيء جيد في الحياة وعـلى العكـس تصـبح الطبقـات الـدنيا ذات جينـات متدنيـة حيث لا تعـدو كونهـا طبقـة متدنيـة تسـكن أحيـاء متدنيـة أخلاقيـاً وتسـكن بيوتـا تعـج بالحشرات وبها أسر مفككة ومدارس مختلفة الوظائف .

إن الشيء الوحيد الذي لم يشر إليه هذا النموذج هو الديناميكيات الضروريـة لجعـل نبوءاته محققة ، لنتخيل سباقاً سنوياً تقيمه مدرسة ما بطول البلاد وسوف تصنف النتـائج كل فرد على أساس أدائه في العدو وجينات العدو لديه إذا ما وضعت شروط معينـة ، هنـا سوف يبذل كل فرد ما لديه لكسب السباق ولذلك يتدرب ويقوم بكل ما في وسـعه ، هنـا يجب أن تتوفر للجميع فرصة متسـاوية وبالتحديـد نفـس التـدريب والواجبـات والرعايـة الطبية وخدمات العلاج الطبيعي ، وينطبق نفس النـوع مـن الشروط عـلى المنافسـة عـلى الثروة والوظائف العليا.

الآن دعنا نتخيل ما قد يحدث لكي نخفض المميزات والمظـالم البيئيـة ، هنـا علينـا أن نظل أقل وعياً بالمكانة وأقل ولعا بالمال وعلى الطبقات العليا والوسـطى أن تخصـص قـدرا كبيرا من المال ويضعونه في جيوب الطبقات الدنيا ، وقد يعني هـذا تغـيرا هـائلا في دوافـع البشر . فطالما لديهم ما يكفيهم مـن الممتلكـات ويتمتعـون بمـا يكفـي مـن الأمـن سـوف يهملون التنافس على الثروة حفاظا على العديد من المكتسبات التي يعتبرونها ملبيـة لكـل ما يصبون إليه .

إذا كان الكلام عن ظهور طبقة دنيا فيمكن القول بأن هـذا هـراء ، إذا بـدأت طبقـة تجتمع فيها كل العيوب كالانحطاط الأخلاقي والسـكني المتدنيـة والتعلـيم المـتردي .. الـخ بدأت في الظهور يلزم الارتقاء ببيئتها حتى يتسنى لأطفالهـا مجـال مناسـب يرتعـون فيـه ، وهذا معناه أن نضمن حياة كريمة لكل فرد بغض النظر عن المزايا التي تتوفر له في طبقته.

إذن ما تأثير ذلك على الحوافز ؟ فكثير من الموهوبين قد يريدون أكثر من الحد الأدنى الجذاب ، ولكن كم منهم يهتم بمسألة إسقاط آخر دولار من شجرة النقود ؟ يجب أن نضع في حسباننا أنه كلما دفعنا من جودة البيئة إلى أعلى قلت جاذبية الجوائز المخصصة للفائزين .

المفاهيم مضاف إليها الحساب

أتمنى أن أكون قد أقنعتك بأنه بإمكانك أن تفهم منهجية العلوم الاجتماعية مع توفر القليل من المعرفة بالرياضيات ، فهناك ثمانية مفاهيم من الضروري استيعابها ، وعلى أية حال ، لم يتطلب أي منها أن نفعل أي شيء خلاف أساسيات الحساب ، فبدون ذلك أخشى أن تقع فريسة لكل عالم اجتماع سيء .

الجزء الثالث

السوق و مكانه الأثير

(11)

إنشاء سوق ـ وليس ماردا

االمفاهيم الدالة : (13) السوق (العرض والطلب)

يعتبر مفهوم السوق بالأساس قانون العرض والطلب ، فإذا كان هناك نقص في عرض شيء ما يطلبه الناس ترتفع قيمته بفعل المنافسة بين المشترين أما إذا كانت هناك وفرة في العرض فإن قيمته تنخفض بسبب المنافسة بين البائعين .

النظرة العامة التمهيدية : المقصود بعلم الاقتصاد ، السوق ومسألة السلالة ، ماالمقصود بالنقود ، متى يوجد السوق ، اختيار من يمكنه المشاركة (التجارة الحرة) ، اختيار البضائع التي يمكن المتاجرة بها والخدمات والمعلومات ، الأسعار ، التكاليف ، الدخل والأرباح .

سنقوم في هذا الفصل بالتعرض للمفاهيم الأساسية في علم الاقتصاد من خلال تقديم بعض الأمثلة أي باستخدام تلك الأمثلة للوصول إلى استنتاجات بشأن مزايا وحدود السوق , ولقد اكتشفت أن لا شيء يصرف الطلاب عن جادة الصواب بصورة سريعة أكثر من التحليل الذي لا يفضي إلى أية نتيجة مثل أن نستهل كل عبارة بكلام مثل هذا ما يقوله الماركسيون ، و هذ1 ما يقوله ميلتون فريد مان ، وهذا ما يقوله الليبراليون ... الخ .. إن هدفي ليس في محاولة إجبارك على الاتفاق معي بل في محاولة مساعدتك ، ففي حال اتقانك للمفاهيم الأساسية يمكنك مواصلة القراءة والوصول إلى استنتاجاتك الخاصة ولن تصبح مجرد متفرج عاجز يشعر أن الجهل يعزله عن العالم .

إن مفهوم السوق كأداة للتحليل يغطي مجالا واسعا فهو لا يلقي الضوء على الاقتصاد فحسب ولكن على العلوم الاجتماعية بشكل عام ، ويرجع هذا إلى أن هناك أنماطاً من السلوك البشري تقترب من السوق وأخرى يعتبر تأثير السوق قوياً ولكن ليس من السهل ملاحظته ، ولقد اخترت الحالة التالية من بين العديد من الحالات التي تناولتها في كتابي " إلى أين يذهب جميع الليبراليين ؟" (فلين 2008) .

عندما يستخدم البيض مسألة العرق للتمييز ضد السود يعتبر من السهل وضع كل البيض في أسوأ سلة ، ولنتأمل عاملا واحدا من عوامل السوق : أن الناس يضعون التكاليف في اعتبارهم عند اتخاذ القرار ويشتمل هذا على تكلفة المعلومات و ولنأخذ مثالا على ما سبق.. امرأة ترملت ولديها فائض من الغرف وتحتاج إلى عائد جراء تأجير تلك الغرف ، ثم جاء شخصان يطرقان بابها ، أحدهما شاب أمريكي أسود يبلغ من العمر 25 عاما والآخر شابة أمريكية من أصل كوري تبلغ من العمر 25 عاما أيضا ، هذه الأرملة لا تطيق تكلفة تعيين أحد المخبرين لفحص حالة الشخصين السابقين ، فهي تعرف أن واحداً من كل ثلاثة سود متورط بشكل أو بآخر في جناية ما وأن كثيرا منهم يتعاطون المخدرات ، وتعرف أن الفتيات الكوريات هادئات بشكل كبير ، ومتحفظات ومريحات في دفع الإيجار ، هنا ، لماذا تفضل فرصة 33% من المتاعب الحقيقية على أمن يقيني مائة في المائة ؟ وبعبارة أخرى ، لا يعني عدم وجود تحيز ضد اللون أن يكون الفرد مصاباً بعمي الألوان .

وثمة مثال آخر لبنك تقدم له العديد من الأشخاص البيض طلبا لقروض تفوق ما به من أموال ، يشار إلى أن مسئولي البنك يعرفون أن رجال الأعمال السود لديهم خبرة إدارية أقل وأن معدلات فشلهم أعلى فإذا ما تجشم البنك تكلفة فحص حالة كل شخص أسود للتأكد من أنه يختلف عن البقية فإن هذا يعتبر عيباً في سوق المنافسة ، والدليل على أن هذه الاعتبارات لا ترتبط بالتحيز ضد العرق هو أن

البنوك التي يملكها السود تستثمر خارج مجتمع السود أكثر من البنوك التي يملكها البيض ، كما أن ملاك العقارات السود والبيض يفضلون مستأجرين بيضا .

يستخدم أصحاب الأعمال العرق كعلامة رخيصة على المهارة والدافعية والاتجاه نحو السلطة ، ففي عام 2002 تم ترتيب 5000 سيرة ذاتية بشكل مزدوج على أساس الجودة نصفها تحت اسم من أسماء البيض (أميلي أو جريح) والنصف الآخر تحت اسم من أسماء السود (لاكيشا أو جمال) وأرسلت إلى 1250 صاحب عمل أعلنوا عن حاجتهم إلى موظفين حيث لوحظ أن أكثر من 50% من الأسماء البيض قد حظيت بقبول أصحاب الأعمال .

فيما يتعلق بأمور الشرطة يلاحظ أنهم يوقفون الشباب السود الذين يستقلون سيارات عالية الثمن للتفتيش عن المخدرات أو على فرضية أن السيارة قد تكون مسروقة ، ويشار إلى أن هذا الفعل له فاعلية أكثر من إيقاف كل الأفراد كما أن التفتيش من قبل الشرطة يعتبر خبرة غير مرحب بها لدى الذكور السود ، وهناك حكاية يتناقلها الجميع تتعلق بشخص أسود يقوم بإطلاق صيحة فيفالدى كلما شاهد الشرطة على أمل أن يغير هذا التصرف من وضعية العرق ، ولنا مثال على ذلك في أحد الإحصائيات ، فمنذ 1941 قتلت الشرطة البيضاء 25 من أفراد الشرطة السود يعملون في مدينة نيويورك فقط ، ويشار إلى أنك عندما ترى رجلا أسودا بملابس مدنية يهدد شخصا ما بمسدس عادة ما تعتقد أنه هو المجرم ومن المدهش أنه في الواقع هو المجرم ، وأخيرا لم يُقتل أى فرد شرطة أبيض بلباس مدني على الإطلاق .

المسألة هنا لا تكمن في أن استخدام العرق مسموح به أخلاقيا ولكن المسألة في أنه في غياب تحليل السوق فقد تفشل في أن تدرك أن عليك أن تفعل أكثر من مجرد إلغاء التحيز العرقي لكي تستبعد أضراره ، فعليك أن تغير الإحصائيات الاجتماعية التي يقوم عليها استخدام الخلفية العرقية ، وإذا لم يكن هناك بد من استخدامها فإن أفضل شيء يمكنك فعله هو أن توفر للسود تعويضا عما يكابدونه في السوق ، ويطلق على هذا الأمر العمل الإيجابي .

نتحول الآن إلى تحليل السوق بالشكل التقليدي ، مبدئياً أريد أن أجيب عن سؤال غالبا ما يسأله الطلاب وهو بالتحديد : لماذا نضع قيمة للنقود ؟ إنهم يعرفون أنها لم تعد مغطاة بالذهب أو الفضة بل هي مجرد قصاصات ورقية ، لماذا لا نطبع ما يكفي منها لكي نجعل كل الناس أثرياء أو على الأقل نجعل أمتنا أغني من أية أمة أخرى ؟ لقد استطعنا في الأيام الأخيرة فقط أن نجد إجابة شافية ، حيث إنه على الرغم من أن البشرية تستخدم النقود منذ آلاف السنين لم يظهر إلا في نهاية القرن العشرين نوع من الإجماع بشأن كيفية إدارة المعروض من النقود ، ويكمن هنا مفتاح أساس قيمتها .

لنبدأ بالمقايضة ، قد يكون لديك طائرة وقابلت شخصاً لديه عشر سيارات رياضية وكلاكما يعتبر المبادلة أمراً عادلا ، قد تنتظر وقتا طويلا لكي يتم هذا الأمر ، وتجدر الإشارة إلى أنه من الأفضل أن يكون لديك سوق يستخدم النقود الذي يهيئ سعرا متساويا للبضاعتين وهذا يعني أن الناس يميلون بطبيعتهم إلى دفع نفس القدر من المال لكلا البضاعتين ربما لأن تكاليف الإنتاج بالإضافة إلى ربح معقول تتساوى ، والآن ، يمكنك أن تبيع طائرتك مقابل مليون دولار ثم تبادر بالاتصال بأحد بائعي السيارات الذي يمكنه أن يبيعك عشر سيارات مقابل مليون دولار أيضا إذن تعتبر النقود ذات فائدة لأنها تجعل التبادل سهلا ، كما أن هدفنا الآن أصبح واضحاً أي أن القدر الصحيح من النقود محل التداول هو القدر الذي نحتاجه لتسهيل كل المبادلات التي يود الناس القيام بها .

ولكن ما حجم النقود التي نتحدث عنها ؟ نحن نعرف أن قدرا هائلا من النقود يصبح محل تداول إذا ما بدأت الأسعار في الزيادة وبالتالي نقوم بمبالغ هائلة من الأموال بمطاردة القليل جدا من البضائع ، وبالتالي يصبح أفضل شيء نقوم به هو أن يكون لدينا بنك مركزي يعمل على ضبط معدلات الفائدة فإذا رفع معدلات الفائدة يصبح اقتراض الأموال أكثر تكلفة ، وعند قيام الناس بسداد أقساط الديون

يتوفر القليل من القروض الجديدة التي من شأنها أن تؤدي إلى الإقلال من الأموال محل التداول ولأن عرض الأموال يقل تبدأ الأسعار في الانخفاض .

هناك اتفاق عام على أن التضخم المرتفع أمر غير مرغوب فيه حيث إن التضخم المنفلت يعني أن الناس يصابون بحالة من الريبة بشأن تعاملاتهم ، فأنا أبني بيتا بتكلفة معينة في ضوء القيمة الحالية للدولار ولكن قد أبيعه بعد عام حدث فيه تضخم في الأسعار ، هنا من يعرف كم تساوي هذه الدولارات ؟ ولذلك لم لا نتحكم في أسعار الفائدة بحيث يصبح التضخم عند مستوى الصفر ؟

وإذا ارتكبت خطأ فسوف يحدث انكماش وهذا أيضا أمر سيء ، فلكي أدير تجارتي قد أحصل على قرض بسعر اليوم وأضع أسعاري بسعر اليوم ، حينئذ أكون قد وقعت في الفخ حيث على أن أدفع الدين المستحق عليّ مستخدما أموالي العزيزة جدا وأخفض الأسعار بالضبط لأن هناك أموالا قليلة جدا تطارد البضائع وبالتالي قد أصبح على شفا الإفلاس , يتراوح الهدف الأسمى للتضخم بين 1 إلى 3 حيث إن الأسعار تتغير تبعا للطلب وبالتالي فإن العوامل النفسية تلعب دورها ، فإذا قلنا إن الطلب على السيارات قد انخفض هنا تعتري العمال حالة من الامتعاض نظرا لانخفاض الأموال التي تدخل جيوبهم وكذلك البائعين نظرا للانخفاض الذي طرأ على الأسعار ، ولكن لابد أن يحدث شيء مثل ذلك إذا ما كانوا يريدون أن يبيعوا سياراتهم ولذلك فإنك تخدعهم من خلال نسبة التضخم البالغة 3% حيث يتقاضى العمال نفس القدر من الدولارات ويحصل البائع على نفس الحجم من الدولارات عند بيع السيارات ولكن هذه الدولارات تساوي فقط 97% من قيمتها السابقة ، حيث انخفضت تكاليف الأجور وكذلك انخفضت أسعار السيارات تبعا لانخفاض الطلب ، ولكن من يريد توفيق أوضاعه لا يشعر بمضار هذه الانخفاضات .

إن التضخم الخفيف أي التضخم الذي يتراوح بين 1 و 3 ليس ضارا ، ففي حالة الرهن العقاري يعرف المرء أنه لن يدفع دولارات أكثر من الدولارات التي اقترضها ولن يخسر البنك لأنه يضع المعدل المطلوب في التضخم في الحسبان عند تحديد سعر الفائدة على القرض .

والآن عرفنا ماهية النقود وماذا يقف وراء قيمتها ، فهي شيء صنعناه لكي نسـهل عمليـة المبـادلات ولـذلك ، فـإن كميـة الأمـوال الموجـودة يجـب أن تعـادل عـدد ونوعيـة المبادلات التي تتم في اقتصاد أية دولة لأن جودة الاقتصاد تكمن في قيمة الأموال المتداولـة ، وإذا ما أرادت دولة أن تزيد من تضخم ثروتها بما يفوق اقتصادها يتولد اتجاه تصحيحي وسوف تهبط قيمتها بما يعادل التضخم وبالتـالي لا يتحقـق أي شيء باسـتثناء الارتيـاب في استقامة القائمين على الإدارة المالية ، ولقد عرفنا أيضا لماذا يكون لدى الدول بنـوك مركزيـة تحدد معدلات الفائدة تتماشى مع معدل التضخم .

رب فائدة مضافة جراء فهمنا لماهية النقود ألا وهي أن الحوار الاقتصـادي أصـبح رشيدا ففي عام 1900 نادى وليم جينيجز برايـان بتحريـر صـك الفضـة كطريقـة لتضـخيم العملة ومساعدة الفقراء كما قال " يجب ألا نصلب العامل عـلى صـليب مـن الـذهب " ، والآن ، يدور جدال حول ما إذا كان بإمكان البنك المركزي تحديد معدل التضخم ما بـين 2 و 3 و 4% والبحث عن أدلة عملية بشأن أفضل الآليـات التـي تعمـل عـلى نمـو الاقتصـاد وخلق الوظائف ، هنا يمكن القول بأن هذا تحسن هائل .

متى يوجد السوق ؟

يعتبر مفهوم السوق غير ذي قيمة إلا إذا وجد شيء ما في العالم الحقيقـي يقابلـه حيث لم يتوفر لمعظم المجتمعات البشرية ما يعرف باقتصاد السوق أمـا المجتمعـات التـي توفر لها اقتصاد السوق فهي تتمتع بنظام للسلوك يؤدي وظيفة على النحو التالي :

- الممثلون هم كل المشترين والبائعين الذين يؤثرون في سعر السلع التجارية .
- هؤلاء يتبادلون السلع على هيئة بضائع وخدمات ومعلومات .

- يحكم قانون العرض والطلب هذه المبادلات ويحدد سعرا لكل سلعة تجارية .
- تتم المبادلات عندما تتفق مصالح المشتري والبائع .

اختيار من يستطيع المشاركة : التجارة الحرة ؟

لا يسمح أي مجتمع للناس بأن يقرروا ببساطة أن يكونوا مشاركين في السوق ، فعلى سبيل المثال ، يشارك من يملكون سلعا مسروقة على مسئوليتهم بمعنى أن على القانون أن يحدد الملكية القانونية (أي الحق في بيع شيء ما) قبل أن يعمل السوق ، وإلا فإن المنتجين لن يجدوا سوقا رائجة لبضائعهم لأنه من الأرخص أن تسرق شيئا ما أو تأخذه عنوة بدلا من أن تصنعه أو تزرعه ، ويشار إلى أن حقيقة تقسيم العالم إلى دول تعني أن التجارة الدولية غالبا ما تحكمها ما تعرف بالتعريفة التي تحظر البضائع الأجنبية أو تحد من ارتفاع سعرها فإذا ما كان العالم أمة واحدة ذات حراك تام للبشر وقوانين موحدة لحماية البضائع لن يكون هناك مبرر للتعريفة أو القيود على التجارة الحرة .

في الواقع يصبح العالم أكثر فقرا إذا لم يكن هناك ارتباط إيجابي بثقافة قومية أو محلية , فبلد كنيوزيلاندا تقع على مسافة بعيدة جدا عن الأسواق العالمية مما يزيد من تكاليف النقل ، لنفترض أن هذا يجعل نيوزيلاندا منتجا غير منافس في كل شيء باستثناء أفلام السينما والمنتجات الزراعية (حيث إن مناخها وتربتها يعطيانها ميزة منفردة) ، وكما يحدث في بعض الدول الأمريكية حيث يهاجر سكانها إلى مناطق منافسة من الناحية الاقتصادية ، فإن نيوزيلاندا قد تفقد ثلثي سكانها .

في مرحلة معينة قد يتلاشى حب المنتج المحلي إذا لم تجد إحدى الطبقات عملا وعندما تقوم بحماية الصناعة المحلية غير القادرة على المنافسة من خلال التعريفة التي تزيد من تكلفة البضائع الأجنبية ، تصبح الأسعار أكثر ارتفاعا وبالتالي تقوم بدعم الصناعة من عوائد الزراعة والسياحة ، هذا قد يساعد طبقة

العاملين الرحل على إيجاد عمل بدلا من إرسالهم إلى العمل في الخارج وبالتالي يمكن القول بأن الحفاظ على المجتمعات الوطنية على حساب النمو الاقتصادي للعالم أمر جدير بالاهتمام .

أحيانا يمكن تبرير التعريفة الجمركية بالحقيقة التي تقول إن البضائع المستوردة هي نتاج عمل يقوم على استغلال العمال ، ولكن يمكن الرد على ذلك بأنه مهما ساءت أحوال العمال فإن الناس المحليين يفضلونها على الفقر الزراعي كما أن تدمير السوق أمام بضائعهم يعني ببساطة إجبارهم على العيش في بؤس شديد .

على الجانب الآخر فإن النقد الموجه إلى التجارة الحرة على أساس أنها دافع لجني مزايا التكاليف المنخفض للإنتاج عن طريق تجاهل البيئة ـ هذا النقد لا يوجد رد عليه ، وهذا يرجع إلى أنه حقيقي ، وخصوصا لأن البيئة المحلية قد تعاني بصورة أقل من البيئة الدولية ، ونظرا لأن هناك ميلا لدى الأمم لأن تصبح أقل عداء للبيئة عندما تتحول من كونها دول نامية إلى دول متقدمة .

دعنا نلقي الضوء على الممارسات الجيدة التي تقوم بها الولايات المتحدة بالمقارنة بالصين ، ولكنه حقيقي أيضا أنه ليس هناك مستوى من التقدم وصل إلى نقطة تعتبر فيها بصمة أية دولة في البيئة مستدامة ، فالولايات المتحدة غنية جدا ولكنها لم تصل إلى تلك النقطة .

إن الحل الوحيد قد يكمن في حظر مشاركة المنتجين الخطرين في السوق لأنهم يهددون الصالح العام للجنس البشري ، وتعتبر معاهدة كيوتو ـ والتي لم توقع عليها الولايات المتحدة محاولة متواضعة لتحقيق هذا الهدف ويشار إلى أن التأثير الحاد للتصنيع المتزايد قد يؤدي إلى تدهور البيئة العالمية إلى درجة قد تؤدي إلى انهيار السلوك المتحضر والنظام العالمي ، كما أن محاولة جعل الدول الصناعية مثل الصين والهند والبرازيل تحد من نموها ومستويات المعيشة بها قد تشجع دولا مثل الولايات المتحدة على الموافقة على خفض نسبة التصنيع وكذلك مستوى المعيشة ، ومن الجدير بالذكر أن الاتفاق على أهداف بشأن

الاستهلاك الرشيد للموارد العالمية والحفاظ على مستوى معيشي عالمي مستدام يعتبران أمرين لا يود أحد مواجهتهما .

قد يحقق السوق الحر هذا الهدف بشكل تلقائي ولكن لا يعتقد أحد أنه سوف يسمح به القيام بذلك ، فإذا ما أضرت قوى السوق بالأقوياء فإنهم يستخدمون القوة العسكرية للحصول على المواد الخام والشروط المتميزة في التجارة وهنا تحدث المواجهات الكارثية ، والبديل الوحيد هنا نوع من التوافق .

اختيار البضائع والخدمات والمعلومات التجارية

هناك بضائع وخدمات معينة غالبا ما يتم حظرها مثل بيع البشر كعبيد واستغلال الأطفال جنسيا والتعاقد على قتل شخص ما ، ويتساءل البعض عن تجارة السلاح والسجائر وأنواع معينة من الحيوانات ، إذ لا يوجد شئ في مفهوم السوق يقرر مسألة السماح لهذه البضائع والخدمات بل هي مسألة أخلاقية ، حيث أحيانا يجلب المنع المزيد من التكلفة ، ففي القرن التاسع عشر توصلت النخبة الحاكمة في بريطانيا إلى اتفاق على أن تجارة الرقيق والتي كانت مربحة جدا عملية خاطئة ، ولذلك خصصت أموالا ضخمة لنشر البحرية الملكية بغرض منع تجارة الرقيق دون أن ينتج عن ذلك أية فائدة اقتصادية.

يمكنك أن تسمح ببيع الأدوية الفاسدة التي تؤدي إلى وفاة الناس أو تسممهم أو لحوم فاسدة أو بضائع معلبة أو سيارات غير آمنة أو مساكن على وشك الانهيار ، من المفترض أن يختار السوق البضائع التي تثق فيها وبالتالي يعتبر تزييف تلك البضائع أمرا غير قانوني ، ولقد أثبتت التجربة أن السوق غير كفء في هذا الجانب وبالتالي فإن كثيرا من الناس يلقون حتفهم ، لذلك يجب أن يكون هناك قوانين للأغذية الصحية و الأدوية وكذلك يجب أن يتم فحص المنازل أثناء إنشائها .. الخ .. هناك أيضا قوانين ضد الإعلانات الزائفة

بمعنى السماح بإقامة دعاوى ضد المنتجات التي لا يمكن للمستهلك التأكد من فاعليتها إلا بعد ما يطلق عليه الاستخدام الكارثي ، وينطبق هذا على حماية المستثمرين من بعض الأمور الأمنية التي لا تقدر خطورتها بشكل كاف ، إن ما يحدث عندما لا يتم ذلك من قبل القطاع الحكومي أو القطاع الخاص أصبح واضحا إبان الأزمة الاقتصادية في عام 2008 .

من الوارد أن تقوم أطراف أخرى بتقليد بضائعك فور تسويقها أو تقوم بنسخ ما تكتب أو تلحق أو تصوره من أفلام ، ويشار إلى أن السماح بمسألة " التقليد " في السوق يميل لأن يجعل من غير العملي استثمار أموال طائلة في البحث من أجل إيجاد أدوية أو منتجات أو أساليب جديدة لأن هناك براءة الاختراع وقد يصبح الملحنون والفنانون والكتاب أكثر فقرا إذا لم يسمح لهم بحماية حقوق التأليف أو إعطاؤهم أجور إضافية بالجامعة) ، وهناك نوع من المعلومات يجب الاحتفاظ بها سرا ولكن لا يمكن حمايتها من خلال براءة الاختراع ، هنا تتوفر لها الحماية القانونية ضد الجاسوسية الصناعية (بمعنى أن المنافسين يزرعون جواسيس) بالإضافة إلى الاتفاقيات الملزمة بحيث يمكن أن يكون هناك إشراف ومتابعة لموظفينك عندما يتركون العمل لديك ، ويعني ذلك أنك يجب أن توافق على الوظائف التي يتقلدونها لعدة سنوات وذلك لمنعهم من الذهاب إلى منافسيك بما يعرفون عن شركاتك ومصانعك .

لا يمنع مفهوم السوق أيضا خدمات معينة مثل ابتزاز الحماية بمعنى أنك تدفع لي مبلغ من المال مقابل عدم قيامي بإيذائك أو تدمير مبانيك أو بضائعك ، ويشار إلى أن السماح بمثل تلك الخدمات للدخول إلى السوق له أثر شديد السوء على الصحة الاقتصادية (وكذلك الرفاهية البشرية) بالإضافة إلى أنها ممنوعة كما أن هناك بعض الجهات لا توفر لك حماية من قبل الشرطة ولكنها في نفس الوقت تسمح لك بتوظيف أمن خاص بك ، في الواقع هذا

يجعل الحماية وظيفة القدرة على الدفع ويجعل ما يطلق عليه الشرطة الخاصة تعمل عمل القائمين بوظيفة ابتزاز الحماية .

الأسعار والتكاليف والدخل والأرباح

يضع قانون العرض والطلب , على الأقل في سوق المال , سعرا لكل سلعة تجارية ، وهذا يسمح باليد الخفية أن تعمل بكل طاقتها ، ولذلك ، يتنافس البائعون على تسويق المنتج المساوي في الجودة لمنتجات المنافسين بأقل الأسعار التي يحققون منها أرباحا ، هنا يطرد المنتجون غير الأكفاء من السوق لأن الآخرين يمكنهم الربح من الأسعار المنخفضة في حين لا يستطيعون هم فعل ذلك ، وإذا كان هناك طلب على منتج ذي نوعية أفضل ، سوف يتنافس المنتجون على تلبية ذلك الطلب ، وهنا يبرز السعر المنخفض الباقي على الحياة في السوق مرة أخرى ، إذ إن الربح يأتي عندما يفوق الدخل الكلي لتكاليف الكلية.

هناك وسائل لتقليل التكاليف والتي تواجه اعتراضا أخلاقيا ، مثلا ، الاستفادة من عمالة الأطفال ومن الحقيقة بأن المستفيد الثاني قد يجد من المقبول أن يعمل بسعر أقل من المستفيد الأول (فتكلفة اثنين يعيشان معا أقل من تكلفة شخص يعيش بمفرده) ، وإذا ما اتجه السوق للتقليل من أجور المستفيد الثاني ومن يعمل نصف الوقت سيكون معظمهم من النساء و ستصبح أجورهم أقل من الرجال ، أحيانا نكون ميزة لدى صاحب عمل ما أن يخفض أجور العمال إلى مستوى يثير السخط ، حيث إن وجود أطفال في سن الرابعة يقبعون في ظلام دامس طوال اليوم في المناجم ، والظروف التي تقتل القوى العاملة في سن مبكرة ودفع أقل الأجور التي بالكاد تحفظ بقاء العامل قادرا جسمانيا على العمل ـ كل هذا يعتبر نفاية التاريخ .

هناك نقطة ملحة في كل ما سبق حيث لا يمكننا أن نتصور مجتمعا متحضرا نخلق سوقا دون رادع أخلاقي في كل خطوة بخطوها وأكثر من ذلك ، إذا تم إنشاء هذه السوق فلا يجب أن يكون نوعا من المردة يسمح لها بمعاملة البشر كما يحلو لها ، فلنا كل الحق في إنشاء سوق على أساس ما يقرره البشر من أجل حماية الناس من الأضرار .

(12)

قوي السوق- كيف تقتص لنفسها

المفهوم الدال:(3)السوق(تنظيم) طالما فهمت معني السوق ، فأنه بوسعك أن تعـي كيـف يمكن لمحاولات تطويع السوق لتحقيق نفع للناس أن تكون ذات نتائج عكسية.
النظرة العامة التمهيدية :التحكم في الإيجار، السند المدرسي ، التحكم في الأسعار(اتحادات) السلعة المجانية ، البقشيش ، تنظيم الأجور ، الأجور الإضافية ، تنظيم الإرث, أنشاء منتـزه عام.

لقد أثبتنا أنه من القانوني أن نقوم بتنظيم السوق من حيث المبدأ ، لكن هـذا لا يعنى أن كل محاولة لفعل ذلك تكون عقلانية عند التطبيق, فالسوق لـيس آليـة جامـدة , في الحقيقة، نحن نتجاهل قوي السوق علي الرغم من خطورة ذلك ، كما سوف نري الآن مع بعض الأمثلة.

ضوابط الإيجار

يوفر السوق السكن لكل الأفراد والأسر الـذين لـديهم أيـة قـدرة ممكنـة علي الدفع. هؤلاء من ذوي الأجور المنخفضة أو اغـير الثابتـة فهـم يحصـلون عـلي مساكن رخيصة وقد تكون ذات جودة منخفضة ,و ربما تكـون منـازل غـير مأمونـة عند حدوث الحرائق ، أو منازل من الصعب تدفئتها ، أو تحوي الحرير الصخري في جدرانها(معدن لا يحترق ولا يوصل الحـرارة) أو تكـون منـازل مكتظـة فـلا يتمتـع أفرادها بالخصوصية (فلا يوجد أمـاكن للأطفـال يلهـون فيهـا أو يـؤدون واجبـاتهم

المدرسية) أو ربما تكون مليئة بالهوام التى قد تؤدي الي إصابة الأطفال بالمرض. علي سبيل المثال ، الصراصير تسبب الحساسية وتحمل علي أجسادها 32 نوعا من البكتريا المسببة للأمراض و17 فطر مسبب للأمراض ، وثلاثة حيوانات وحيدة الخلية ومسببة للأمراض وكذلك فيروسات (يعتقد أغلب الأطباء أن أغلب هذه الأشياء يمكن أن تنتقل إلي الإنسان لكن ليس هناك اتفاق علي كيفية الانتقال .

إن القوانين التى تسن من أجل إجبار الملاك أو أصحاب العقارات علي توفير مساكن آمنه ، تلك القوانين تؤدى إلي رفع إيجارات المساكن المتاحة والمطابقة للحد الأدنى من الشروط القياسية . إذ كان علي المالك أن يوفر مخارج للطوارئ ، فإن ذلك يضيف الكثير علي كاهله ، الأمر الذي يؤدي إلي إيجارات عالية السعر. هذا يؤدى بنا الي معضلة قيود ومحاذير الاختيار, هل يتسنى لمكسيكي ، وصل مؤخراً إلى الولايات المتحدة ليس لديه خيار قبول مخاطر الحريق في مقابل القيمة الإيجارية المنخفضة , خيار قد يسمح له أن يحضر أسرته إلى أمريكا في أقرب وقت ؟

هناك ثلاثة حلول استخدمت لجعل المساكن الزهيدة آمنة وفي متناول غير القادرين .

يستلزم ضبط الإيجار شروطا غير عادية ، لكنهم لا يوفرون حلولا عامة لهؤلاء الإناس غير القادرين على دفع أموال مقابل المسكن الراقي .

افترض أن شريحة كبيرة من السكان فقيرة وتنافسية السوق قد حددت مستويات الإيجار , وإذا تم تحديد حد أقصى للإيجار لا ينبغي للملاك أن يتعدوه ، فقد يأتي ذلك بنتائج عكسية لأن ذلك يتجاهل قوى السوق . إذن تم ضبط الإيجار ليكون أقل من سعر السوق ، حيث إن ذلك سيقلل ربح المالك لدرجة أنه سيصبح استثمارا لا جدوى منه . و قد يضع المستثمرون أموالهم في مكان آخر ، لن يكون هناك توسع في سوق المساكن الإيجارية منخفضة التكلفة ، وإذا زاد عدد السكان ، لن يكون هناك ببساطة مكان يأوي الفقراء . سوف يعاني المستأجرون الموجودون بالسكن من أجل أن يمول المالك الإصلا حات والصيانة , إن الطريقة الوحيدة التي تجعل المالك

يحافظ على ربحه هي أن يتجاهل الإصلاحات اللازمة وبينما العقار قد يتهالك فإن المالك لن يعير أي انتباه لأن العقار لم يعد شيء نافعا أو يدر ربحا .

إن دعم الإيجارات تجنبنا هذه المشاكل, فالسوق يحدد قيمة الإيجار ، وبينما ترفع ضوابط وقوانين الأمان الحد الأدني للإيجار ، فإن المستأجرين ذوى الدخل المحدود يحصلون على جزء من الموارد المالية العامة من أجل المساهمة في دفع الإيجار فدعم الإيجار شيء مناسب ومطلوب من أجل التحكم في الإيجارات ويروق للسياسيين لأنهم لا يريدون إنفاق سوى مبلغ صغير ، كما يريدون زيادة قليلة في الدخل الحكومي الإضافي من الضرائب . ومع ذلك ، عند نقطة معينة تجد أنه من أجل توفير مسكن إيجاري ملائم للفقراء ، فإن الحكومة تدفع نصيب الأسد في هذا الإيجار , وعند هذه النقطة ، فإنه من المعقول بالنسبة للدولة أن تبني أو تشتري منازل عامة أو أسهما حكومية حيث أن السكن الذي توفره الدولة لا يهدف إلى الربح ، لأن أرباح المالك تعتبرها الدولة تكلفة ، وتقوم الدولة مباشرة بتوفير الاصلاحات بدلا من إجبار الملاك على اتباع إجراءات قانونية مكلفة , ولا يستلزم أن يكون المنزل قذرا إذا كان بإمكانك مقاومة اختلاف الطبقة الاجتماعية وجعله في منطقة صغيرة في أسوأ مكان في المدينة لا يستلزم أن يكون مخالفا للقانون إذا قمت بوضع ضابط شرطة بشكل دائم في المبنى , كما أنه من الممكن أن يرقى إلى امتلاك المنزل إذا سمحت للمستأجرين أن يمتلكوا أسهما في المنزل إذا دفعوا أكثر من القيمة الإيجارية المنصوص عليها (عادة 20% من دخل الفرد) حيث تمنح الحاصلين على ادنى من ثلث الدخل فرصة حقيقية في امتلاك المنزل ، شيء لم ينجح في تحقيقه أي مجتمع من خلال سوق العقارات الخاص .

السكن الذي توفره الدولة يمكن أن يكون ذا نفع في تحقيق وتسهيل حركة العمال الذين يحتاجون إلى تغيير سكنهم والرحيل إلى مكان جديد من أجل وظائفهم , فمثلا إذا أردت الرحيل من نيويورك إلى ولاية اريزونا ، بإمكانك أن تنقل أسهمك في منزلك إلى منزل حكومي شاغر ومساوي لمسكنك , أما إذا كنت ستدفع

تكاليف الانتقال أم لا ، فهذا يعتمد على ما إذا كان نقلك إلى هذا المكان سوف يقلل من البطالة ويوفر الأموال العامة أم لا .

السندات المدرسية

السندات المدرسية تُعني بإعطاء الأطفال الملتحقين بمدارس عامة سيئة (المدارس الحكومية ببريطانيا) الفرصة للالتحاق بمدارس خاصة مع وجود سند في أيديهم ورسل المدارس الخاصة السندات إلى الحكومة والتي سوف تقوم بدورها بدفع النفقات المستحقة إلى المدرسة بقيمتها الفعلية .

في عام 2001 ، كانت القيمة المستحقة تبلغ 2500 دولار ، استنادا على تكلفة تعليم الطفل في نظام المدارس الحكومية , أن و يعد تأثير هذه السندات على نظام مختلط من المدارس الخاصة والعامة معضلة كبيرة ، لكنه من السهل تحديد إمكانياتها إذا تم إلغاء المدارس العامة لصالح نظام خاص بالكامل أولا ، خذ على سبيل المثال المدرسة التي تعتمد بالكامل على نظام السندات , حيث يحصل الطلاب على مستوى تعليمي أيا كان والذي تقدمه المدرسة الملتزمة بهذا النظام عند تكلفة قدرها 2500 دولار ، وفي نفس الوقت تحقق ربحا, أما إذا كان هذا يبدو أسوأ من المدرسة العامة هذه الأيام فإن هذا يعتمد على ما سوف يتم تقديمه مقابل هذا السعر.

لو وضعت حدا أدنى للمواصفات القياسية ، فإن ذلك أشبه بمسألة ضبط الإيجارات , و إذا لم يستطع أحد أن يقدم ذلك المستوى المطلوب وفي نفس الوقت يعود عليه بالربح ، فإن معظم المدارس سوف تطلب أموالا أكبر مما يوفرها السند ، أو ربما يلجأون إلى الغش أو المخادعة في مسألة توفير الحد الأدني من المواصفات القياسية (مثلما يفعل أصحاب العقارات الملتزمون بإيجارات معينة والذين يقومون

بإهمال الإصلاحات في مساكنهم على الرغم من ذكر ذلك في بنود العقد الخاصة بالإيجار).

ثانيا : إذا لم تستطع المدرسة أن تطالب بفرق القيمة بالنسبة للطلاب الذين يثقلون كاهل المدرسة بتكاليف زائدة ، فسوف يكون من أولويات المدرسة أن ترفض التحاق هؤلاء الطلاب بالمدرسة هذا إذا تم تجاهل طلب المدرسة بالدفع ، ولم يتم دفع التكاليف الزائدة لتعليم هؤلاء تعليما يوافق الحد الأدنى للمواصفات , افترض أن أي نظام يعتمد على السندات سوف يعطي آباء الأطفال المعاقين عقليا أو الاكفاء أو الصم سندات ذا قيمة مالية أعلى . لكن ما الحل إذا كان هناك آخرون لديهم إعاقة بسيطة وأقل تعقيدا من السابق ذكرهم مثل هؤلاء الذين يعانون من صعوبة القراءة ، النشاط الزائد ، نقص أو عدم القدرة على التركيز ، أو ببساطة ينتمون إلى بيئة أقل من المستوى في مسألة تشجيع النمو الإدراكي في مرحلة ما قبل المدرسة ؟ فهل يتوجب على الحكومة أن يكون في متناولها جهاز تحديد ضخم يكون من شأنه أن يقوم بتصنيف السندات بحيث يتسنى لكل طفل أن يأخذ التمويل المالي الذي يناسب حالته ؟

البديل بالنسبة للحكومة هو أن تكون هي المأوى الوحيد الباقي ، وأن تقدم مدارسها والتي يعتبرها السوق غير محققة لأي ربح مقابل التعليم لأن هذا من شأنه أن يلغى مشاركة من الأطفال من ذوى الإعاقة وسوف يؤدي إلى ظهور طبقة دون المستوى من لمدارس الخاصة بالفقراء . إنه من الصعب إدراك لماذا قد يكونوا أفضل من أسوأ المدارس العامة الحالية .

إن آباء الطبقة الراقية والطبقة المتوسطة لديهم مطلق الحرية في دفع أموال إضافية من أجل تعليم أبنائهم بشكل أكبر من الآباء الذين يعتمدون على السند المالي فقط . وكونهم من دافعي الضرائب ، فسوف يصوتون لأجل تقليل أو تجميد القيمة المالية للسند ، في حين أنهم يصرفون قيمة السند لأطفالهم ، فهم يمولون السندات الخاصة بالآخرين و يكون أطفالهم أكثر تميزا كلما اقتربت قيمة السند من الصفر .

الحل السابق ذكره قد يمنع أي أب من دفع أموال إضافية من أجل تعليم أبنائه أكثر مما ينص عليه السند إذ إن العديد من الناس وأنا منهم سيدعمون هذا النظام إذا كان يُعني بالفعل بالعدل أو بالمساواة في القوة الشرائية للتعليم ، حتى بدون ربح إضافي للفقراء . ليس هناك ثمة شك في أن الأغنياء سوف يتأكدون من أن قيمة السند سوف تحدد على أعلى مستوى ، لذا فإن أولادهم سوف يحصلون على تعليم راقي . أنا لم أر مطلقا سندا يحوي ذلك النوع من المنع.

تنظيم الأسعاربصفة عامة

إن التنظيم المباشر لأسعار البضائع لم يعد ذا جدوى مثله مثل محاولة تنظيم سعر السكن من خلال ضبط الإيجارات هناك العديد من الاستثناءات قابلة للجدل والمناقشة ، فعلى سبيل المثال ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، كان هناك طلب مفاجئ وضخم من قبل الولايات المتحدة الأمريكية على أشياء مثل الحديد . تمت الاستجابة للطلب بصناعة محلية ولم يكن لينجح ذلك لولا عامل الوقت, و قد كان هناك خوف أن تحدث العديد من الاضطرابات الاقتصادية إذا ما عرضت الدولة سعرا أكبر من قدرة كل المشترين, خلال هذه الفترة تم وضع صناعة الحديد تحت سيطرة الحكومة ، وتمت مصادرة الإنتاج وتوزيعه لحساب الأغراض العسكرية ,لاحظ أنه أثناء تلك الفترة كانت أعداد منتجي الحديد قليلة وكان هناك جو سائد من الوطنية ، لذا لم يكن هناك أي فرص لوجود السوق السوداء في تجارة الحديد .

دائما ، التحكم في الأسعار يؤدي إلى صراع عنيف بين الأسعار المحددة وبين السوق ويميل السوق إلى الفوز في هذا الصراع . على طول التاريخ ، كانت هناك استغاثات لضبط الأسعار من أجل حماية المستهلكين حيث قامت حكومات العصور الوسطى بتثبيت الحد الأقصى لسعر الخبزو ما لم يتم اتخاذ خطوات حيال السيطرة على مخزون السلع ، فإن سقف الأسعار سوف يؤدي إلى نقص السلع و إذا لم يحقق

الناس أرباحا من بيع الدقيق إلى الخبازين (أنت تصنع الخبز مـن الـدقيق والمـاء) فـإنهم سوف يتحولون إلى إنتاج شيء يدر ربحا بشكل أفضـل ، وسـوف يكـون هنـاك القليـل مـن الخبز المعروض للبيع . الحل الوحيد هو تحديد حصة نسبية لأجل إنتاج الخبز ، واستخدام الأموال العامة لأجل جعله يستحق العناء المبذول فيه من قبل المنتجين حتى يستطيعوا أن يوافقوا هذه الحصة النسبية . سوف يكون هذا الأمر شـيئا مرهقـا جـدا إذا تـم تعميمـه على نطاق واسع من البضائع . فيجب تحديد نسبة لكـل بضـاعة مقـدم لهـا العـون المـالي وحساب الكمية المناسبة لأجل جعلها تستحق العناء المبذول فيها من قبل المنتجين وحتـى يتسنى لهم قبول هذه الحصة .

إن أية إضافة عالية جدا سـوف تـؤدي إلى تضـخم أربـاح المنتجـين ، كـما أن أيـة إضافة منخفضـة جـدا قـد تـؤدي إلى نقـص السـلع في السـوق , ويعنـي هـذا أن التكلفـة الحقيقية مثلا للجازولين غير معلن عنها. فأنت ربما تملأ خـزان البنـزين مقابـل 4 دولارات أقل مما قد تدفعه في مكان آخر ، لكن إذا كان عليـك أن تنتظـر 30 دقيقـة ، وكـان وقتـك يساوي 8 دولارات في الساعة فأنت سوف تخسر وكذلك ستعاني من بعض الضيق .

كان هناك العديد من النداءات لوقف ضبط الأسعار إذ إن بعض الجـازولين كـان يتم إخفاؤه من أجل الأصدقاء والزبائن القدامي وبعض السياسيين الـذين تـربطهم صـلات بباعة الجازولين وهـؤلاء الـذين عنـدهم اسـتعداد لـدفع اكراميـة أو بقشـيش فـوق سـعر الجازولين ,هذا الأخير قد يؤدي إلى السوق السوداء حيث يتم تجاهل السعر المحدد . ففي عالم السوق السوداء ، قد يصبح السعر أعلى مما كان يجـب أن يكـون لـو لم تكـن السـوق السوداء غير قانونية يواجه الباعة خطر السجن والعقوبة وهذا يضاف إلى تكاليفهم .

هذه النتائج يمكن تجنبهـا بوسـائل مشـابهة لتلـك المسـتخدمة في السـكن ، بمعنى ، يمكنك استخدام دعم السعر بدلا من التحكم فيه ، و قد تدعي أن السـوق يحدد سعر الخبز والناس الذين يشترون الخبز يحصـلون عـلى إيصـال ويرسـلونه إلى الحكومة ويحصلون على حوالي 50% من المبلغ المدفوع . لكنه من السخف أن تفـرد

الخبز فقط بهذا الإجراء ، وأن تعطي كل فرد المال الذي دفعه سواء كـان فقـيرا أم لا . لـذا وجب أن تعطي الأفراد ذوى الدخل المنخفض بونـات طعـام تتـيح لهـم أن يشـتروا الـذي يبغونه بسعر السوق ولكن بكمية معلومة . ربما يبيعون هذه البونات في السوق السـوداء ، ولكنك على الأقل قد زدت من دخل الفقراء .

هناك أشاء ليست في متناول الفقراء ، وبدلا من إعطاء بونات لكل شيء (الطعـام ، المدارس ، الصحة ، المواصلات ، الكمبيـوتر للأطفـال ، وخلافـه) فبوسـعك جعـل بعـض الخدمات مثل الصحة والتعليم مجانا ، لكن هذا لا يعني أنها بلا تكـاليف ، لكـن تكاليفهـا يتم تغطيتها من قبل الضرائب التي يـدفعها النـاس ، وهـذه التكـاليف تكـون تصـاعدية ، فهؤلاء القادرون على دفع التكاليف يمولون من لا يستطيعون .

السلعة المجانيــة

عندما تجعل الدولة شيئا ما سلعة مجانية ، فإن الحصة المفروضة من قبل السوق (القدرة على الدفع) يجب أن تستبدل بشيء آخر ، على فرض أن الخدمـة باهظـة للغايـة لدرجة لا تسمح بإعطائها لكل من يريدها دون تكلفة مبـاشرة يـدفعونها . فـإن الخيـارين الواضحين هما التوزيع طبقا للاستحقاق والحاجة . إذ يجب أن تتأهل للتعليم المجاني مـن الطبقة الثالثة بأدائك الحسـن في المرحلـة الثانويـة دون رسـوب و إذا اكتظـت الجامعـات بطلاب لا يرغب دافعو الضرائب في تمويلهم ، فإن جودة التعليم سوف تنخفض .

من غير المجدي أن تقوم بتمويل الجامعات بشكل غير ملائـم ، وكـذلك أن تمـول تلك الجامعات استنادا على صيغة معينة لكل طالب ، فإن كلا الأمـرين يشـجع الجامعـات على حشد طلاب أكثر من طاقتها الاستيعابية ومع ذلك فإن هذا النظام غالبا ما يكون هـو السائد .

يمكنك أن تكون مؤهلاً للعلاج المجاني إذا كنت فعلا في حاجة إلى ذلك . ومع ذلك ، فإنه حتى مع النظام الطبي الممول بشكل جيد ، تأتي مشكلة أن بعض العلاجات قد تكون باهظة للغاية ، كذلك بعض الإعانات القليلة العدد ، لدرجة لا تسمح للدولة بتغطية تكاليفها , ففي بعض الأحيان ، سفر المريض لتلقي العلاج بالخارج قد يخفض السعر ، كذلك الاستغاثة والمناشدة الجماهيرية قد تدفع العائلات إلي الدفع , لكن إلغاء الحصص المقررة لكل نوع غير وارد فالهدف هو توفير الاحتياجات الرئيسية .

مسألة البقشيش المحيرة

قبل أن نترك موضوع الأسعار ، سوف أحاول أن أحل لغز البقشيش التقليدي . سوف استخدم صناعة المطاعم كي أوضح كم القدر الكبير الذي نحتاج إليه من علم النفس كي يعلل ويفسر هذه الظاهرة ، والتقدير القليل من قوى السوق كي يفسر ويعلل نفس الظاهرة ، ما لم يتم تعضيدهم بعلم النفس .

في بعض البلدان يضاف البقشيش (ما تدفعه مقابل الخدمة) بشكل آلي إلى الفاتورة ، يحدد بنسبة معينة من ثمن قائمة الطعام . في الولايات المتحدة ، يرجع تحديد هذه النسبة إلى العادة المتبعة أو العرف لكن ذلك يضع بعض الاستثناءات التي تحدد السلوك . يمكنك أن تنوع من البقشيش من أجل أن تعرف جودة الخدمة ، لكنك تفعل ذلك بإعطاء بقشيش أعلى أو أقل من النسبة التي يفرضها العرف أو التقليد و لقد شهدت طوال حياتي ارتفاعا بشكل غير عادي ، فإذا قدمت له بقشيشاً بادرني قائلا ، " لا ، اشتري بهذه النقود حلوى لأولادك " ربما يكون هذا الإحساس بالكرامة هو الميراث الأخير الباقي من الماضي النيوزيلاندي العادل والذي ينادي بالمساواة بين البشر .

إن سيكولوجية العمال ليست عاملا من عوامل السوق مع وجود بعض العواقب أو النتائج الاجتماعية . عندما ألف ريزمان وجلازرو ديني كتابا يدعى " المخلص والخائن " (ريزمان وآخرون سنة 1954) ، وجدا أن بعض عمال الخدمة الإمريكان يشعرون أن الزبائن تحط من قدرهم لدرجة جعلتهم يضعون مسابقات لأجل البصق على خليط التوابل الذي يضاف إلى السلطة . أنا اعتقد أن هذا أقل انتشارا في نيوزيلاند (انظر مربع 12 /1) , ومن وجهة نظر المستهلك ، فإن البقشيش التقليدي هو ببساطة طريقة لتقسيم الفاتورة : بدلا من وضع تكلفة الوجبة تحت عنوان واحد ، فإنها تقسم إلى اثنين بالنسبة للموظفين ، ربما يجعل لهم القانون الحق في البقشيش ، لكن رئيس العمل يعتبره شيئا مضافا ضمنيا إلى أجور العاملين .

ناقلو الأثاث

من السهل أن تنسى كيف كانت تبدو نيوزيلاندا الخالية من نظام الطبقات في السابق, فقد رأى جميس ميشز (1947) في كتابه " حكايات جنوب الهادي " والذي يصف فيه متسوقا أمريكيا في نيوزيلاندا رأى شيئا ما في نافذة العرض . أخبره صاحب المحل أنها نفدت ولم يعد يتوفر منها شيء فتساءل المتسوق هل بإمكانه أن يشتري تلك المعروضة في نافذة العرض . صرخ صاحب المحل " تعالى يا فيونا ، نحن بحضرة دوق ويلنجتون اللعين " و ذات مرة شاهدت ناقلي الأثاث وهم يحملون أثاثا خاص برجل انجليزي ينتمي إلى الطبقة الراقية والذي بدأ في إصدار أوامره بشكل متعجرف . فما كان منهم إلا أن تركوا له الأثاث في الطريق وذهبوا بعيدا .

في عام 1970 ، وصل حديثا زميل من انجلترا واستقل سيارة أجرة من المطار ، وعند وصوله إلى المكان المقصود ، قدم بقشيشا للسائق . كان السائق

لطيفا معه لكنه بادره قائلا : " أنا لست خادمك " إن تأدية الواجب مع طاعة الأوامر ليس بالشيء الذي يدفع مقابله أموال . حتى الآن ، فإنه من المألوف بالنسبة للعامل أن يدمج نفسه عاطفيا مع الزبائن أكثر من أن يفعل ذلك مع رئيسه في العمل, عندما نذهب لشراء ملاءات لأجل أطفالنا ، فإن المرأة التي تعمل في ذلك القسم من المحل تخبرنا قائلة " لا يجدر بكم أن تشتروا هذه الملاءات ، إنها عالية التكلفة باهظة الثمن ، اذهب إلى المبنى المجاور وسوف تجد ملاءات بنصف هذا السعر " , فالإنسان يصبح عاطفيا كلما كبر في العمر .

هذا يعني أن التنافس في السوق يضع حدا معينا للدخل العام ، ومسموح للموظفين بحصة من البقشيش والتي تستقطع بدورها مما يتم دفعه في النهاية للموظفين وهكذا ، فإن البقشيش لا يزيد من دخل العاملين في المطعم .

لماذا إذن هناك إلحاح من صاحب العمل على تشجيع البقشيش ورفع نسبته ؟

جزئيا ، هذا تشخيص لسيكولوجية الزبون ، عندما يقرر الناس الخروج وتناول الطعام وبالأخص في مطعم راقي ، فهم يريدون تدليل أنفسهم وعدم الانشغال بالسعر الذي يتوجب دفعه . " نسيان " البقشيش والتركيز فقط على الأسعار الموجودة في قائمة الطعام يجعل الموضوع أسهل ثم تتسع هوة ذلك الموضوع خاصة عندما يتسوق السواح خارج بلدانهم ويدفعون بالسعر المحلي وفي نفس الوقت لا يدفعون بقشيشا إلى حد ما ، السياح لا يعرفون جيدا ما المبلغ الذي قد يقبله البائع كبقشيش ، جزئيا عادة ما يكون السياح غير معتادين على المساومة أو الفصال وربما يجدونه شيئا غير محمود وربما يتعاطف السياح في البلدان الفقيرة مع البائع ، لكن هناك أيضا جو العطلة ، شيء من قبيل " نحن هنا لقضاء وقت سعيد ولسنا هنا من أجل أن ننشغل بعد وحساب القروش " .

بعيدا عن تليين مقاومة الزبون ، فإن البقشيش الاعتيادي له ميزة وجيهة يتمتع بها صاحب المطعم ألا وهي أن كثيرا مما يدفعه للعاملين سوف يزيد بشكل آلي ، وتصب في المبلغ النهائي الذي يتسلمه صاحب المطعم فإذا كانت كلفة الرواتب

ثابتة وحدث أن نقصت أو تضاءلت تجارتك أو مشروعك ، فإما أنه لن يكون بإمكانك أن تحقق ربحا في هذه الفترة أو أن يتوجب عليك أن تسرح العاملين بشكل مؤقت وأنت تعلم أنك سوف تحتاج إليهم فيما بعد عندما تتحسن الظروف إذا كان البقشيش يساوي ما تدفعه لعمالك ، فإن تكاليف العمال سوف تكون مطابقة بشكل رائع للمبلغ المستلم في النهاية ، الأول يكون حوالي 20% من الأخير (أي تكاليف العمال = 20% من المبلغ المستلم في النهاية) .

ذات مرة افترضت أنه قبل موتي ، ربما يصل البقشيش الإجباري إلى 30% أو 50% , ... من يعرف القدر الذي ربما يصل إليه البقشيش؟ لكن الآن كما نرى أصبح له حد معين , دعنا نفترض أنه بعد وضع البقشيش جانبا ، فإن تكاليف العمالة تصل إلى حوالي 35% فقط من التكاليف الإجمالية .

لو أصبحت نسبة البقشيش أعلى من ذلك ، فإن صاحب المطعم لن يحقق ربحا وإذا حقق ربحا ، فإن تكلفة تناول الطعام خارج المنزل سوف تصبح باهظة على نحو غير ضروري و أنا لا أعرف أية نسبة من التكاليف الإجمالية تخصص للأجور في عالم المطاعم ، لكن لو عرفت ، لأمكنني أن أتنبأ بالحد الأقصى الذي تصل إليه نسبة البقشيش الإجباري .

ضبط الأجور وزيادة الدخول

تعمل القوانين الخاصة بالحد الأدني للأجور على رفع الأجر الخاص بالعمال ذوى الأجر المتدني ، وذلك بوضع حد أدنى قانوني لكل ساعة عمل كما أن هؤلاء الذين يعارضون الحد الأدني للأجور يقولون إن وضع حد أدنى للأجور يؤدي إلى خلق بطالة بين العمالة غير الماهرة أو يدفعهم إلى السوق السوداء بمعنى : يدفعهم إلى العمل مع أرباب عمل يدفعون لهم أقل مما يفرضه القانون وذلك يتم بشكل سري . لا شك أن الحد الأدنى للأجور يجعل العمال غير المهرة أكثر سعرا

بالنسبة إلى عوامل الإنتاج الأخرى . خذ على سبيل المثال أصحاب العمل الذين يحققون ربحا لأن لهم الحرية في دفع أجور مختلفة للعمال غير الماهرين . فالأجور الأعلى تعني أن الاستثمار في الأدوات التي لا تحتاج إلى عمالة (ليست محل جذب حتى الآن) أصبحت مجالا أفضل للاستثمار وتظهر الدراسات أنه إذا قمت بمضاعفة الأجور المنخفضة ، فإن ذلك ربما يؤدي إلى خفض الطلب على العمالة غير الماهرة بنسبة 20% .

أغفلت هذه المحاولة شيئا له صلة مباشرة بالموضوع ، بمعنى أن هؤلاء الذين يحصلون على الحد الأدني من الأجر يصبحون قوة عاملة مائعة . يتم الدفع لهم بالساعة على أساس أنهم عمالة تعمل بشكل جزئي أو أنهم يحصلون على وظائف فقط في وقت الذروة . و بعبارة أخرى ، فهم يميلون إلى الانتقال من وظيفة إلى أخرى ويدخلون في نطاق العمل ويخرجون . و مع أنهم فعلا قوة مائعة بشكل تام ، إلا أن العمالة غير الماهرة يمكنها المشاركة في الـ 20% المستقطعة من ساعات العمل , ومن أجل الوقت المستغرق في العمل ، يمكن لكل منهم أن يحصل على ضعف الأجر الحالي الذي يتقاضونه في الساعة و من الواضح أن أي إنسان يفضل أن يعمل 32 ساعة في الأسبوع بمعدل 2 دولار للساعة ، بدلا من 40 ساعة في الأسبوع بمعدل دولار واحد في الساعة .

إن الزيادة في الحد الأدني للأجور لا تعني أن 80% من العمال غير المهرة يتمتعون بتلك الزيادة في حين أن 20% لا يحصلون على عمل على الإطلاق .

تستلزم البدائل عن وضع حد أدنى للأجور كلها اتفاقا مع الحكومة بشكل ما ، الأمر الذي يجعل الموضوع غير مستساغ سياسيا ,البديل السائغ لمساعدة الفقراء عن طريق رفع الحد الأدنى للأجور هو إعطاء الأفراد أو الأسر إعانات مالية بشكل أكبر وهذا يؤدي إلى التساؤل عما إذا كانت هذه الإعانات المالية تستهدف كل الطبقات (الأكفاء ـ المرضى ـ العاطلين ـ اليتامى (من له أب دون أم أو أم دون أب) أو ألا تستهدف هذه الإعانات المالية فئة بعينها ، وأن تزيد دخول الجميع بنسبة معينة مستخدمة " ضريبة الدخل الإيجابية " هذا يعني أنه إذا ملأت الاستمارة الخاصة

بضريبة الدخل وأوضحت أن وظيفتك أو عملك يوفر لك 5000 دولار في العام ، فإن الدولة سوف تدفع لك 5000 دولار أخرى حتى تصل بك إلى دخل يبلغ 10000 دولار في العام .

افترض انك مؤهل لهذا لأنك علىرأس العمل . هذا يثير تساؤلا بشأن من هو فعلا على رأس العمل . هل أنت تحسب أنك على رأس العمل إذا كنت تعمل لحساب خالك أو عمك 40 ساعة في الأسبوع في مقابل سنتا واحدا في الساعة ؟ المعضلة أكبر من ذلك بكثير حيث إن أصحاب العمل سوف يلجأون إلى تضمين واحتساب ما تقدمه الحكومة من إعانات للأفراد داخل الأجر الذي يقدمونه أنفسهم إلي العمال(كما فعلوا في مسألة البقشيش)فبدلا من دفع 10000دولار كراتب لوظيفة أو عمل ما ، فسوف يدفعون 8000 دولار ، اعتمادا على الحكومة التي سوف تدفع الفارق . والعامل أو الموظف سوف يصبح حاله أسوأ من العام المنصرم لأنه أو لأنها سوف ينتظر حتى نهاية العام الضريبي كي تحصل أو يحصل على مستحقاته أو مستحقاتها (البقشيش) . لكن رب العمل الذي يدفع 10000 دولار سوف يلتزم بدفع 2000 دولار زيادة في الأجر في كل عام متتالي . أنني أتنبأ بأن العديد من الوظائف التي تدفع 10000 دولار هذه الأيام سوف تعلن عن وظائف تدفع فيها أقل من هذه المبالغ من أجل تحميل فاتورة الدفع على الدولة .

الأجر الأساسي العام شيء آخر مختلف فهو يحدد كما معينا لكل الأفراد سواء اختاروا أن يعملوا أم لا ، سواء كانوا أغنياء أم معدمين . إذا كان هذا الكم كافيا لتوفير حياة كريمة ، والفرد لا يعيش في أرض البترول الغنية التي يحكمها شيخ وتساوي بين جميع الأفراد (لا يوجد مثل ذلك في الواقع) فهذا سوف يؤدي إلى إرهاق الدخل الحكومي العام والمخصص لأغراض أخرى ، بما فيه الشرطة .

نقابة العمال التي تناضل من أجل الأجور لها نفس التأثير على العمل مثلها مثل محاولات وضع الحد الأدنى للأجور . فلو تسنى لكل عامل في كل مكان أن يُؤمَن من قبل الاتفاقيات الخاصة بالأجور ، فهذا ليس من شأنه فقط أن يضع حدا أدنى للأجور ، لكنه من شأنه أيضا أن يتعهد بمستويات للأجور خاصة بالعمال ذوى المهارة.

مرة ثانية ، صاحب العمل سوف يوظف عددا أقل من العـمال عـن ذي قبـل و إذا كانـت الأجور أقل أو إذا كانت الوظيفـة محميـة أو محفوظـة مـن قبـل بعـض القـوانين التـي لا تسمح بتسريح العمالة ، فسوف يعمل صاحب العمـل عـلى تخفـيض القـوة العاملـة عـن طريق إرهاقها أو إنهاكها في العمل , ولو كان هناك عمال لديهم عقود نقابيـة ، فـإن بـاقي العمال لن يحظوا بأي قدر مـن الأربـاح ، وفقـدان الوظيفـة لـن يكـون مـن نصـيب أحـد سواهم .

هـذا يـبرز خطـأ التحليـل الاقتصـادي دون الأخـذ في الاعتبـار البعـد السـياسي فالنقابات أو الاتحادات النقابية تعد قوة متعاظمة من حيـث الخطـورة السياسـية ، ففـي بعض الأحيان تصبح هي الجماعة المنظمة الوحيدة التي يعتد بها ويناط بها في التأثير عـلى أعضاء اللجنة التشريعية للأجور ، وإعطاء مميزات أكبر لمن يحتاجون ذلك ، وكـذلك عمـل نظام ضرائب تقدمي ، بالطبع عليهم أن يحققوا نفعـا لأعضـاء الاتحـاد النقـابي وإلا سـيتم عزلهم ويفقدون كيانهم الوظيفي كما أن من هم ليسـوا أعضـاء في الاتحـاد النقـابي سـوف يجنون ثمارا أكثر من جراء هذه السياسات التي يتبناها الاتحاد النقابي .

تنظيم قوانين الميراث

هذا يختلف عما ذكرناه مسبقا عن كون الناس الذين يتوفاهم اللــه غـير فاعلين في السوق , كم من المبلغ الذي يتركونه يذهب إلى الورثـة وكـم يـذهب إلى الدولة (كضريبة على الميراث) هذا كله قرار لا يرجع إلى آليات السـوق . يجـب أن يتم اتخاذ هذا القرار بناء على اعتبارات مثل العدل والمصلحة العامة , فربما تعتقد أنه من الإجحاف أن لا يكون بإمكان الناس ترك كل أموالهم إلى أولادهـم ، أو ربمـا تعتقد أنه إذا ورث أبناء الأغنياء إرثا ضـخما وهـم لم يبـذلوا أي مجهـود مـن أجـل الحصول على هذه الأموال الطائلة ، فهذا يعطيهم ميزة مجحفة تميزهم عـن أبنـاء

الفقراء , و ربما تظن أنه من المجحف أن يكون هناك تفاوت كبير في الثروة في مجتمعك ، وأن الضرائب المفروضة على الميراث ، بالأخص على الخدمات العامة ، سوف تقلل من التفاوت الاجتماعي .

بالنسبة للمصلحة العامة ، البعض يعتقد أن الخدمات الاجتماعية التي تمنح للأفراد دون عمل ، تؤدي إلى إفساد الناس ذلك لأنهم يقدمون شيء في المقابل . يشيرون بذلك إلى مدفوعات الرفاهية ، إعانات البطالة ، مكملات الإيجار ، وخلافه .

وللرد على ذلك نقول أنه بالإشارة إلى الميراث خاصة الميراث الضخم يعتبر باعثا على الفساد لأن الورثة يحصلون على شيء ولا يدفعون أي شيء, في المقابل تشتمل المصلحة العامة ، بالطبع ، على نتائج اقتصادية أكبر . فربما تعتقد أن ترك أكوام من المال في متناول القطاع الخاص يعني أنها سوف يتم استثمارها بشكل حكيم أفضل من كونها في يد الدولة ، أو أن الضرائب المفروضة على الميراث الضخم تضعف من إقبال الناس على العمل الجاد والتوفير والرد على ذلك يكون كالآتي :

يميل الناس إلى أن يكونوا مواطنين منتجين إذا وفرت لهم الخدمات الاجتماعية والصحة والتعليم بشكل جيد وانتشلتهم من الفقر المحبط للأمال . والشيء الهام الذي يجب أن نوليه اهتماما هو أن قانون العرض والطلب لا يملي سياسة ، وأن أي قرار يتم اتخاذه يكون مبنيا على الأخلاق وعلم النفس .

إنشاء حديقة عامة

كما رأينا , السوق قوى وفعال ، لكن تجدر هنا الإشارة إلى أن هناك أشياء نحن نقدرها ولكن ليس بوسع السوق تحقيقها . فعلى سبيل المثال ، لن يستطيع السوق أن يوفر لنا منتزها ضخما مثل السنترال بارك (الحديقة المركزية) في ما نهاتن (في وسط مدينة نيويورك) لو تم بيع الأرض لمالك خاص لجلبت له الكثير إذا ما استخدمت للبناء أو لأغراض تجارية ، و ربما يكون العائد أعظم مما تجنيه

مدينة ديزني . لاحظ أن منتزهات الملاهي لا تقع أبدا في مكان رئيسي ، أو حتى على الأقل في أرض ذات أهمية , فعند وقت إنشاء المنتزه و حتى لو كانت مسألة منتزه الملاهي قابلة للتطبيق ، فإن جزءا كبير جدا من سكان نيويورك كان سيفضل الحديقة المركزية بشكلها الحالي عن كونها مدينة ديزني لاند مع سهولة الدخول إليها لقربها , هنا تتركهم قوى السوق دون خيارات من الوقت الحالي ، ولو فضلوا الحديقة ، فما عليهم إلا أن ينتخبوا عمدة لمدينتهم والذي سوف يقوم بدوره ببيع 843 هكتار من أصل الأرض .

المعارضون لتدخل الحكومة في السوق يقولون إن إهمال الأرض النادرة في المدن يجعل الأرض أكثر ندرة وبالتالي يؤثر في سعر الأرض وكذلك المساكن . لماذا يتوجب على الناس الدفع للإيجارات المرتفعة والأثمان الباهظة للمساكن فقط بسبب أن المهندس المسئول عن تخطيط المدينة يعتقد أنهم سوف يربحون من إنشاء منتزه ؟ هذا يخالف الفكرة التي سوف أتناولها لاحقا تحت عنوان " ورشة السوق ".

تحوي الحديقة المركزية العديد من البحيرات والبرك ، وممرات للمشي واسعة ، وحلبات للتزلج على الجليد ، و حديقة حيوان ،و مستنبت زجاجي (لتعهد النباتات وعرضها) ،و محمية للحياة البرية ، و مساحة شاسعة من الغابات الطبيعية ، و بحيرة صناعية محاطة بمضمار مخصص للجري وأخيرا مسرح ديلاكورت المفتوح والذي يستضيف المهرجان الصيفي الذي يسمى " شكسبير في المنتزه " الحديقة تمثل ملجأ للطيور المهاجرة . فهي تجذب 25 مليون زائرا سنويا والذين من المفترض أن يسهموا في انعاش اقتصاد البلدة والدخل الحكومي من الضرائب, إن مساحة الأرض في الحديقة المركزية تبلغ حوالي 0.2% من مساحة العاصمة النيويوركية . و إذا كانت الحديقة قد رفعت ثمن الأراضي في نيويورك فإنها فعلت ذلك بشكل أساسي عن طريق جعل الأرض هناك أكثر مكان مرغوب للعيش فيه . هؤلاء الذين لا يرغبون في دفع تلك الزيادة ، ربما يجدر بهم الانتقال إلى مدينة سنسناتي .

قوى السوق لن تزيد حقيقة من قيمة كيفية أو طريقة استخدام الأرض في نيويورك فالمتعة التي يشعر بها كل من يعيش هناك تزيد من قيمتها أكثر من أخذ حوالي 100 دولار من ثمن منزل يقدر بنصف مليون دولار . (بتقديرها بالنسب المئوية ، فإن 0.02% من 500000 دولار تساوي فقط 100 دولار) .

(13)

تبجيل السوق ـ لا تضحيات شعائرية

المفهوم الدال (13) السوق (الاتجاهات) : السوق يؤدي إلى خطر ، بمعنى أنه يبرز نوعا من التبجيل والذي يعمي أبصارنا عن حقيقة أنه ببساطة اختراع إنساني لأجل أغراض معينة ، ولذلك فهو عرضة إلى أي حكم أخلاقي مثله مثل أي نظام من السلوك الإنساني .

النظرة العامة التمهيدية : وادي تينسي ، الجامعات واجتذاب حمولة البضائع ، السوق والأخطار البيئية ، السوق و الأعمال الخيرية ، شخصية السوق ، مستقبل السوق ، السوق ومكان العبادة .

تبجيل السوق ، مثل كل صنوف الإعجاب الأعمى التي تضعف من العقلانية, فهي تأخذ شكل الأوهام أو الضلالات .و لقد ناقشنا واحدة من هذه الأشياء بالفعل ، بالتحديد ، وهم أن السوق بإمكانه أن يوصل كل البضائع العامة . ومثال الحديقة المركزية, و أوضح مسبقا أن الأمر ليس كذلك .

وادي تنيسي

أعتقد أن سلطة وادي تنيسي تزودنا بمثال آخر ، لكن هذا قابل للجدال والمناظرة على الأقل ، الآن لدينا الأدوات كي نشرع في المجادلة , إن سلطة وادي تنيسي هي مشروع عام ضخم والذي قام بحجز فيضانات نهر تنيسي بواسطة سدود ولدت وانتجت طاقة مما أدى إلى إنشاء أماكن للاستجمام وحول كل الاقتصاد الإقليمي لهذه المنطقة إلى رفاهية عالية ., و لم يشارك رأس المال الخاص في هذه

الاستثمارات لأنها كانت باهظة للغاية والعائد كان بعيد المنـال . ومـع ذلـك ، فـإن البـديل المتاح كان أن نسمح لوادي تينسي لأن يكون بلا سكان عن طريق نقل السكان إلى منطقـة أقل خطرا وأكثر ملاءمة .

أن معاناة النقل والترحيل كانـت ضـخمة وجـديرة بـالاهتمام والعديـد مـن كبـار السن الذين لم يتركوا المكان ، كانوا يعيشون في فقر مدقع ومع هذا ، فإن الترحيـل أدى إلى نشوء مصدر كبير للعمالة الرخيصة .

وعلى الصعيد الآخر ، كانت هناك تكلفة ضخمة لنقل الطاقة والتي ذهبـت كلهـا إلى أماكن بعيدة . والقليل من هذه الطاقة بقى لاستخدامه في وادي تنيسي .

الجامعات واجتذاب الحمولة

تختلف الجامعات كما يختلف رؤساء الجامعات (الرؤسـاء والنـواب) في السـبع جامعات التي حاضرت فيها لعدة أعوام ، حيـث لاحظـت اتجاهـا دعمـه قـوة ملاحظـات بعض زملائي .و لم تتطرق خـبراتي إلى بعـض الجامعـات مثـل هارفـارد والتـي يقـوم رؤسـاء الجامعات فيها بجمع ملايين الدولارات وربمـا لكـل الـذين أعـرفهم لـديهم معرفـة ضـئيلة بشأن من يستحق أن ندفع له أكثر . كما أن لديهم كليات هامة ليس من السهل إدارتها . (شاهد أداء الشهادة الخاص بـلاري سـامرز في هارفـارد) ومـع ذلـك فـإن 80% منـا يقـوم بالتدريس في ظروف مختلفة ، وما أزعمه يبدو صحيحا لمعظـم الأكـاديميين . ومـا سـيأتي لا حقا .

إن الاتجـاه الـذي أشرت إليـه مسـبقا هـو ذلـك الاتجـاه الخـاص برؤسـاء الجامعات والذي يمثل شكلا كبيرا من أشكال التبجيل أو التقـديس للسـوق, و مـا أعنيه هو أن الاعتقاد بأن محاكاة السوق سوف يجلب المنافع ذاتها التـي يمنحهـا السوق . والمشكلة أكبر من الجامعات كـما يعـرف كـل مـن يعمـل في مدرسـة أو

مستشفى ذلك , كما أنني أشك في أن معلمي المدارس ، و الأطباء ، و الممرضين ، و عمال الصيانة وخلافه قد لاحظوا اتجاهات مشابهة : المكانة المبالغ فيها للمديرين ، اتجاه القوة والموارد نحو المركزية ، تحريف مهمة المؤسسات ، هذه الأخيرة بالرغم من حقيقة أن عرض المهمة ذات المحتوى الرنان والطول السخيف أصبحت سياسة رائجة .

سوف أسمي هذا النوع من تبجيل السوق والمعنى به في هذا الموضوع "السيكولوجية الإدارية" . هذا لا يعني أن كل الناس المتدربين على الإدارة يتمتعون بهذه السيكولوجية : فالعديد منهم حساسون للغاية لأن هذه الحالة تؤدي إلى إدارة سيئة .

عندما يقوم رؤساء الجامعات بمحاكاة ما يعتقدون أنه مبادئ السوق فإنهم يبطلون هدفها الأكاديمي , والإدارة الفعالة و من الأهمية القصوى هو هل رؤساء الجامعات يجدون البيرقراطية الزائدة للجامعة شيئا عاديا, إذ إن الجامعة يجب أن تتواءم مع الميزانية المخصصة لها, لكن ما يشغلني هو حصة الموارد داخل الجامعة فالأقسام الأكاديمية والإدارة لا يتنافسان من أجل العملاء . إنه اقتصاد إصدار الأوامر وتحديد الأنصبة أو الحصص و الذي تحدده الإدارة العليا . هنا يجدر بي الإشارة إلى اتجاه ثان ، وهو الذي يتجه نحو تدفق القوة أو السلطة بعيدا عن الاكاديميين ويصب في اتجاه الإدارة المركزية . و لقد ولت تلك الأيام التي كان فيها يتم انتخاب العمداء من قبل الأكاديميين ، الذين كانوا إذا أرادوا فصلا دراسيا ثانيا ، كانوا يجرون انتخابات ثانية والآن يتم تعيين الأكاديميين وفصلهم من قبل الإدارة المركزية ، كما أنهم يخضعون لأوامر الإدارة المركزية , ويمكن للأأكاديميين أن يدافعوا ويحموا مواردهم من بعضهم البعض ، لكنني لم اراهم يدفعون بالاقتصاد نحو المركزية . لذا فهم ليسوا مقيدين سياسيا أو سوقيا من قبل الإدارة , وهذا يعني أنه ليس هناك رقابة على نمو البيروقراطية فيما عدا ذلك الذي يأتي من الذات .

ليس هناك أي قسم أو جزء من الجامعة يمكن الوثوق به للقيام بذلك .

هذا لأنه ليس هناك حد عملي وفعال للمصلحة أو النفع الذي يتسنى لأي قسم من

أقسام الجامعة القيام به وفقا لمعاييره الخاصة, فإذا كانت للمكتبة السلطة المطلقة ، ليس هناك حد مطلق لما سوف تنفقه . من منا وجد مكتبه مثالية فيها كل شيء يبتغيه الإنسان ؟ من منا شاهد قسم التاريخ به خبير يقوم بتمويل كل مجال يجب أن يدرس أو يكون محل بحث ؟ لا يمكن لأي منهما أن يمتلك أي شيء لا يمكنه الدفاع عن مزاياه ، لكن النتيجة قد تكون مغايرة لكل ما هو متوقع : جامعة كل مواردها تلتهمها المكتبة وقسم التاريخ ، وباقي الأقسام ليس بها شيء.

عندما تستقصي الجامعة أسباب البيروقراطية ، فإنها سوف تجد بعض التبديد ، لكن هذه ليست المشكلة . إذا كان للإدارة الحرية في عمل كل شيء تقوم به الإدارة المثالية ، فإن ذلك سوف يضعف مكانة باقي الجامعة إذن يتوجب عليهم تقصي أسباب البناء السلطوي والذي يعطي الإدارة ميزة فوق سائر الجامعة .

إذا كانت الإدارة تتمتع بسيكلوجية إدارية ، فإنها سوف تميل إلى محاكاة الإجراءات الموجودة في العالم التجاري . لا أحد يعترض على حساب تكلفة مختلف الأنشطة الجامعية ، وإعطاء الخدمات لشركة أخرى لتقوم بها حتى يتسنى توفير بعض النفقات ، لكن أن تطلب من قسم التاريخ أن يضع لك ميزانية تتخطي أو تتجاوز تكاليفها المتغيرة وتتضمن تكاليفها الثابتة ، فإن ذلك يعد شيئا لا يقبله عقل . بإمكان الإدارة أن تثمن تكاليف مباني وتجهيزات القسم ، والمرتبات الخاصة بأعضاء هيئة التدريس الخاصة بالقسم ، وهكذا في احوال كثيرة ، هناك تبادل للمعلومات بين القسم و الإدارة المركزية والذي يعتمد على المعلومات التي يجب أن توفرها الإدارة المركزية و عندما يرتكب القسم بعض الأخطاء ، تقوم الإدارة بتصحيح تلك الأخطاء ، والقسم يذعن لذلك,

هناك استثناء للتكلفة ، إذ إن وقت الأكاديمين لا تحسب تكلفته حيث يعامل وكأنه سلعة مجانية ومثله مثل أي سلعة مجانية ، فإن المستهلكين (الإدارة) يعتقدون أنه بإمكانهم الاعتماد عليه بشكل لا نهائي ، في هذه الحالة دون توزيع يعتمد على جدارة أو نفعية الطلب .

مفهوم أن الحكومة غالبا ما تستخدم إعداد الطلبـة كمعيـار لتمويـل الجامعـات والسيكولوجية الإدارية تجد أنه من الطبيعي أن تطبق نفس المعيار داخل الجامعـة سـواء كان ذلك يضعف الغرض الأكاديمي أم لا .

إذا اختار عدد قليل جدا من الطلاب أن يدرسوا اليوناني القديم أو الفلسفة ، فـإن هذه الأقسام ليست جديرة بالانفاق عليها ويجب إغلاقها . وبغض النظـر عـن أن الطـلاب الذين يستحقون الاحترام ، حتى لـو كـان عـددهم قليـل ، هـم الـذين يريـدون أن يقـرءوا لأفلاطون من كتبه الأصلية فتخصيص حصص أو أنصبة أعضاء هيئـة التـدريس وتـوزيعهم على الأقسام في ضوء أعداد الطلبة شيء فاسد .

يجدر بالجامعات أن تحمي أفراد المجتمـع مـن الخـريجين الـذين لم يتلقـوا قـدرا كافيا من التعليم ، وكذلك تحمي المجتمع من إهدار المال الذي ينفـق عـلى مـن لـيس لـه هدف جاد ومع ذلك فإن الإدارات تضـع معـدلات النجـاح العاليـة كأهـداف دون مراعـاة لضبط جودة المنتج . من باستطاعته إدارة مؤسسة تجارية بهـذه الطريقـة ؟ باسـتطاعتهم أن يفلتوا لأن عدم كفاءة خريج قسم التاريخ لن تكون واضحة ، وخطورة الخلل أو العيب لا تبدو جلية .

هناك سلاح لدى كل واحد يعمل في مؤسسة متـأثرة بتقـديس أو تبجيـل السـوق هو أنه بمحاكاة الشيء وتقليده فإنـه يتسـنى لـك أن تحصـل عـلى منـافع وميـزات الشيء الأصلي ذي الصيت وهذا يدعى " اجتذاب الحمولـة " وأطلـق ذلـك تيمنـا بـبعض القبائـل البدائية في أثيوبيا الجديدة والتي قامت ببناء صورة طبق الأصل مـن طـائرة عـلى أمـل أن هذا سوف يعمل على جذب طائرة حقيقية ومن ثم سيتسنى لهم الحصول على ما تحملـه من بضائع , نحن لدينا عذر واه مقارنة بعذرهم فالاعتقاد أن السوق بوسعه أن يوفر كـل البضائع التي يحتاجها الإنسان يبعدنا مسافة عن الحقيقة والاعتقـاد بـأن محاكـاة السـوق يمكن أن تدفع إيرادات السوق وأرباحه فإن ذلك يبعدنا مسافتين عن الحقيقة .

يجب أن نميز بين نقطتين : أن السوق لا يتأثر بأي شيء إلا قانونه الخاص بالعرض والطلب والذي باستطاعته أن يحمينا من الكارثة البيئية ، والثانية أن نضع خططا لتحويل قوى السوق إلى حلفاء في محاولتنا لانقاذ البيئة .

الأول تم التنبؤ به على أساس توسعه في حقوق الملكية الخاصة إلى كل السلع القيمة وبذلك نجعله شيئا نافعا يمكن حفظه وصيانته على سبيل المثال ، بما أن البترول أصبح شحيحا ، فإنه سوف يكلف تكلفة أكبر ، وسيكون استخدامه أقل ليس ذلك فحسب ، بل من يملكونه سيدركون أن لديهم مصدر قوة ذا قيمة عالية المستوى لذلك سيقومون بتوزيعه وتقسيمه بحيث يستمر أطول فترة ممكنة مع إعطائنا وقتا كي نجد مصادر بديلة للطاقة . وهذا خطأ لأنه يفترض أن يدير شركات البترول أناس مخلدون والعديد من أصحاب الأسهم يبغون مضاعفة أرباحهم أثناء حياتهم أو على الأقل في حياة أولادهم ، ولن يؤجلوا جني ثمار أرباحهم ذات العائد المرتفع الآن في مقابل أرباح أعلى في المستقبل البعيد.

إن التنافس في السوق من أجل مصادر طاقة غالبا ما يملى نوعا من الاستغلال دون اعتبارات للمستقبل ففي المناطق الريفية في الهند ، يستطيع العديد من الفلاحين حفر أبار ارتوازية من أجل الحصول على المياه , النتيجة أن المياه الجوفية قد تنضب ، والعديد من الريف الهندي سوف يتحول إلى صحراء . في الحقيقة العديد من الآبار على الرغم من كونها عميقة ، نضبت بالفعل ، ومعدل انتحار الفلاحين اصبح ينذر بالخطر لكن ماذا يتوجب على الفلاحين فعله ؟ إذا أحجمت عن حفر الآبار هذا فقط يعني أنك لن تحصل على حصتك من المياه أثناء توافرها وهذا يعني أنك سوف تموت جوعا عما قريب وبشكل أسرع من موت جيرانك وهذا الوضع يتفاقم إذا علمنا أن الأكليل الثلجي (ثلج يكلل قمم الجبال) في جبال الهيمالايا قد اختفى ، والذي كان ذوبانه الموسمي يغذي جبال الهند .

إن هذا المثال الخاص بالهند أوضح خطأ فكرة " اجعل كل شيء ملكية خاصة وكل شيء سيصبح على ما يرام " . ليس من السهل أن ترى كيف يفعل هذا بجدول الماء. بوسعك أن تجعلني مالكا لكل المياه الجوفية في الهند ، وأنا سوف أبيع أذونات تسمح لكل بائع أن يحفر بئرا . إذا كنت أرغب أن يرث أبنائي هذا العمل (إذا كان كبيرا) الا أحافظ على المياه الجوفية وأقسمها حصصا حتى لا تنضب أبدا ؟ حسنا ، هذا يعتمد على استثماراتي الأخرى , فربما أريد أن أحظى بكم كبير من رأس المال على وجه السرعة كي استثمر في مكان آخر , وحتى لو كنت لا أريد هذا ، فإن آخرين قد يقدمون ثمنا ضخما من أجل أن يشتروا مني المياه الجوفية لأنهم يريدون أن يحولوها إلى رأس مال جاهز , هناك العديد من الأمور غير القابلة للوزن بدقة والتي ليس لها نهاية .

هذا ربما يستوقفك لكونه مشكلة محلية في البرازيل ، حيث إن للفلاحين الذين هم على حافة المجاعة كل الحق أن يقتلعوا غابات الأمازون الممطرة ويحولوا الأرض إلى مزارع ومناطق رعوية , يشار إلى أن البرازيل تضم نصف غابات العالم ، وتحوي 10% من مخزون الكربون في أنظمة العالم البيئية . ومع المعدل الحالي للتدمير ، فإن 40% سوف تختفي في غضون العشرين سنة القادمة . وتأثير إطلاق هذا الكربون في المناخ العالمي سوف يكون بالغ الخطورة , فالمشكلة المحلية الخاصة بالأمازون هي في الحقيقة تخص كل واحد منا .

إن أصحاب الصناعات أنفسهم لا يصدقون أن السوق سوف يحمي الموارد البيئية دون مساعدة حيث أن المجلس المشرف على الغابات (مدعوم من جهة الصناعة المختصة بالغابات) يشجع المستهلكين على أن يستخدموا طاقتهم ، ليس بالشكل الذي يمليه الاهتمام بالنفس ، ولكن بشكل يدعو إلى إيثار الغير على النفس . فهم يطالبون تجار الأثاث أن يعلنوا أن مصانعهم محرومة من قطع الأخشاب بشكل رسمي ، حتى يتسنى للمستهلكين والمعنيين بالبيئة أن يشتروا هذه المنتجات بدلا من المنتجات الأرخص إذا راق لهم , ذلك شيء جيد ، لكن لا يجب المبالغة في فاعليته .

لم يقم أحد بعمل مخطط أو مشروع لتحويل الهواء أو مياه المحيطات إلى ملكية خاصة ، وهذا يعني أن ذلك سوف يتطلب كلفة باهظة إذا انفق أصحاب مصنع أموالا من أجل عدم تلويث الهواء ، أو أنفق أحدهم أموالا من أجل عدم تراكم الكيماويات في المحيط ، فأنهم سوف يضعون على كاهلهم تكلفة تجعلهم في وضع يعوقهم عن مسايرة منافسيهم, فالسوق يقوم بمهمة حماية الموارد الطبيعية الضرورية فقط للإنسان وهذا إذا كانت تلك الحماية سوف تدر عليه ربحا ماديا .

من أجل القضاء على التلوث الجوي ، بدءا من أكسيد النترات إلى الأمطار الحمضية ، والغازات الناتجة عن الصوبات الزراعية ، هناك برامج " " حدد وتاجر " حيث تضع الحكومة أو الهيئات العالمية حدا لقدر التلوث المنبعث و تعطي الشركات حدا مسموحا به من التلوث ، فإذا كان التلوث الصادر من هذه الشركات بمعدل أقل من المسموح به ، يصبح بإمكانها أن تبيع هذا الرصيد لشركات أخرى تريد أن تزيد من المعدل المسموح به للتلوث , هذا النظام يضيف أرباحا لهؤلاء أصحاب المعدل الأقل في التلوث ويضيف إلى تكلفة هؤلاء الذين يزيدون في المعدل المسموح به للتلوث , ونظريا تلك الشركات أو المصانع التي بوسعها تقليل انبعاثاتها الإشعاعية بشكل رخيص سوف يفعلون ذلك ، وهذا من شأن أن يحقق تقليل التلوث بأقل تكاليف ممكنة للمجتمع . يتم تشويه هذا النظام من قبل السوق الذي يقوم باستغلال التجارة في الرصيد الخاص بالتلوث هذا الرصيد يتم شراؤه وبيعه مثل أي تجارة أخرى تدر ربحا ، كما أن سعر هذا الرصيد يتأثر بالمراهنات الطويلة المدى بشأن قيمته ، وهذا يعني أن سعر الرصيد يمكن أن يتغير بشكل واسع , و يلاحظ أن الشركات التي تقوم بشراء هذا الرصيد من أجل الوفاء بالتزاماتها قصيرة المدى بشأن المحافظة على القدر المسموح به من التلوث ، ستجد أن السعر أصبح باهظا وخارج نطاق التوقعات .

أن المتاجرة في أرصدة الكربون في بعض الأحيان تعتبر طريقة أفضل من فرض ضرائب مباشرة على منتجي الوقود المعتمد على الكربون مثل الفحم الحجري

في العادة فهو مقبول بشكل أكبر سياسيا من قبل المنتجين ، لكن كـون الضريبـة تـؤدي إلى تأثير متوقع في مناورات السوق فهذا ليس وارد .

السوق والإحسان

إحدى الصفات المميزة للسوق هي أن التبادل يحـدث عنـدما يجـد كـل من المشتري والبائع أن الصفقة تصب في مصـلحتهما . و لقـد أدى هـذا إلى تبرئـة كل المشتركين في صـفقات وتعـاملات تجاريـة مـن الاسـتهجان أو اللـوم المتوقـع , فمعدل فائدة المرابين تكون عالية للغاية ، لكـن مـا لم يقـدم هـو أو هـي أفضـل المعدلات المتاحة على الساحة ، فإن المقترضين سوف يلجأون إلى مكان آخر , و إذا دفعت بهذا السلوك المقترضين خارج البلدة ، فلن يحصل أحد على أي أموال عـلى الرغم من حاجتهم الماسة لهذا المال .

هذه المناقشة سليمة من حيث الاسـتهجان أو اللـوم المتوقـع مـن قبـل المقرضـين لكنها لا تظهر أن السوق يتميز بكونـه خـيري فالسـوق لا يسـمح بتحمـل موقـف مـا إذا كانت كل البدائل المتاحة للناس رهيبة وإذا كان من الممكن التخفيف من حدتها .

إن أفضل صفقة للعديد من العائلات في ريف ويلز في نهايـة القـرن التاسـع عشر والذين لم يكن لديهم أراضي يزرعونها وليس لـديهم رأس مـال يسـتثمرونه هـي العمـل في المناجم . كان هذا الخيار هـو الأفضـل قياسـا بالخيـار الوحيـد المتبقـي ، ألا وهـو ، المـوت جوعا, وكي يواصلوا الحياة ، كان غالبا جل هم العائلة هـو الـذهاب إلى المـنجم ، بالنسـبة للأب عليه أن يحفر من أجل الفحم ، أما الابـن ذو السـبع سـنوات فعليـه أن يحبـو زحفـا داخل النفق وهو يسحب عربة الفحم حيث إن المكان صغير لدرجة لا تسـع حصـانا لجـر العربة ، أما بالنسبة للإبن الذي يبلغ أربعة أعـوام فكـان عليـه أن يجلـس طـوال اليـوم في فتحة صغيرة في الحائط ويعمل على تهوية المنجم .

في تركيا اليوم ، تعتبر أفضل فرص اقتصادية لبعض الأمهات هي التجارة في الـورود . فما عليهن إلا أن يخترن مطعما يقدم خدماته للسائحين على أن يكون له نافذة تطل على الخارج وتقف الأم بالخارج وترسل ابنها إلى داخـل المطعـم لبيـع الـورود بالواحـدة . إذا لم يشتر السياح أيا من هذه الورود فعليهم أن ينظروا من النافذة كي يروا الابـن وهـو يتلقـى الضرب من أمه . هذه التجارة تزدهر وتنتعش على العموم , و إذا لم يشـتر أحـد الـورود ، فإن التجارة ستندثر ، لكن ما نخشاه هو أن تكون الخطوة التالية بعد الضرب هي تشـويه الأطفال المتسولين كما يحدث في الهند حيث إن المتسولين العميان يبلون بـلاءا أفضـل مـن هؤلاء المبصرين .

قد يلقى جمع الضرائب وانفاقها لصالح الأطفـال اعتراضـا , و لقـد قيـل إنـه مـن الأفضل ترك المال في أيدي القطاع الخاص ، لأن ذلـك مـن شـأنه أن يعـم بـالربح عـلى كـل الأطفال من خلال معدلات نمو أعـلى ، ولـذا ، يتوجـب عليـك ببسـاطة أن تختـار أن تفيـد بعض الأطفال على حساب آخرين وهذا من شأنه أن يؤدي إلى خيار رهيب للدول الناميـة . كيف يتسنى تحقيق التوازن في التناوب أو التعاقب بين استخدام الدخل العام القليل من أجل العناية برفاهية الأطفال وبين استخدام ذات الدخل في البنية التحتية من أجل النمـو؟ (الطرق القابلة للاستخدام) هذا السؤال ليس مـن السـهل الإجابـة عليـه , و يشـار إلى أن المجتمعات الغنية مثل الدول الديمقراطية الاجتماعية الأوربية جمعـت بـين معـدلات نمـو عالية و مستويات عالية من النفقات من أجل رفاهية المجتمعات إذ قرروا أنه من الأفضل ألا يكون هناك فقر مدقع في الجيل الحالي ، حتـى لـو كـان هـذا يعنـي قلـة البحبوحـة في المستقبل . من الواضح ، أن هذا خيـار تمليـه عليـك وجهـة نظـرك الأخلاقيـة ، والسـوق لا يخبرك كيف يتسنى لك تحقيق ذلك .

عندما أتحدث عن السوق كونه غير قابل على فعل هذا أو ذاك ، فأنا لا أعني شخصنته ، وكأنه بمقدوره أن يتصرف كأنسان أكثر من كونه يعمل كنظام موضوعي على الأصح ، أردت أن أقول أنه ببساطة نظام ليس لديه القدرة على التخطيط أو فرض ضرائب.

وكما قيل ، تحليلنا يحمل رسالتين : الأولى نحن نتدخل في السوق ، كما أننا لا نتعامل مع كائن جامد . نحن نتجاهل كيف تؤثر قوى السوق على نتائج ما نقوم به على مسئولياتنا الخاصة ، راقب التحكم في الإيجار أرجو أن أكون قد أقنعتك أن التحليل الاقتصادي دائما ما يطرح سؤالا وراء سؤال كيف يتسنى للعاملين المرتبطين بالربح والخسارة أن يتصرفوا في هذا الموقف ؟ واستنادا إلى العاملين هذا يؤدي إلى سلسلة من الأسئلة : هل يتجهون برأس المال إلى مجال آخر ؟ كيف يتسنى لهم التقليل من النفقات ؟ هل سيقللون الإنتاج ؟ هل ستغريهم السوق السوداء ؟ طالما كانت عندك عادة سؤال هذه الأسئلة ، فأنت في طريقك إلى الفهم .

ثانيا : أن وجود وتمكن قوى السوق لا تحول السوق إلى كيان طبيعي , فقوانين السوق ليس لها هيئة أو مكانة قوانين الجاذبية الأرضية كما رأينا في الفصل الخامس حتى لو كان السوق طبيعيا فهذا لا يعزز من مصداقيته ,لكن الحقيقة هي أنه خلق إنساني, و السوق ليس بمقدوره أن يخبرنا من يصلح أن يكون فاعلا في السوق ، و ما هو السلوك المسموح به في التنافس في السوق ، ما هي السلعة أو الخدمة المجازة و متى يجب حماية الناس من قوى السوق ، ما هي الشروط الواجب توافرها لميراث الأصول أو الموجودات و كيف يمكن لإدارة الجامعة ،و كيف يمكننا أن نحمي أنفسنا من الكارثة البيئية أو كيف يمكن أن نكون مجبولين على الخير . الإجابة على هذه التساؤلات تكون بالاحتكام إلى المبادئ الأخلاقية والسيكولوجية الإنسانية ومن يؤدي بشكل أفضل .

أدت القوانين التي تحكم كرة القدم إلى خلق نوع من الرياضة يوفر المتعة سواء بالمشاركة في اللعبة أو بالمشاهدة و لكن عندما تتحول إلى هاجس أو وسواس عندها تصبح مؤذية , فالأباء يعاملون أولادهم إذا أساءوا اللعب وكأنهم قد خيبوا أملهم . .. كل المجتمع يشعر بالإحباط ، أو يتيه إعجابا بتمثيل فريقه في جداول الاتحادات الدولية والعديد من المقالات الافتتاحية تتساءل عن سبب تهاوى الشخصية الوطنية وهل هذا كان سبب هزيمة الفريق القومي ، وهكذا . على نحو مفاجئ ، أدركنا أن هناك شيئا ما أخذ مكانه في مخططنا للحياة الصالحة (الاستمتاع بالرياضة) ونقل لنا سيكولوجية غريبة عن الحياة الطيبة .

السوق هو طريق زيادة الإنتاج والتوزيع الفعال للبضائع والخدمات و قد قام بهذه المهمة على نحو حسن حتى أنه سلبنا الاستقلال الأخلاقي . إنه اخترق المعايير التي نستخدمها كي نحكم على الناس وعلى دولتنا . هؤلاء الذين لا يلعبون على نحو جيد ، هؤلاء الذين لا يستطيعون ولن يقدموا خدمات للآخرين الذين يرغبون في شرائها ، هؤلاء أناس فاشلون إذا لم تحقق دولتنا مركزا متقدما في إحراز الأهداف ، فهذا يعني أن دولتنا قد فشلت, وأي مواطن يفكر بشكل سليم سوف يسافر بعيدا بحثا عن دخل أعلى . إذا لم يكن لدى الأجيال القادمة أكثر مما لدينا ، فإن التجربة الإنسانية قد تصل إلى نهايتها . إذا توقفنا من أجل أن نتساءل بشأن التوسع اللانهائي للإنتاجية ، فإنه يقال لنا أنها الطريقة الوحيدة لتجنب البطالة ., و هذا من شأنه أن يجعل الدائرة مكتملة . ليس بوسعنا أن نتخيل مجتمعا يتمتع فيه الجميع بالكرامة دون المشاركة في اقتصاديات السوق .

إذا تجنبنا التآكل أو التعرية البيئية عن طريق ميثاق من شأنه أن يلزم الدول الغنية بتقليل إنتاجيتها ، فإن النتيجة غير المتوقعة هي إننا سنتمكن من استعادة استقلالنا الأخلاقي و ربما يتوجب علينا منع الاستخدام أو التوظيف بشكل كامل ، سيكون محك الاعتزاز الوطني هو ربط الإنتاج بمبدأ المساواة . والجيل القادم ربما يستعيد فكرة أن امتلاك أشياء كثيرة يمنعك من الاستمتاع بالحياة بشكل كامل . دعنا نقرأ في رواية هوارد سبرنج المسماة " الشهرة هي المكافأة" و التي

تتحدث عن النقابي التجاري في القـرن التاسـع عشرالـذي كـان مسـتمتعا بفنجـان الشـاي والخبز المحمص مع السمك ، ذكر كيف يمكن أن يكون رائعا لو كان بإمكان جيرانه الفقراء أن يستمتعوا مثله . سلامة العقل وصحته لم تتراجع إلى الماضي حتى تصبح بعيدة المنال , لا أحد يريد الفقر المدقع ، لكن جعل الصيد الاقتصادي هو المحك الإنساني ، فإن ذلك مدعاة إلى الفقر الروحي الذي لسنا في حاجة له .

السوق ومكانه الأثير

عندما يخبرك أحدهم أن السـوق جـدير بـالخنوع والاستسـلام لـه تـذكر أن أسرى القرابين يمكن مقايضتهم .

(14)

الانهيار الاقتصادي في عام 2008

المفهوم الدال : السوق (التثمين والرهان) يريد الذين بدءوا في تحليل السوق أن يطبقوا معرفتهم على الأحداث الجارية ، فعلى سبيل المثال ، تبدو الأزمة المالية في عامي 2008 / 2009 محيرة ولكن كل ما تحتاجه لكي تفهم أبعادها هو ما لديك بالفعل وهو فهم كيفية عمل السوق بالإضافة إلى أمرين هما قانون تضخم التثمين ومفهوم المراهنة .

عرض عام : قانون تضخم التثمين ، الطفرة في الإسكان ، زيادة المخاطر في الأصول ، وكالات التقدير ، السبب في عدم اكتراث من هم بالداخل .

يعتبر معدل **AAA** الائتماني في عالم التجارة أحد أنواع القياس الذي يفترض أن يعني أن ما تشتريه له قيمة حقيقية وتحفه أقل المخاطر ، إن الاتجاه الذي مهد الطريق للأزمة الاقتصادية في أمريكا كان أن التقديرات قد أصبحت متضخمة بالشكل الذي جعل الـ **AAA** تمنح للأصول غير السليمة ، وسوف أقدم قانونا عاما لتضخم القياس وأقدم مثالا بسيطا ثم انتقل إلى المثال الأكثر تعقيدا في تقدير الاستثمارات .

قانون تضخم القياس

عادة ما يطرد القياس الإيجابي القياس السلبي وتخضع هذه القاعدة لشرطين : الشرط السياسي الذي يتعلق بتوازن القوى والشرط النفسي الذي يتعلق بتوازن الدوافع .

- الشرط السياسي : يفترض لمن تأثروا بقياس ما أن تكون لديهم القـوة بشـكل أكـبر ممن يقومون بالقياس ، فالكهنة قلائل ولكن في وقت ما كانوا يستأثرون بالسلطة داخل الكنيسة ، وعندما أصبح لدى رجال الكنيسة العاديين السـلطة في تعيـين أو إقالة الراعي بدأ يصبح لعددهم قيمـة والنتيجـة هـي أن تقـدير مـن يقـدر لهـم دخول النار قد انخفض إلى الصفر.
- الشرط النفسي : إن الانتقال من القياسي السلبي إلى القياسي الإيجابي يجب ألا يتم إلغاؤه من خلال إعادة التفسـير ، ويتوقـف حـدوث هـذا عـلى قـوة الحـرب بـين دوافع الأطراف المعنية وقد يكون البعض على درجة من الجهل تمنعه مـن إعـادة التفسير .

قانون تضخم القياس والتقديرات

الآن يمكننا أن نفهم تضخم التقديرات ، فعلى مدار الخمسـين عامـا الماضـية كـان يمنح تقدير **A** بقدر من التسـاهل حتـى ولـو لم يتحسـن الطـلاب بشـكل مقبـول وكانـت النتيجـة أن تقـديرات **A** المتضـخمة قـد أبطلـت مفعـول تقـديرات **A** الحاصـل عليهـا الموهوبون والمتمكنون من مادتهم ، ولكي نعمم الأمر فقد حلت التقديرات المرتفعة محـل التقديرات المنخفضة لأن الشرطـين السـابقين قـد تـم اسـتيفاؤهما ، حيـث أصـبح الطـلاب وأسرهم أقوى من أساتذة الجامعة كما فاق عدد من لديهم الـدافع لإعـادة تفسـير معنـى التقديرات المنخفضة عدد من ليس لديهم
هذا الدافع.

هناك قيد لم أتطرق إليه وهو إذا عرضت منح درجة**A** علي شـبكة الإنترنـت فأنت هنا تدمر مصداقيتك , حيث إن الآباء الذين يدفعون ألاف الدولارات يريـدون الدرجة لأولادهم و بتقدير عال أيضا و يلاحظ أن الاسـاتذة الـذين يمنحـون درجـات عالية يسـاعدون في جـذب طـلاب أكـثرو الآن يمكننـا فهـم السـبب في أن كثـيرا مـن

الجامعات تصدر تعليمات بخفض نسبة الرسوب و هـذا يبـدو ضربـا مـن الجنـون لأن أي أستاذ يمكنه أن يخفض نسبة الرسوب إلى الصفر بأن يمنح ببساطة درجة النجاح لكل فـرد الأمر الذي له مردود اقتصادي .

إن مثل تلك التقديرات تشبه النقود المزيفة بمعنى أنك يمكنك طباعتها ولكنها لا تشبه النقود الحقيقية لأنها غير مشروعة وعلى عكس النقود ، ليس الناس مُلـزَمين بقبولهـا عند شراء البضائع والخدمات ، ولذلك فإن الحكومات ليست بحاجة لأن تجعل التقديرات المزيفة غير مشروعة حيث إن التقديرات العالية تساعد المرء عـلى الحصـول عـلى وظـائف أعلى ولكن ليس من خلال شرائها , إنهم بالتالي يرسلون رسالة بأنك جدير بالتوظيف .

قـد تعتقـد أن كـل فـرد بإمكانـه تفسـير التقـديرات ففـي الغالـب كانـت تعنـي تقديرات **A** الممنوحة من أية جامعة جيد " عالي الذكاء ، متعلم بما فيه الكفاية ويمكنه أن يؤدي عملا خلاقا بدون توجيه " أما الآن فهي تعني فقط " يتميز طلاب النصف الأعلى من الدفعة (على الأقل في هارفارد) بـأنهم أذكيـاء ومتعلمـون وغـير كسـالى " ، وطالمـا يعتـبر الجميع بهذا الاتجاه ولا تعتبر تقديرات **A** الجديدة ذات قيمة عليا فإن آثار ذلك الاتجـاه تعد معدومة ، وبالتالي يمكنك ببساطة أن تستخدم " **A+** " لكي تميز بينه وبـين تقـدير **A** وبالتالي تصبح دوافع النظم ذات قيمة .

إن أصحاب الأعمال هم من لديهم الدافع لإعادة التفسير ، فعلى سبيل المثال ، قد أدركت فجأة أن التقديرات العالية لم تعد تعني الكثير عندما كان المتقدمون لشغل وظيفة محاضر في الجامعة حاصلين عـلى تقـدير **A** ، ولـذلك قمـت بإدخـال معـايير إضـافية لـكي أتعرف عمن هو متميـز بالفعـل ، فقـد بـدأت بسـؤال المتقـدمين عـن أفضـل شيء كتبـوه وقرؤوه في حياتهم فكانت المرجعيات غير ذات قيمة لأن نفس المصادر التـي عملـت عـلى تضخيم التقديرات عملت أيضا على تضخيمهم هم أنفسهم ولم آخذ تلك الأمور بجديـة إلا أن عرفت تلك المرجعيات وها تفتهم وقلت لهـم الآن أنـت صـديق هـل مـن المفـترض أن تقدم لي متوسطي المستوى دوما ؟ .

ليس لدي الآباء أو الطلاب الدافع للاعتراف بضآلة التقديرات العالية ، بل العكس هو الصحيح ، فطالما هم خريجو جامعات معروفة فإن الحكومة لا ترحب بهم فحسب ولكن تجري المسابقات التي لا تعتمد بشكل كبير على التقديرات ، فهي تعرف أن الآباء يكرهونها عندما يجهل أبناؤهم العلوم والحساب ، ولذلك لدينا في أمريكا أمر غريب اسمه " عدم إهمال أي طفل " ، ولكن تجدر الإشارة إلى أن الحكومة ليس بإمكانها أن تأمر المدارس بأن تعمل على إنجاح الجميع بدون امتحانات ولذلك فهناك اختبارات لضمان تحديد المستويات .

إن المدارس التي تقع تحت ضغط جعل كل الناس على دراية بالعلوم والحساب سوف تتظاهر بأنها تفعل ذلك بالضبط كما فعل الناس في روسيا في عهد ستالين لكي يظهروا أنهم قد حققوا الكوتة الانتاجية ، هنا نحن نضع امتحانات يمكن اجتيازها من خلال الاستظهار وأن نضيع الوقت في المدارس من خلال حمل التلاميذ على حفظ الإجابات المطلوبة في الاختبارات والبديل عن ذلك هو الغش ، ففي عام 2011 لوحظ أن المعلمين يلفقون مسألة اجتياز الامتحانات وكانت أسوأ حالة في اتلانتا .

باختصار ، تعتبر التقديرات نوعا من العملة التي يمكن أن يعتريها التضخم بشكل كبير ويمكنها مع ذلك شراء احترام النفس والإرادة الحرة دون تكلف أي شيء آخر إلا إذا كان هذا بشكل غير مباشر فهي تخرج السعر غير المباشر لخداع الذات عن الرسائل التي تنقلها ، ولكن المخدوعين يدفعون الثمن دون أن يعرفوه أما الساخرون فتغمرهم المتعة من هذه الحماقة حيث إن ذلك يوجه المدارس بطريقة لا يريدها أحد وهي التدريس من أجل الاختبار ، وخيانة الأمانة و التركيز على التلميذ الهامشي على حساب الآخرين .

لقد أدرك بعض الأكاديميين أن التقديرات عبارة عن رسائل ويمقتون في نفس الوقت الحقيقة التي تقول بأن التقديرات قد فقدت قدرتها على التمييز بين التلاميذ ، ويعني وعيهم هذا أنهم اضطروا للتسليم بهذا الاتجاه السائد ، فإذا ما منحت تقدير **"B"** عندما يمنح شخص آخر تقدير **"A"** فأنني أكون قد تسببت

في ظلم لتلاميذي وذلك بإرسال رسالة إليهم قد يساء فهمها حيث قد يعتقد الجميع أنهم قد أخفقوا في تحقيق مستوى من الجودة جدير بتقدير **A** ويشار إلى أنني ليس لي الحق في أن أتحدث عن طلابي بلغة خاصة قد لا يفهما أي أحد آخر .

قانون تضخم القياس والأمن

كان القياس أحد عوامل الأزمة الاقتصادية في عام 2008 ، حيث كان كل ما يقاس هو الجوانب الأمنية التي كانت عبارة عن خليط من الرهن العقاري وديون كروت الائتمان الذي تم تحويله ومضاعفته أكثر وأكثر و في كل مرحلة كان يتم تجاهل البناء على هذا الأساس ، هذه الجوانب الأمنية حصلت على تقدير **A** ثلاثي مما يعني تضخم القياس ، ومن الجدير بالذكر أن الاستثمار هو نوع من الرهان ، وعندما تقوم بالرهان فأنت بحاجة إلى قياس يؤكد لك أنه من المحتمل أن تفك الرهان ، فالتقديرات المتضخمة كانت تسمح للبنوك والمستثمرين بالدخول في عالم خيالي حيث اعتقد الجميع أنهم يجلسون على جبل من الذهب في حين أن هذا الذهب كان في الواقع مجرد ورق وكانت قيمته ترتكز على رهان سيئ كان يقوم به الجميع ، حيث كان الرهان قائما على استمرارية الطفرة العقارية ، وعندما فقد الرهان مكانته انهار الكيان بأكمله .

الطفرة العقارية

يبين شكل 1/14 الطفرة الهائلة في أسعار المنازل التي حدثت في أمريكا في الفترة ما بين 1997 و 2007 حيث بلغت الأرباح في تلك الفترة القصيرة خمسة أضعاف أية طفرة سابقة في التاريخ الأمريكي (وهي التي حدثت في عام 1895 ، وفترة السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي) ، ومن الواضح أنه كان هناك شيء غير مسبوق حيث إن فترة الرخاء تعني دائما ارتفاعا في أسعار المنازل والمزيد من الأموال

لدى البنوك تعرضها للاقراض والمزيد من مشترى السندات وحتى إذا لم يكونوا جديرين بتلك السندات فمن غير المحتمل ألا يكونوا غير قادرين على الوفاء بما عليهم من ديون ، وكان من المقبول أن يقدم البنك عروضا لرهانات عقارية ذات مستويات دينا (أي رهانات عقارية لذوى الدخول المحدودة) وأن يعرضوا جداول للدفع حتى إذا كانت فوق استطاعة المالك ، وعموما فإن المالك لديه أصول ذات قيمة آخذة في الارتفاع ، ولذلك عندما يحين أجل الدفع ويكون المالك غير قادر على الدفع فما عليه إلا إعادة جدولته بشروط أفضل ويستمر الدفع .

إن الرسوم التوضيحية في الشكل 1/14 دقيقة عند بيانها أن الطفرة العقارية في الفترة ما بين 1997 و 2007 كانت غير مسبوقة وقد يبدو الأمر غريبا لشخص اشترى وباع منزلا وحقق ربحا في هذه الفترة ، وقد يرجع هذا إلى أن الربح قد جاء من موقع متحسن ، وربما أصبح منزلك مرغوبا فيه بشكل أكثر لأن المدينة توسعت بحيث أصبح منزلك في وسط المدينة ولكن قد يكون سعر البيع الخص بمنزلك معادلا لسعر منزل في موقع عليها إقبال أقل ، وعموما ، تذكر أن عليك أن تخصم التضخم من أرباحك .

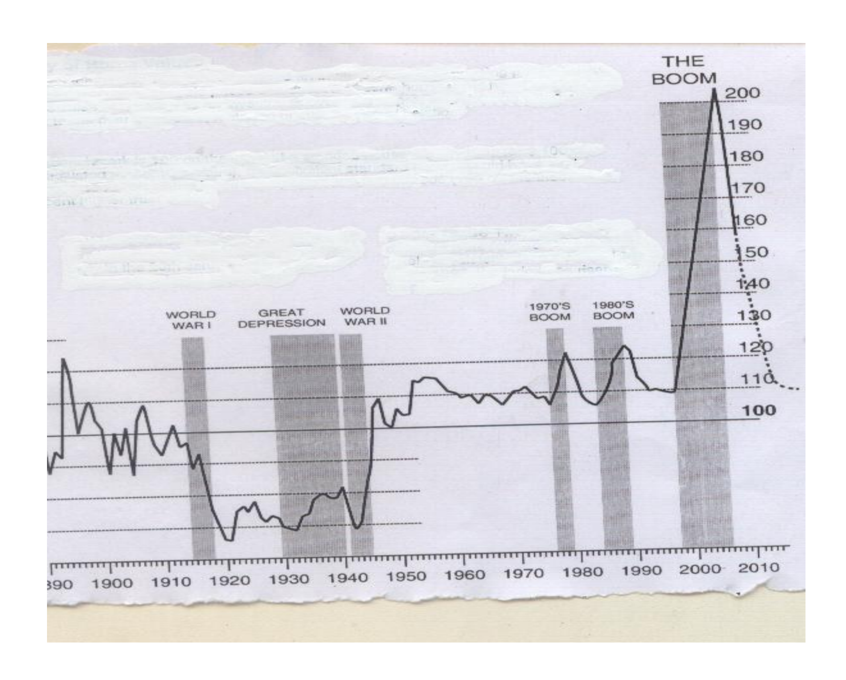
يعد تجاهل هذا السيناريو اتجاها خطيرا وهو أنه بحلول عام 2007 وطبقا للجمعية الوطنية لأصحاب العقارات ، اتضح أن 21% من عمليات الشراء للمنازل كانت على يد المستثمرين وقد يكون هذا تقديرا أقل من القائم فعليا لأن المستثمرين عادة ما يخدعون البنوك ، فأنت تخلى منزلا لكي تؤجره ثم تشتري منزلا آخر ثم تخليه ، وتشتري آخر ... الخ فالمستثمر قد يمتلك عشرة منازل في سجلات البنك (وبالطبع يدفع أقساط منزل

واحد لكل بنك) وعادة ما تخلق الطفرة مستثمرين يشترون أو يبنون المنازل ويعملون على تحقيق ربح من جراء البيع أو الإيجار وكلما ارتفع معدل الطفرة في العقارات ارتفع عدد المستثمرين هذا بالاضافة إلى أن الرهون العقارية التي لا تتطلب دفعة مقدمة تزيد من أعداد المستثمرين .

كلما زاد تدفق المستثمرين زاد الاحتمال بأن عـرض المنـازل يفـوق الطلـب عليهـا على الرغم من أن ذلك كانت تخفيه الحقيقة بأن البنوك كانـت متسـاهلة جـدا في إصـدار الرهون العقارية ، هنا قد يجد المستثمرون مشكلة في عملية البيع وبالتـالي يتحـتم علـيهم تخفيض أسـعار البيـع أو حتـى البيـع بالخسـارة ، ويلاحـظ أن كثـيرا مـن النـاس يحـاولون التخلص مـن المنـازل قبـل أن تـنخفض الأسـعار كـما أن أصـحاب المنـازل المرهونـة عقاريـا يجدون أن هناك نوعا من عدم العدالة بشأن منازلهم حيث أن منازلهم الآن تقـدر بسـعر أقل من الأموال التي اقترضوها لشرائهـا ويلاحـظ أن البنـك لا يقـدر عـلى إعـادة الجدولـة بشروط مريحة كما أن أصحاب المنازل ليس لديهم الدافع للتضحية بالدفع .

لقد صمم عالم الاقتصاد الشهير بجامعة ييل مؤشرالأسعار العقارات الأمريكية يعود إلى عام 1890 , و يبنى هذا المقياس على اسعار بيع المساكن القائمة , و ليس المنية حـديثا و ذلـك من أجل لتتبع قيمة المباني كاستثمار عليى مر الزمن, و يقدم هـذا المـؤشر قيمـة السـاكن بشكل متسق على مدار 118 عاما , وا ضعا في اعتنباره تاثيرات التضخم.

إذا بيع منزل بمبلغ 100000 دولار في عام 1980 فلإن سعر المنـزل المنـاظر لـه كـان يمكـن بيعه بمبلغ 66000 دولار في عام 1920 و يقدر سعره بمبلغ 120000 دولار في عام 2006



شكل 1/14 : الطفرة العقارية , المصدر, روبرت شيلر " الزيادة غير الرشيدة",الطبعة الثانية,2006 , دار نشر جامعة برينستون

ولكن ما الذي جعل الانهيار في الطفرة العقارية الحديثة غير عادي في آثاره التدميرية؟ إنه التحول والزيادة التي طرأت على ديون الرهن العقاري حيث سيطر أصحاب التعويضات على أصول البنوك مما أدى إلى إفلاس البنوك كما تجدر الإشارة إلى أن عملية الزيادة مرت بثلاث مراحل .

الزيادة رقم (1)

لقد اخترعت البنوك طريقة لتحويل الأصول المعرضة للخطر إلى ذهب ، حيث يمكنك أن تقدم حزمة من الوعود بالدفع في حالة تقصير أي من أصحاب

العقارات عن الدفع وبالتالي فإن نسبة المقصرين عن الدفع سوف تقل ، ويطلق على هذه الحزمة الالتزام بدفع الدين **CDO** ، ولقد كانت تلك الالتزامات في معظمها تتعلق بالرهون العقارية ثم سرعان ما اضيف إليها ديون الكروت الائتمانية وديون السيارات ويلاحظ أن مكونات تلك الالتزامات تمثل كل أرجاء البلد ولذلك فهي ليست عرضة للانكماشات الإقليمية فإذا ما تركزت كل الديون في بنسلفانيا فإن البطالة المتزايدة في بنسلفانيا قد تتسبب في الكثير من أوجه القصور في السداد.

مطلوب من الناس أن يستثمروا تبعا لنظام الـ**CDO** على أربعة مستويات من المخاطرة (هذه المستويات يطلق عليها الفروع) ، ويشار إلى أن هناك نوعا من المبادلة بين المخاطر والوائد ، فإذا ما جعلت الـ **CDO** نوع الربح متوقعا (أي أن الناس يوصلون نشاطهم في الرهن العقاري ودفع كروت الائتمان) ، هنا يمكن السداد على كل المستويات ، ولكن دعنا نفترض أن الربح أقل مما هو متوقع ، هنا يمكن القول بأن أي ربح يمكن أن يستخدم في الدفع على المستوى رقم (أ) أولا ، وطالما يتحمل الناس أقل المخاطر فإنهم يحصلون على أقل معدل في الأرباح على الرغم من أنها أعلى من فوائد البنوك ، أما المستوى رقم "ب" فهو يتيح معدل ربح أعلى قليلا ويشبه المستوى رقم (جـ) أما المستوى رقم (د) فهو يستحق الدفع في النهاية ولذلك عندما يجني المستثمرون الأرباح فإنهم يحصلون على أعلى معدل في الإيرادات وإذا مابين الـ **CDO**أية خسارة حينئذ لا يتقاضى أحد أية أرباح ثم تبذل جهود لتقليل آثار تلك الخسائر فالمستويات الدنيا من المفترض أنها تمتص الخسائر أولا وحتى إذا لم تصل الخسائر إلى المستويات العليا فإن كل فرد يدرك أنه قد خسر أمواله فهو يمتلك عقارا لا قيمة له تمثل عوائده مشكلة لصاحبه وبالتالي لا يمكنه بيعه (فمن ذا الذي يريد شراءه) .

الزيادة رقم (2)

كانت البنوك الاستثمارية الكبرى تريد مواصلة تلك العمليات خارج نطاق القوانين التي تنظم البنوك ، فكل ما كان عليها أن تفعله هو أن تنشئ كيانا وتطلق عليه مؤسسة الاستثمار المقنن (**SIV**) ثم تقوم تلك المؤسسة بالاقتراض من البنك وشراء الأصول المطلوبة ثم تقوم بالتصرف الفعلي في تلك المؤسسات تبعا لنظام الـ **CDO** ، ولم يكن هذا بالسوء اللافت للنظر ولكن هذه البنوك تحت اسم آخر تتخذ الخطوة التالية حيث يبدأون في شراء الـ **CDO** من البنوك الأخرى ويديرونها ، فعلى سبيل المثال يتجهون إلى المستويات الأكثر خطورة من العديد من الـ **CDO** ثم يدمجونها فيما يعرف بمربع الـ **CDO** ، وربما تعتقد أن هذا المولود قد يصبح خطرا مثل والديه ولكن الفكرة هي انك تنشر المخاطرة ، ما وجه الاحتمال في أن المجموعة بأكملها من الـ **CDO** تبدأ عليها أعراض الخسارة ؟ ولذلك يمكنك المراهنة على هذا الحدث على مستويات عديدة من المخاطرة والربح المحتملين ، حث إن مربع الـ **CDO** يعتبر بعيدا إلى حد كبير عن أن يكون خطرا ولكن العدد الكبير من الأصول الذي يقف خلفها بالغ التعقيد لدرجة يصعب تقييمه .

الزيادة رقم (3)

من الطبيعي أن تقوم بالتأمين على أي استثمار للوقاية من الخسارة بمعنى ضد احتمال ألا تحقق الـ **CDO** أية أرباح وبالتالي يكون لديك أصول لا قيمة لها ، وتجدر الإشارة إلى أن المجموعة الأمريكية الدولية **AIG** هي شركة تأمين مقرها في أمريكا ولها عملاء في 130 دولة وتعتبر الشركة الحكومية الثامنة عشرة في الترتيب من حيث الضخامة على مستوى العالم ، ولقد بدأت باعطاء الملاك ضمانات لتأمين أنفسهم ضد الخسارة من خلال منحهم وثيقة تأمين يطلق عليها " وثيقة

المقايضة " عند التوقف عن الدفع ، ولكنها في نفس الوقت تتهرب من القوانين التي تـنظم التأمين العادي ، ولذلك تشتري وثيقة مثل تلك إذا ما فشـلت الضـمانات في تـأمين الـدفع ، هنا تقوم الـ **AIG** بدفع قيمة الوثيقة على هيئة نقود أو سندات خزانة .

بعد ذلك ، فعلت **AIG** شيئا غـي معتـاد حيـث سـمحت للنـاس بالحصـول عـلى نفس الوثيقة بنفس الضمانات حتى لو لم يكونوا يملكون تلك لضمانات ، فإذا ما باعـت مـا يكفي من وثائق التأمين على ما يكفي من الضمانات لن يكون هنـاك مجـال للتوقـف عـن الدفع حيث يشبه ذلك الأمر تقديم تأمين على الـزلازل في منطقـة لا تحـدث فيهـا الـزلازل على الإطلاق ، وأخيرا بلغت قيمة الوثـائق الخاصـة بغـير المـلاك ثلاثـين ضـعفا مـن قيمـة الوثائق الخاصة بالملاك ، إن هذا يشبه وضع شـخص في المدينـة اشـترى وثيقـة تـأمين عـلى شخص آخر كما أن الشركة قد أجرت حسابات خاطئة عـن المخـاطر لأنهـا قبلـت قياسـات طبية متضخمة .

قد يبدو من الخطأ التركيز أكثر من اللازم على تأثير الـ **AIG** ، فالاقتراض بضـمان أحد الأصول لشراء أحد الأصول الأخرى (وهو ما يسمى بالملاءة) قد أسهم في زيادة حجم هذا الجبل من الأصول ، ويشار إلى أن البنـوك لم تنشـئ ضـمانات خطـرة فحسـب ولكنهـا تعتقد أيضا أنها سليمة ، فقد قامت بشراء الـ **CDO** من بعضـها الـبعض لـكي تحولهـا إلى مربعات الـ **CDO** ، ولكي تفعل ذلك فهي تقترض من بعضها الـبعض عارضـة الــ **CDO** التي لديها كضمان ، وهذا يعني أن كل شخص يزيد من أصوله من خـلال إعطـاء بعضـهم البعض أوراقا لا قيمة لها هي نفسها التي صنعتها ، فكل بنك متصل بالعديـد مـن البنـوك الأخرى في شبكة معقدة من الشراء والاقتراض ، ولا يوجد شيء جديد في ذلـك الأمـر ولكنـه يعني أن الثقة في بعضهم البعض أمر أساس .

إن ما أدى إلى انهيار هذا الصرح المتزعزع هو التدهور الحاصل في سوق الإسكان فالناس ذوى الرهون الضئيلة وفي نفس الوقت عليهم ديون كبيرة لا يمكنهم الوفاء بدفع ما عليهم ، في هذه الحالة هبطت قيمة الـ **CDO** ، ولنفترض أن بنكا قد اقترض 97% من القيمة السوقية لما لديه من الـ **CDO** والتي هبطت بدورها بنسبة 5% هنا يمكن القول بأن بها فائض سلبي وأن البنك قد وجد نفسه أمام أصول سيئة حيث وجد نفسه في موقف حصل الناس فيه على رهون عقارية في ذروة الطفرة العقارية وعندما بدأت أسعار المنازل في الانخفاض تجد نفسك ملزما بدفع مبالغ مالية أكبر من ثمن المنزل ، وعندما اتضح أن نسبة عالية من المشتقات خطرة وليست سليمة وجدت البنوك نفسها غارقة في ديون تفوق قيمة الأصول التي لديها وهنا يمكن القول بأن لديها فائض سلبي حيث لا يمكن لها إخلاء عقارها وإرسال المفاتيح إلى شخص ما .

إن البنوك ذات الأصول السيئة لا يمكنها الاقراض ولا يمكنها أيضا الدخول في عمليات تحويل نقدية مع بنوك أخرى تشك في أنها تخفي أصولا لا قيمة لها ، ويلاحظ أنه لا يمكن لأي فرد أن يقترض من أجل منزل أو تعليم أو أعباء تجارية وفي هذه الحالة تسوء حالة أصحاب العمل ويزداد معدل البطالة .كما أن الخائفين من الناس ينفقون أقل بالإضافة إلى أن قطاع التجزئة والخدمات يمني بالخسائر ، وتجد صناديق التقاعد والأعمال الخيرية أن قيمة استثماراتهم آخذة في الانخفاض إلى نسبة قد تصل إلى 50% وما يبدأ مع البنوك المفلسة يؤدي بالاقتصاد ككل إلى الانكماش .

لقد كانت شركة التأمين **AIG** نفسها على شفا الافلاس حيث تعتبر صناديق التأمين بمثابة المشترين الذين يشترون الضمانات على رأس المال الخاص بالمستثمرين الأغنياء وكانت غالبا ما تراهن بالتعاون مع **AIG**على سلامة ضمان

بنكي معين وكان يعد هذا بمثابة رهان على مشروعهم الخاص حيث كانوا على سبيل المثال يتنبأون بمصير أقسام سوق السندات أو السوق ككل ، وكان القليل منها على درجة طيبة من الذكاء حيث قاموا بشراء تعهدات الـ **AIG** بالدفع ولكنها كانت تبيع تلك التعهدات عندما يكون السوق محققا للآمال ، فهم من ضمن قلائل ممن استطاعوا إعادة تفسير رسالة التقديرات حيث كانوا يرون أن العديد من الضمانات التي تصنف على أساس أنها **AAA** تعتبر خطرة فعلا وأدركوا أن الكيان قد ينهار بأكمله ، وكانوا يعرفون أنه إذا قدر وحدث انهيار وأن كل الوثائق والبوالص سوف تقدم فجأة من أجل الدفع فإن **AIG** ستنهار لا محالة ولن يحصل أحد على أية اموال ، وبالتالي يمكن القول بأنهم قد باعوا الوثائق للمغفلين الذين يبغون الربح .

لقد دخلت **AIG** بالفعل في الإفلاس قبل أن تبدأ معظم الضمانات في التدهور ولكي تثبت نوعا من الثقة في قدرتها على الدفع فقد وافقت على تنحية جانب كبير من الأموال كاحتياطي إضافي في حالة تصنيفها أقل من **AA** وعندما بدأ الانهيار اعتبرت وكالات التقدير أن **AIG** في خطر ويلزم تصنيفها أقل من **AA** ولكن **AIG** لم يتوفر لديها المبالغ الكافية من الأموال وفي نفس الوقت تعتبر كيانا ضخما يجب ألا تسمح الحكومة بانهياره كما أن الجمهور كان قلقا بشأنها ولذلك قدمت لها الحكومة الأمريكية 85 مليار دولار لكي تساعدها على الوفاء بالتزاماتها .

قد يبدو أن هذا كاف لانقاذ صناديق التأمين التي توجد اتفاقيات للدفع مع **AIG** ، فإذا ما وقفت الحكومة معها وساعدتها على الدفع ، إذن ما هي المشكلة ؟

المشكلة هي أن المبالغ المالية التي تحتاجها **AIG** للوفاء بالتزاماتها قد ترتفع إلى درجة تفوق رغبة الحكومة في الدفع أو على الأقل دفع ما يكفي الوفاء بسعر الشراء للضمانات ، يترتب على ذلك عدم وجود ثقة في سلامة الاتفاقيات التي تبرمها **AIG** وبالتالي لا يقبل أحد على شرائها مما يعني أن قيمتها السوقية

أصبحت صفرا ، في هذه الحاة أفلس الكثير من الصناديق وأخذت المستثمرين إلى الهاوية معها .

وكالات التقدير

لقد جعل العرض السابق من الواضح أنه لا يمكن أن تقوم قائمة لأي من مستويات المضاعفة دون وجود ما يعرف بتضخم القياس ، فعلى كل المستويات ، حصلت كل الضمانات التي كانت فعلا خطرة على تقدير **AAA** ، وهنا تدخل وكالات التقدير الضخمة التي تجري القياس وهي : إي إم بست ، وفيتش وموديز ستاندارد وبورز وإيجان جونز فهي تصدر تقديرات مثل **AAA** (الشريحة الزرقاء) و **AA** (مخاطرة متوسطة) ، و "**A**" (مخاطرة ضعيفة) ، و **BBB** (مخاطرة متوسطة) و **BB** (مخاطرة عالية) و "**B**" (تحت الملاحظة) ، و **C** (الأمل فيها ضعيف جدا) ، تلك الوكالات تقدم تقديرات متضخمة لمربعات الـ **CDO** الأمر الذي يثير تساؤلين : لماذا تتأرجح معاييرها ، ولماذا لم يدرك الآخرون أن التقديرات متضخمة وبالتالي يعيدون تفسير رسائلهم ؟ فإذا ما كان تقدير **AAA**يستخدم بشكل مبالغ فيه فإن على اليقظين من الناس أن يقولوا لأنفسهم إنه لم يعد يعنيهم الشريحة الزرقاء ولكن ما يعنيهم هو المخاطرة معلومة العواقب .

توازن القوى بين وكالات التقدير والبنوك

عادة ما تلجأ البنوك إلى وكالات التقدير من أجل الحصول على تقديرات جيدة قبل أن يقدموا ضماناتهم ، فإذا ما قدر لهم أن يحصلوا على تقدير سيء ، ماهي الوسيلة إذن لكي يحاولوا البيع ؟ فهناك القيمة المضافة في حالة ما إذا أعطت

الوكالة تقديرا عاليا والتي لا يوجد احتمال تخفيضه فيما بعد لأن ذلـك يعـد اعترافـا بأنهـا كانت مخطئة . وتواجه وكالات التقدير ضغوطا من أجل إرضاء عملائها فإذا لم تعمل عـلى إرضائهم سيذهب العملاء إلى وكالـة أخـرى أكـثر تسـاهلا ولا يعـودون إليهـا مـرة أخـرى ، ويبـدو أن هنـاك أمـورا عـدة لا يمكـن تصـديقها حيـث أن وكـالات التقـدير تحصـل عـلى مستحقاتها المالية فقط في حالة اسـتخدام البنـك أو الشركـة لتقـديراتها والبنـوك تسـاومها للحصول على التقدير **AAA** في حالة إجراء تغيير على الـ **CDO** , كما أن البنـوك تحـتفظ بسندات لدى وكالات التقدير ، هذا بالإضافة إلى أن المرتبات والوضع الـوظيفي للمـوظفين لدى بنوك الاستثمار الكبرى تتوقف على موظفي الوكالة وغالبا مـا يطمحـون إلى الحصـول على وظائف لديهم في المستقبل ولا يريدون أن يوضعوا على القائمة السـوداء لـدى البنـوك التجارية إذا لم يؤدوا إليهم خدمات لائقة .

يجـب عـلى وكالـة التقـدير أن تفـرض تكـاليف يحـاول منافسـوها تجنبهـا ، فالضمانات أصبحت غاية في التعقيد حيث إن الـدخول في أيـة عمليـة للـرهن العقـاري أو الكروت الائتمانية الخ .. في الحزمة الشاملة لـ **CDO** يصبح بمثابة مضيعة للوقـت والمـال فأين البنك الذي يمكنه أن يدفع لك تكلفة ذلك الأمر ؟ ولذلك ، فإنك تقيس المخاطرة تبعا للنماذج رخيصة الاستخدام .

تعتبر النماذج نفسها متفائلة جدا ، ولنتخيل أن الـ **CDO** قامـت بـدمج الرهـون العقارية من مختلف أرجاء البلد على افتراض أنه إذا كان هناك انخفاض في أسـعار المنـازل في منطقة ما قد لا يكون هناك انخفاض في مختلـف المنـاطق ، ففـي الواقـع عنـدما تقـوم البنوك بدمج المستويات الأكثر خطورة من الـ **CDO** في مربعات الـ **CDO** تصبح الرهون العقارية المتضمنة أقل تنوعا .

وتشمل مربعات الـ **CDO** أيضا السـيارات وديـون كـروت الائـتمان ، ولقـد تنبأت النماذج بأن أسعار المنازل والسـيارات وديـون كـروت الائـتمان لا تهـبط كلهـا بشكل جماعي بل تعتمد على الاحصائيات التي تبين أن كل فئة مستقلة عن الأخرى ، ولذلك حتى لو حدث انخفاض معقول في أسعار المنـازل فإنـه لا تترتـب عليـه آثـار

كارثية عامة ، ففي الواقع تعتبر قيمة المنزل أمرا أساسيا كما أن الفرصة لانهيار عام تعتبر مرتفعة جدا لدرجة أن افتراضات النموذج كانت خاطئة .

قد يبدو أمرا لطيفا لو أن النماذج تم تغييرها لتضع في حسبانها افتراضات بشأن الاعتماد المتبادل (والذي يمكن عمله من خلال ما يطلق عليه الاحصاء الافتراضي)ويشار إلى أن البريد الإليكتروني أصبح اليوم شائعا ، وهذا يبين أن بعض من يقومون بوضع النماذج كانوا يقولون لبعضهم البعض إن الـ **CDO** يمكن أن تديرها بنقرة وفي نفس الوقت تحصل على تقدير وكانوا يعبرون عن أملهم في أن يتقاعدوا جميعا قبل أن ينهار ذلك الصرح .

كانت النتيجة أن قام كبار المسئولين باستبعادهم إذ لم يكن لدى رؤسائهم الرغبة في مواجهة قانون تضخم القياس وكانوا يقولون لأنفسهم إن القياس الإيجابي سوف يؤدي إلى ازاحة قياس سلبي في حالة ما إذا كان من يتم قياسهم أقوى ممن يقومون بالقياس ألم تسمح المنافسة بين وكالتنا للتقدير مع الوكالات الأخرى على العملاء للبنوك بأن تؤثر على تفكيرنا وتهيؤنا لأن نعطي لهم التقديرات التي يريدونها ؟ إن رؤساءهم بحاجة لأن يتفهموا نفسيتهم كما أن أصحاب الأعمال نادرا ما يفضلون الموظفين الذين يطلبون منهم فعل ذلك .

ليست البنوك هي العملاء الوحيدون التي تسعى للقياس ، فالشركات تلجأ لوكالات التقدير لتحديد مخاطر المتاجرة مع الشركات الأخرى ، فإذا ما وافقت على أن أمد × بعدد من رزم الورق كيف يمكن التعرف على قدرة × على الدفع أو العجز عن الدفع ؟ هنا يلزم الوكالة أن تكون حذرة لأن سمعتها على المحك حيث أن التقييم الخاطئ من شأنه أن يؤدي إلى استياء العملاء وبعبارة أخرى ، هناك عامل يحول دون قيام التقييم الإيجابي بإزاحة التقييم السلبي ، لماذا تعمل وكالات التقدير على تضخيم تقييمها بصورة مبالغ فيها في السنوات العشر الأخيرة بالمقارنة بالماضي ؟

إن أكثر التفسيرات وضوحا هو أن هناك نقطة فاصلة حيث أن ميزان العملاء يتجه نحو البنوك الاستثمارية الكبرى ويبتعد عن الشركات الاستشارية ففي عام 2006

ذكرت موديز أن 44% من مداخيلها جاءت من تقدير ضمانات معقدة في حين أن 32% جاءت من عملها التقليدي في تقدير السندات المشتركة وأخيرا يلاحظ أن البنوك أكثر فاعلية في التأثير على دخل وكالات التقدبر .

من لديه الدافع لإعادة تفسير الرسالة ؟

إن الشخص العادي الذي ينشد تقييما للضمانات لا يلجأ إلى سمسار طلبا للمشورة بشأن ما يود شراءه فالسماسرة يكسبون قوتهم من تلك المعاملات ويميلون دائما للتضليل من حدة المخاطرة ، كما أن كل فرد تقريبا يعتقد أن هناك استثمارا في منطقة ما وهي منطقة آمنة عادة ما يكون مستعدا لأن يدفع أكثر من فوائد البنك أو الفوائد المستحقة على سندات الخزانة، وفي تلك المرحلة تبدو الضمانات مغرية لأن معدلات الفائدة منخفضة وقد قامت الصين وأوروبا بشراء الكثير والكثير من سندات الخزانة الأمريكية ولم تكن هناك حاجة لزيادة معدلات الفائدة لجذب المشترين ، فوزارة الخزانة ترفع معدلات فوائد البنوك أساسا للسيطرة على التضخم وذلك بتشجيع الإدخار على الانفاق ، وبفضل تدفق البضائع الرخيصة من الخارج يصبح معدل التضخم ضئيلا .

باختصار ، عندما يتضخم التقييم يصبح لدى كل الممثلين نظم دافعة تعمل على منع إعادة تفسير ما يعنيه تقدير **AAA** ، ويتوفر هذا لدى السمسار وزبائنه ، أما بالنسبة لرؤساء البنوك فهم أقل احتمالا لأن يعيدوا التفسير من رؤساء وكالات التقدير فالجميع ينتابهم نوع من خداع الذات قبل أن يتوجهوا إلى وكالات التقدير ، فعندما تقول الوكالة إنك كنت على صواب في سعيك لتقدير **AAA** تصبح مطمئنا ولكنك تتجاهل الحقيقة بأنك بذلك قصاري جهدك للتأثير في النتائج .

لماذا لا يهتم أصحاب السندات ؟

إن عددا قليلا ممن يتعاملون مع بنوك الاستثمار يتمتعون بالفطنـة ويعرفـون أن تقييم الضمانات متضخمة وأن المخاطرة مرتفعة ولكن من مصلحتهم أن يحتفظـوا بإعـادة تفسير رسالة الـ **AAA** لأنفسـهم فعـلى مـدار عشر سـنوات يمكنـك زيـادة حجـم أعمالـك البنكية وبالتالي يمكنك جني الأرباح وبالتالي تتقاضى مرتبـا بالإضـافة إلى عـلاوات تقـدر بــ 3000000 دولار في السنة تصل إلى 30000000 في غضون عقد من الزمن ، من الواضح أنك استثمرت في سندات عالية العائد ثم استبدلتها بسـندات الخزانـة الآمنـة في اللحظـة التـي رأيت فيها علامات على الانكماش.

إذن بماذا تهتم ؟ إنك لا تشبه كثـيرا الشـخص العـادي أو المسـتثمر العـادي إذ أن منزلك ومدخراتك ومكافأة نهاية الخدمة لن يختفوا عند الانهيار العام فقد تفقد وظيفتك ولكنك تعتبر أسعد حظا مما لو حققت لك وثيقة استثمار دخلا نحيلا يقـدر بــ 1000000 دولار في السنة.

(15)

ما الذي يجب عمله ؟

المفهوم الدال : السوق (قانون السوق) ما هي الخطوات والمؤسسات التنظيمية التي نحتاج إليها لتحاشي الأزمات المستقبلية مثل تلك التي حدثت في عام 2008؟

عندما حدثت الأزمة كانت بمثابة بداية سيئة لأوباما وقد شملت حزمة الإدارة الأمريكية للتعافي من تلك الأزمة تخفيضات في الضرائب لصالح غير الأغنياء حتى يمكن لهم دفع فواتير الشراء الضرورية ، وبالتالي تراكمت الأموال اللازمة للأعمال العامة (الطرق ، الكباري ، التحكم في الفيضانات ، والطاقة الخضراء) ، ولم يكن ذلك كافيا لمعالجة جذور المشكلة وبالتحديد كيفية مكافحة البطالة بشكل مباشر والعمل على إعادة البنوك إلى سابق عهدها وتقديم العون المباشر لمن يفقدون منازلهم .

ما الذي كان يجب عمله ؟

قد تكون القيود السياسية عملت على إعاقة أوباما ولذلك يصبح من الضروري التصريح بما يعتقد أنه كان يجب عمله بشكل مثالي ، فقد تعنى المنح الهائلة للولايات أنها لن تستغني عن آلاف الموظفين ، ولكن ضاع هذا الافتراض في العملية السياسية حيث كان الأمريكيون بحاجة إلى التمهل قبل أن ينفقوا الأموال

على الأعمال العامة الأمر الذي يتطلب فترة من ستة إلى ثمانية أشهر كما كان من المفـروض تأميم البنوك كما فعلت بريطانيا عام 2008 وأيضا السويد في عام 1992 ، هنا يمكن فحص دفاترهم وشراء أصولهم عديمـة القيمـة ومـنحهم الأمـوال التـي يحتاجونهـا لـكي يبـدأوا في تقديم القروض ثانية ، في هذه المرحلة ومع وجود ضمانات ضد الخسائر يمكن لرأس المـال الخاص الاستثمار في البنوك ولقد تحدثت إدارة أوباما عن جذب رأس المال الخـاص ولكنهـا لم تفعل ما هو ضروري لجعل الناس يصدقون أن البنوك استثمار جيد .

عند شراء أصول لا قيمة لها " تُعامل المنازل التي كان لها قيمـة سـوقية أقـل مـن المستحق عليها على أنها ملكية للبنك ، حينئـذ تقـوم الحكومـة بشرائهـا مـن البنـك بسـعر السوق ولم تكـن البنـوك في وضـع يسـمح لهـا بالمسـاومة حيـث إنهـا كانـت تعتمـد عـلى الحكومة لكي تمنحها أموالا إضافية تزيد على قيمة الأصول التـي لـديها ، هنـا يصـبح لـدى الدولة مخزون ضخم من المنازل تقوم بتأجيرها للملاك السابقين وبالنسبة للموسرين فهـم في حالة من الرضا لكونهم بلا ديون أما ذوى الدخل المنخفض فيمكـنهم اسـتئجار منـازلهم السابقة مقابل 25% من دخلهم وبالتالي يمكن القول بأن البطالة تفيد في بعـض الحـالات ، وعندما يحصلون على عمل يمكنهم البدء في اسـترداد ملكيـتهم لمنـازلهم مـن خـلال زيـادة المبالغ المدفوعة وبالتالي يمكنهم استرداد منازلهم في النهاية .

أثناء الطفرة العمرانية ومن أجل زيادة معدل ملكية المنـازل ، مارسـت الحكومـة ضغوطا على البنوك من أجل تقديم رهـون منخفضـة للفقـراء المشـكوك في قـدرتهم عـلى الدفع ، ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أنه من الخطأ اعتبـار ذلـك السـبب الـرئيسي لأزمـة 2008 بل كان أحد أسباب الطفرة العقارية أما مـا جعـل هـذا الانهيـار شـديدا فهـو قيـام البنوك بالعبث في الـ **CDO** وقيام وكالات التقدير بإعطاء تقـديرات عـلى مسـتوى **AAA** لتلك الضمانات ولم يجبرهم أحد عـلى الإدعـاء بـأن الرهـون المنخفضـة كانـت اسـتثمارات جيداُ.

على أية حال ، يعتبر إسكان الولاية هو الحل الواضح لمشكلة الرهون المنخفضة حيث يوفر الناس من ذوى الدخول المحدودة والذين يعانون من فرص عمالة متقطعة منازل بدون رهن عقاري من أي نوع وبدون مخاطر تتعلق بعدم القدرة على الدفع ، وبالتالي يمكن القول بأن إسكان الولاية يقضي على الحاجة إلى الرهون المنخفضة ويؤدي إلى اندثار المخاطر .

لا انهيار مرة أخرى

بالنسبة للتدابير الواجب اتخاذها للوقاية من الانهيار المستقبلي ، يمكن أن يُلزم القانون البنوك بعمل وديعة عندما تصدر وثيقة رهن عقاري وتصادر الأموال في حالة إغلاق الرهان وكشف التحريات أن الشروط تفوق طاقة المشتري ، على أية حال تكمن المشكلة في التصرف مع وكالات التقدير الخمس الكبرى وخطر التقييم لمستوى عال .

أحد الحلول هو أن تقوم هيئة حكومية بتقييم التقديرات التي تقوم بها وكالات التقدير ومحاولة كبح جماحها ، حيث يفترض أن تقدم الخمس وكالات الكبرى قائمة بكل الضمانات التي تمت الموافقة عليها وكذلك الحالات التي جرت فيها محاولة ولكن لم يوافق عليها وإذا ما تم إعلام تلك الوكالات أن ما تقدمه ليس قانونيا فذلك يعتبر بمثابة وضعها موضع الشك وهنا يتحتم على البنوك إخطار الهيئة الحكومية بما يجب اتخاذه حيال الضمانات بمعنى نقلها إلى وكالة تقدير أخرى وبيان التعديلات التي تم إجراءها ، ويتم تحذير الوكالة بألا تعلن أن الضمانات جديدة وبدون تاريخ سابق وأن تاريخ تلك الضمانات سوف يرسل إلى وكالة التقدير الجديدة ، ويتم كل عام فحص عينة عشوائية من الضمانات التي قدرتها الوكالة .

بالإمكان فحص المؤسسات وحزم الـ**CDO** بالطبع ولكن الأمر المهم في هذا المقام هو التحقق من الآليات المالية الجديدة التي تتخذها البنوك لجعل التقييم

أكثر تعقيدا وأقل عنفا ، وفي نهاية الإجراءات ، إذا حدث أن كان التقـدير أقـل مـما قدمتـه الوكالة يتم تخفيض الضمانات التي قدمت طوال العام بصورة آلية .

هناك شبهة سذاجة في الأمر برمته ، حيث يفهم منه أن الهيئة الحكومية في مأمن من سطوة بنـوك الاسـتثمار وأن وكـالات التقـدير عـلى عكـس ذلـك فالوكـالات التـي يـتم تقديرها لا زالت كثيرة وقوية في حين أن المؤسسة التي تقوم بالتقدير هـي وحيـدة وتعتـبر في العرف السياسي ضعيفة نسبيا كما أن خضوع الهيئات المنظمة تحت سطوة مـن تخـول لهم سلطة التشريع أمر سائد في تاريخ الولايات المتحدة ولأن هـذه الهيئـة الحكوميـة لهـا سلطة توقيع جزاءات في غاية الصرامة بمعنى أنه بإمكانها تخفيض التقديرات فإن الشركات والبنوك تحشد كل طاقاتها لتقوية عضويتها من خلال مندوبين متحالفين يقطعون الطريق على أي طرف يبدى أية مقاومة .

وللدفاع عـن اسـتقلالنا تتـوافر لـدينا ثلاثـة أسـلحة وهـي : حصر أكـبر قـدر مـن السلطة في يد الرئيس قدر الإمكان وعزل المنتمين إلى المؤسسات التي تطبق عليها القـانون ، وخلق ثقافة المقاومة ، فـالمفترض أن يكـون الـرئيس مسـئولا بصـفة مبـاشرة عـن حمايـة استقلال ما أطلق عليه " مجلس تقييم التقدير الائتماني " الذي يجب أن يعين رئيسه مـن قبل رئيس الهيئة وأن يكون مسئولا بصفة مباشرة أمام رئـيس مجلـس الأمنـاء الـذي يرفـع بدوره التقارير بشكل دوري للـرئيس ، وبعبـارة أخـرى يجـب ألا يـؤثر في الإشراف المبـاشر للرئيس أي نوع من الوساطات ، ويجب أن يكون هناك تقليد يقوم فيـه الـرئيس المعينـين مع عشرة أعضاء من الكونجرس ـ خمسة من كل حزب حيـث يفتـتح الاجـتماع بالسـؤال " هل تعتقدون أن هذا الشخص يمكن أن يوثق بقوته واستقلاله ؟ ولا يحتاج هنـا الحصـول على كل الأصوات للتعيينو يجب أن يجتذب شعبية وإذا ما قدر للـرئيس أن يعـين شخصـا ما وثبت أنه مطيع فسوف يجد الكثيرين الذين يخبرونه بسداد رأيه .

عند التعيين يفترض أن يتلقى أعضاء المجلس محاضرات عـن تـاريخ الهيئـات المنظمة وعن الطريقة التي تتفوق فيها الآليات المالية الجديدة على وكـالات التقيـيم إذ يجب فحص كل الاتصالات الواردة من والصادرة إلى شتى بقاع العالم من مكالمـات

تليفونية وبريد اليكتروني واتصالات اجتماعية بالضبط كما يفعل رجل الشرطة في كشف أية اتصالات مع المجرمين ، وقد لا يكون هذا فعالا في حد ذاته في أن يعمل كأداة تذكرة يومية برسالة وثقافة المؤسسة هذا بالإضافة إلى أن مجموعة الخبراء المعينين تضم محاسبين ذوى خبرة في المراجع وعلماء في الرياضيات والاقتصاد .

بالنسبة لكبار الموظفين يجب توفير مرتبات وأجور مجزية في العمل والتقاعد وعندما يكتشف صغار الموظفين أية مخالفات يجب مكافأتهم بمبالغ مجزية ، إذ أن عالم المال به عادة ساحرة تتعلق بوضع أي موظف حكومي في القائمة السوداء مدى الحياة يتسبب في أية متاعب ومشكلات حيث يجب تنقية سجلات من يراد تعيينهم في عالم المال بشكل كامل ومن يتركون العمل لا يسمح لهم بشغل مناصب يشتم منها رائحة الرشوة بما يعني أنهم يخضعون للملاحظة لمدة عشر سنوات .

الخبراء يفكرون ويتحدثون

من أجل الحصول على المساعدة اتجهت إلى عدد 2008 من مجلة الاقتصاد الدولي التي تقدم آراء المحررين وأربعة عشر خبيرا بشأن كيفية تحاشي الضمانات التي تنال تقديرا أعلى من اللازم في المستقبل ولوحظ أن المحررين يمنعهم جهلهم بقانون تضخم التقييم حيث يقولون إنه يجب وقف الامتياز الممنوح لوكالات التقدير وفي نفس الوقت العمل على خلق عدد هائل من خدمات مخاطر الاستثمار أكثر نشاطا وابتكارا فقد يقدم هؤلاء القائمون الجدد بالتقييم نصائح مفيدة للشركات التي تود معرفة المخاطر من جراء التعامل التجاري مع شخص آخر ، ولكن عندما يتقدم إليهم أي بنك استثماري بطلب لتقدير الضمانات فإن نفوذ البنك كعميل قد يفسد تلك الوكالات الصغرى ربما بشكل أسهل مما كان يفعل مع الوكالات الكبرى القائمة حاليا ، وفي ظل الفوضى الناشئة من وجود العديد من التقديرات يميل الناس لأن يسألوا السمسار الذي يتعاملون معه فيما لو كان تم

تقييم السهم بشكل ملائم وأنهم يعتمدون على وكالـة تقيـيم سـيئة ينقسـم الأربعـة عشر خبيرا إلى ثلاث مجموعات فبعضهم يرون أن التقيـيم يجـب أن يكـون حكـرا عـلى الوكالـة الحكومية أو على الأقل اعطـاء لجنـة الضـمانات والتبـادل (**SEC**) سـلطة أكـبر في تنظـيم السوق وآخرون يرون أن لجنة الضمانات والتبادل (**SEC**) تعتبر مثالا ممتـازا للجنـة التـي تسيطر عليها المؤسسات المفترض أنها تراقبها مما يعني أن أية وكالة حكومية سـوف تلقـي نفس المصير ولذلك لا يمكن فعل أي شيء ، ولقد حاولت بالطبع أن أجد طريقا وسـطا بـين هذين الفريقين قد يؤدي إلى شيء طيب لفترة طويلة من الزمن ، أمـا الفريـق الثالـث فـلا يقول شيئا على الإطلاق ، وباختصار ، لا أعتقد أن هنـاك وعيـا بمـا يجـب عملـه مـن أجـل الحيلولة دون تكرار أزمة 2008 .

يحب بعض الخبراء نوعا من اللغة لا يساعد على تثقيف العامة فعلى سبيل المثال ، قد يقول أحد الأشخاص " تلعب وكالات التقـدير دورا هامـا مـن خـلال تقليـل التضـارب المعلوماتي ولكن لا يبين كيف يمكن مساعدتها على لعب هذا الدور ، وعندما كان الصحفي المشهور روبرت فيسك يلقي خطابا في إحدى الجامعات المتميزة سأله الأساتذة عن كيفيـة جعل عملهم مرتبطا بالجماهير العريضة أجاب بقولـه " توقفـوا عـن كتابـة النـثر السـام " فلقى تصفيقا حارا من قبل الطلاب و ظل الأساتذة صامتين لأنهم في حيرة من أمرهم حيث إن الصحف ترفض مقالاتهم إلا إذا كانت مكتوبة بلغة تبين أنك متفق مع توجهاتها ، ومن المؤسف أن نقص الوعي بالمفاهيم يخـدع الآلاف ويحـرمهم مـن فرصـة أن يكونـوا مـراقين ناقدين لعصرهم .

النثر السام

لتفسير عبارة " تقليل التضارب المعلومـاتي " خـذ مـثلا سـوقا يعـرف فيـه صاحب سيارة مستعملة حالتها جيدا ولكن المشترين المحتملين لا يعرفون ، حيث يفترضون أن حالتها تشبه حالة كل السيارات المعروضـة للبيـع ولـديهم نـوع مـن

الشك في أنها عديمة القيمة ، ولذلك يعرضون سعرا أقل مما يقدره البائع مما يستتبع انسحاب أصحاب السيارات المستعملة الجيدة من السوق ، لقد تلاحظ الآن أن حالة السيارات المستعملة المعروضة للبيع آخذة في الانخفاض وينطبق نفس القول على أفضل أنواع السيارات المعروضة للبيع حتى يأتي يوم لا تعرض فيه سيارة جيدة للبيع على الاطلاق ، وكل ما يعرض ما هو إلا سقط المتاع ، ويشار إلى أن الاقتصادي الذي وضع هذه النظرية قد تلقى العديد من الطلبات للاطلاع على بحثه من المهتمين بالأشياء عديمة القيمة في السوق ولنطبق ذلك على الضمانات ، فكل فرد يعرف أن البنوك التجارية لن تقدم معلومات دقيقة بشأن قيمتها وتكون النتيجة أن الضمانات التي تقدمها تصبح عديمة القيمة ، ولذلك من خلال تقديم تقدير موضوعي للضمانات يمكن لوكالات التقدير القضاء على عملية تضارب المعلومات وضمان قدرة المشترين على اختيار من بين الضمانات التي تتراوح ما بين آمنة (كالسيارات مثلا) والضمانات الحظرة .

المعلومات المضللة كسلعة تجارية

إن عجز السوق غير المنظم عن الوقاية من المآسي مثل أزمة 2008 واضح وجلي ، إنه حالة خاصة عن موضوع سبق وأن تحدثنا عنه وهو أن السوق نفسه لا يمكنه تحديد ماهية السلعة التجارية ، ويلاحظ أن تقديم معلومات زائفة قد يكون أمرا مربحا ، على الأقل بالنسبة لمن يبيعونها أو ـ على الأقل مؤقتا ـ بالنسبة لمن يشترونها إذا ما عملت المعلومات على رفع قيمة أصولهم ، ويشار إلى أنه من السهل أن ننسى أننا قد قمنا بتنظيم تدفق المعلومات للوقاية من الظلم والمآسي الشخصية ، إننا نحاول منع التجارة من الباطن (بمعنى أن شخصا من داخل المؤسسة على علم بأن الشركة على وشك اصدار بيان جيد أو سيء عن أرباحها وبالتالي يتسبب في

كارثة عن طريق البيع أو الشراء للأسهم) ، إننا نحاول حماية المستهلكين من أولئك الـذين يحاولون أن يبيعوا لهم سيارة غير آمنة أو منزلا يصعب انقاذه عند تعرضـه لحريـق ، لقـد حان الوقت لانقاذ البنوك من تلك الحماقات .

لا زلنا نسمع الكثير مـن أولئـك الـذين يطلبـون منـا أن نصـدق أن قـانون سـوق السندات غير رشيد وغير مجد ، والرادع الوحيد لهم هو وجود أناس مثلك ومـثلي يعلمـون جيدا كيف تعمل الأسواق وبالتالي لا يصدقون ترهـاتهم ، ويقـف بجانبنـا المفكـر العظـيم جون ماينارد كينز الذي يقول " عندما يصبح تطور رأس المال لبلـد مـا أشـبه بنـاتج ثـانوي لأنشطة كازينو فإن هذا يدل على أنه يسير في الطريق الخطأ .

أزمة 2011

إننا ان في قبضة أزمة مالية أخرى ، وهي تعتـبر جزئيـا إحـدى نتـائج أزمـة 2008 حيث اضطرت الحكومات لاقـتراض الأمـوال لـكي تقرضـها للبنـوك وتسـتعيد عافيتهـا ، وفي الواقع استطاعت الولايات المتحدة اسـترداد غالبيـة تلـك الأمـوال (باسـتثناء الأمـوال التـي أقرضتها لصناعة السيارات) ، أما مشكلتها الرئيسية فهي نظرا لأنها لم تعمل عـلى تنشـيط اقتصادها بشكل كاف ، أصبحت تعاني من بطء في النمو وارتفاع في معدل البطالة ، وهكذا انخفض عائد الضرائب بالإضافة إلى خسارة ما يقرب من أربعة تريليون دولار في الحـروب الخارجية و بالنسبة لبعض الدول الأوربية فإن حالتها أسوأ بكثير حيـث لا يزالـون يعـانون مـن ديـون ضـخمة وقعـوا عليهـا وأقتصـادات ضـعيفة لم تتعـافى نهـائي مـن أزمـة 2008 (بالإضافة إلى انخفاض عائد الضرائب) والاستثناء الوحيـد هـو المانيـا التـي حققـت معـدلا جيدا للنمو في أوائل 2010 أما اليونان فهي الأسوأ لأنهـا أظهـرت إهـمالا ماليـا بمعنـى أنهـا واصلت الانفاق مع تدهور المداخيل .

لدى البنوك الأمريكية والأوربية طائفة جديدة من الأصول التي أصبحت سامة حيث قدمت قروضا لحكومات كان يبدو أنها في أمان ولكنها الآن تواجه خط العجز عن السداد ، ولذلك ، قد تحدث أزمة بنكية أخرى ولكن في هذا الوقت لا توجد إلا دول قليلة في وضع يسمح لها بإعطاء البنوك الأموال التي تحتاجها لكي تبقى على قيد الحياة .

هل ينهار الاقتصاد الأمريكي ؟

بإمكان أوروبا أن تتسبب في انهيار العديد من البنوك الأمريكية ولا يهم رد فعل الولايات المتحدة من حيث محاولتها توسيع الاقتصاد بأقصى ما لديها ، حيث أن الشلل السياسي الذي أعاق أمريكا في يوليو 2011 قد أفزع الكثيرين كما يبدو أن الأزمة بين من يريدون تخفيض الانفاق الآن ومن يريدون تخفيضه فيما بعد (بعد انتعاش الاقتصاد) قد تصيب الحكومة بالشلل وتمنع أمريكا من دفع فوائد ديونها أو حتى المرتبات الحكومية ، ولقد توصلت الأحزاب السياسية إلى تسوية جعلت الأمور أسوأ مما كانت عليه ، ففي الوقت الذي كان يعاني فيه الاقتصاد من الركود وتزيد البطالة عن 9% منعت الحكومة من تنشيط الاقتصاد من خلال الإنفاق لخلق وظائف جديدة .

إن ما يقع في خلفية الصورة هو أن الولايات المتحدة تعتمد على المستثمرين الأجانب لدعم ديونها ، وتلعب الصين دورا رئيسيا حيث تستثمر ثلثي مدخراتها في أمريكا من خلال شراء سندات الخزانة الأمريكية وضمانات أخرى ، ويقدر رئيس الاحتياطي الفيدرالي بن بيرنانك حجم الودائع الصينية بما يصل إلى 2 تريليون دولار أمريكي في نهاية 2010 ، وعموما لا يبدو أن هناك خطرا مباشرا بأن المستثمرين الأجانب سوف يسحبون أموالهم .

في الوقت الحالي يشعر الناس في مختلف بقاع العالم أن دولهم أكثر عرضة للعجز عن السداد من الخزانة الأمريكية ولذلك يسارعون بشراء سنداتها ، وطالما أن صادرات الصين إلى أمريكا تفوق واردتها فهي مضطرة لإقراض أمريكا حتى تتمكن من دفع ثمن ما تصدره الصين إليها ، وعلى أية حال قد يأتي يوم وينتهي فيه الاعتماد الاقتصادي ، وبالنسبة للصين ـ لكي تتحاشى الانكماش ـ فإنها تدخر قليلا وتنفق المزيد على أعمال عامة إضافية وذلك لتنشيط اقتصادها وفي هذه الحالة قد لا يتوفر لديها الفائض الذي تحتاجه أمريكا .

ملخص : لقد تسببت البنوك المفلسة (وما يتبع ذلك من ركود) في تكبيل الحكومات بالديون والآن تهدد الحكومات المفلسة في تكبيل البنوك بالديون (عجز الحكومات عن إصدار أوراق مالية) ، وإذا كان كل من الحكومة والبنوك مفلسين ، فإن الدولة تضطر لأن تمد يدها إلى الدول الأخرى ، وإذا لم يكن لدى الدول الأخرى ما يكفيها تصبح بنوكها مهددة وفي هذه الحالة سوف يتوفر لديهم موارد أقل لإعالة بنوكها ، فالاستثمار الصيني لا يمكن أن يعول النظام بأكمله وقد لا يكون مريحا كثيرا ولكن أتمني أن يكون تحليل السوق قد ساعدك على فهم السبب في أننا نرى أخطر كساد عالمي منذ الكساد الكبير في الثلاثينيات ومع ظهور هذا الكتاب في الأسواق يمكنك أن تعرف النتيجة .

الجزء الرابع

أعداء العلم

(16)

الحقيقة : ما الذي يقوله العلماء بالفعل عن العلم

المفهوم الخاطئ (14) الحقيقة هي نص: الثلاثة فصول التالية هي محاوله لتجعلك ضد التصورات الزائفة أوالمفاهيم التي تعوق العقلانية والتفكير الناقد سوف أبدأ بنقد لفكرة أن العلم ليس بوسعه أن يخبرنا بالحقيقة بشأن السلوك الإنسانى والكون الطبيعي .
النظرة العامة التمهيدية :الحقيقة هي نص ، مفاهيم الحقيقة ، بناء الحقيقة ,طبيعة التقدم العلمي ، ماذا قال الفلاسفة ، إجتماعيات المعرفة ، إيمانويل كانت ، التغيرات المتعددة للحقيقة ، كيف تدمر نسبية الحقيقة نفسها بنفسها ، كراهية كلمة ، حتى مخبولي العقل بإمكانهم إن يعلمونا شيئاً .
رغم إن لا أحد منا يكرس نفسه للعلوم الزائفة مثل علم التنجيم ،أوضح كارل ساجن ، عالم الفلك أنه بينما تبدو الكواكب والنجوم كبيرة جداً ، إلا إنها عبارة عن تجمعات من القاذورات والمعادن والغاز وما إلى ذلك ، ومن غير المحتمل أن يكون لها أي تأثير على أقدارنا ,كما إنها تبعد عنا كثيراً , وإذا كان هناك أي شخص يؤمن بالفعل أن موقع الأشياء المحسوسة عند وقت ميلاده له أهميه ، فإن عليه أيضاً أن يعتقد أن الأثاث فى الغرفة ، على الرغم من صغره له نفس التأثير فالموقع المحدد للمناضد والمقاعد والأنوار وخلافه لهو بشكل واضح ذا صلة وثيقة بالموضوع, و إذا كان هذا لا يثنيك عما تعتقد فأنا لا أعرف ماذا أقول لك .

ومع ذلك ، إذا كنت ارتدت الجامعة فى الأربعين سنة الماضية ، فربما تنتابك الشكوك بشأن وجود عالم حقيقي ، وهل العلم هو المسلك الوحيد لمعرفة هذا العالم.

الحقيقة هي نص

إن هذه الجملة أصبحت شائعة مثل الصرخة الحاسدة لهؤلاء الذين ينكرون أن هناك عالما حقيقيا بإمكان العلم أن يستكشفه الواضح أننا تخلق الحقيقة ، بالفعل ، إن الأعداد الضخمة للبشر تخلق حقائق متعددة عندما يطرح كل فرد النسيج الخاص به من الكلمات أوالأفكار حول العالم .

كيف تم الزج بالناس إلى الشك فى أن هناك شيئا مثل ذلك العالم الواحد الحقيقي الذي يعيش فيه البشر ؟

أنا اعتقد أن هناك عال طبيعيا واحدا يعيش فيه أناس آخرون وأنا معهم ، إن هذا العالم كان موجودا قبل خلق البشر (حوالي 13 مليار عام) وسوف يستمر هذا العالم في التواجد حتى بعد أن نرحل جمعياً .

لقد نشأت فكرة أن الحقيقة غير ذاتية من سلسلة من سوء الفهم والتي كان كل منها يعضد الآخر, و تشير الأرقام إلى وجود خمسة مفاهيم خاطئة : هناك خطأ في فهم الحقيقة بأن مفاهيم الحقيقة تختلف ، و أن التفاسير التي يستخدمها الناس لجعل الحقيقة ذات معنى ، و أن كُتاب تاريخ العلم يقولون أشياء من قبيل " العلم ليس بإمكانه إن يقرر حقيقة ما بشأن العالم " ، واجتماعيات المعرفة . هذه الأخيرة تشير إلى أن العلم يتواجد فقط في نوع معين من المجتمعات والذي من شأنه أن يثبت أنه فقط " نسبى ".

مفاهيم الحقيقة

ليس هناك شك في أن المخلوقات المختلفة والناس على اختلافهم لديهم مفاهيم غير اعتيادية عن العالم الحقيقي, فالشخص الذي كُف بصره ليس بمقدوره أن يرى السماء.ونجم البحر ليس بوسعه رؤية أي شي على الإطلاق .ومع ذلك فإن هؤلاء الذين يتمتعون بالقدرة البشرية العادية على الإبصار يبصرون

العالم بالكامل أكثر من الآخرين، وهؤلاء الآخرون يدفعون ثمـن مفـاهيمهم الخاطئـة فقـط أما هؤلاء المبصرون فلديهم المقدرة على اكتشاف علـم الفلـك , خـذ حـذرك مـن الكوكـب الضخم الذي يقترب من الأرض، وكن في وضع يمكنك من إبعاده , وإذا لم تستطع أن تعمل على تغيير اتجاهه فإن مكفوفي البصر وكذلك نجم البحر سوف يلقون نحبهم مـثلهم مثلنـا جمعياً .

إنهم يشاركوننا نفس المصير لأن هناك عالما واقعيـا حدث فيـه أحـداث حقيقيـة وهم يعيشون في هذا العالم بـنفس الكيفيـة التـي نعيشـها, الـبعض يعـانى بسـبب بعـض المفاهيم التي تعطيهم معلومات غير دقيقة عن العـالم الحقيقـي , فالشـخص الـذي يكـاد يموت عطشاً في الصحراء وتنتابه تهيئوات أوضلالات بشأن وجـود واحـة غنـاء عـلى مرمـى بصره ,إذا كانت تلك الضلالات قوية بشكل كاف ، فإنه قد يصل به الأمر إلى أن يمـلأ كفيـه بالماء ، كي يشرب ، ولكنه سـوف يحظـى بكـف مـليء بالرمـال ,إن الفشـل في إدراك العـالم الواقعي بشكل دقيق يلقى بظلاله ويقرع ناقوس الخطر .

محتوى الحقيقة

لا تتكون فكرتنـا عـن العـالم الـواقعي مـن مفـاهيم بسـيطة فـنحن نفهـم العـالم باستخدام نظريات ، بمعنى منظومة من المفاهيم التي تؤكد العلاقة بين السـبب والنتيجـة وباختبار النظريات بشكل منظم فى مقابل الخبرات أوالتجارب ، فإن العلم يقدم لنا صـورة من الحقيقة أفضل كثيراً من أى منافس آخر بمقدرته المثل .

الهنود " الروبو " أقاموا عـالمهم عـلى السـحر والحقـد .إذا بـدأت مزرعتـك في إنتاج كمية أقل مـن البطاطـا ، فأنـت سـتفترض أن جـارك يسـتخدم السـحرو بالتـالي تحاول أن تخرب مزرعته بالليل وقد تعتقد أن أفضل وسيلة هي أن تقتله بالسم ، أمـا إذا قمنا بعمل تحليل للتربة ربما نجد أن زراعة محصول واحد يوهن التربة وان الحـل يكمن فى المناوبة فى المحاصيل بمعنـى تغيـير المحاصـيل في الحقـل الواحـد إبقـاء عـلى

خصوبة التربة وإذا شاركنا هذا التوجه العلمي مع الهندي فهذا من شأنه أن يقلل من المجاعات في الهند .

إن أفكار الشعوب ما قبل الصناعية دائماً تعتمد على الطريقة التجريبية و الملاحظة والتي هي النموذج الأصلي للعلم ، وإذا لم يستخدموا هذه الطريقة القيمة ، فإنهم لن يعيشوا, فعلى سبيل المثال:-

الصيادون يراقبون السمك وحركته ، وعند اقترابه يرمون الشباك ,إنهم يفهمون الحقيقة فهماً كاملاً عندما يطبقون الطريقة العلمية ، كما يفشلون في الأداء عندما يستخدمون شيئا آخر غير الطريقة العلمية, و بالمناسبة ، عادة ما يساعدنا المنطق كثيرا في تفسير الحقيقة ، لدرجة انه لن تجد أي شخص لا يستخدم المنطق ، ربما تكون الافتراضات الرئيسية خاطئة ،وينتج عنها استنتاجات خاطئة . على سبيل المثال : فقط السحر بوسعه أن ينقل البطاطا ، محصول البطاطا قد اختفى و هذا حدث بسبب السحر . لكن عند الاعتماد على ملاحظات و الافتراضات ،فإنهم يصلون إلى استنتاجات موثوق بها وضرورية من أجل مواصلة الحياة .في الثقافات القديمة لغينيا الحديثة إذا تساءل الأطفال لما لا يسمح لهم بتناول طعام ما فان الأب سوف يجيب انه سام ، منطق سليم، كل ما هو غير متاح أو صعب المنال يكون ساما ،الناس قد ترفض استخدام المنطق ،لكن بقدر رفضهم استخدام النطق ، فإنهم يعرقلون قدرتهم على تفسير وفهم الحقيقة.

طبيعة التقدم العلمي

إن المفاهيم الخاطئة عن تاريخ العلم تربك الناس , وهناك دليل وافر على القول بأن العلم في بعض الأحيان يقف عاجزاً عن بعض الأشياء ما لم يتم تغيير الطريقة المعتادة والمقبولة للتفكير أو الأداء . على سبيل المثال التفسير الميكانيكي لنيوتن والخاص بالسموات وكونها قوى فاعلة هو المكان والزمان .

وكنتيجة لذلك ،فان بعض العلماء قالوا أنهم ليس بوسعهم أن يأخذوا أية نظرية فلكية مأخذ الجد ما لم يقوموا ببناء نموذج مماثل لها في ورشة الإنشاءات الميكانيكية , كما أن المشكلات المتعلقة بنظرية الجاذبية تم التعامل معها وكان النموذج حقيقيا .على سبيل المثال معادلات نيوتن والتي تنبأت بمدار كوكب عطارد كانت غير صحيحة .لكن إذا توقفت عند هذه النظرية وبدأت تفسيرها بطريقة آخري كأن يكون هناك كوكب أقرب إلى الشمس من عطارد ، كوكب يصعب علينا رؤيته وهو الذي قام بسحب كوكب عطارد خارج مداره ، حتى أن أحد علماء الفلك اعتقد أنه رأى ذلك الكوكب (هو رأى بقعة) وإطلق عليه أسم فولكان ، وحصل على ميدالية من أكاديمية ديجون

كما أشار اينشتاين ، عليك بتحطيم نموذجك الميكانيكي قبل تشرع في نظرية بديله ، وبدون نظرية بديلة ، فإنه يصعب على نيوتن أن يفسر بعض الأشياء غير الواضحة ,و قد يعتقد العلماء أن هذه الأشياء محيرة وتافهة ويزعمون أنهم سيجدون حلاً ، في النهاية ، جعلهم اينشتاين النموذج الميكانيكي وأثبت أن شكل الفضاء وليس القوى يمكن أن يوثر في المدارات وأن شكل الفضاء يتغير عند اقتراب أجسام سماوية ، عندما تسقط كرة ثقيلة على بطانية ، فإنها تخلق شكل قمع أومدخنة كذلك الشمس تحدث شكل قمع أومدخنة في الفضاء في جوارها ، والكواكب تدور حول هذا القمع بدون الوقوع في الشمس (يتحركون بسرعة كبيرة) أنظر ولاحظ ، عندما تقتبس شكل القمع قريباً جداً من الشمس ، حيث يقع كوكب عطارد ، عندها تحصل على المدار الصحيح لذا.. فأنت بحاجة لنموذج جديد للعلم كي يتقدم ، لكن لاحظ أن النماذج لا تعنى أن العلم نفسه هومجرد نموذج ، شيء ما داخله جعلنا نبقى محبوسين بداخله دون الوصول إلى الحقيقة ، فيما عدا أن النموذج يعرف وكأنه حقيقي ,إن تغيير الطريقة المعتادة للتفكير على الأصح توضح كيف أنه من الصعب أن تخترع نظريات جديدة بشكل أساسي في حين أن هناك نظرية قديمة ناجحة موجودة على الساحة ، الطريقة العلمية تستحضر دليلا كي تختبر النبوءات ، وان هذا الدليل هو حدث

حقيقي يحدث خارج النماذج عند وجود تقدم مفاجئ من نموذج إلى آخر ، غياب الدليل يحدد لنا أية نظرية تعطى توجها أقرب نحو الحقيقة .

ما قاله الفلاسفة

فلاسفة العلم يناقشون معضلات مثل : هل بوسعنا أن نقول إن نظرية علمية ما صحيحة ؟ إذا كانت الإجابة بالنفي ، فإن العاقل ربما يبدأ الحديث عن العلم وكونه مفهوما غير صالح وغير صحيح مثله مثل أي مفهوم آخر وهنا نرى ماذا يعنى الفلاسفة حقيقة بهذا الكلام .

أوضح كارل بوبر (1902- 1994) قائلاً ، إذا أشرنا بالقول إلى أية نظرية على أنها صحيحة ، فهذا يشير ضمناً إلى أن أية نظرية جديدة قد تكون زائفة (بوبر 1959) علاوة على ذلك ، كيف يتسنى لنا معرفه أن نظرية من الآن وحتى نهاية الزمان قد تثبت افتراضاتها.

عندما نتأمل كيف تقدم العلم بالفعل ، فإننا نجد أن هناك نظرية بديلة لم يتم حصرها على الأقل حتى الآن ، على سبيل المثال ، هناك نظريتان تنافسيتان عن الاحتراق إحدى هذه النظريات تفترض أن أشياء معينة تحتوى على عنصر ما يجعلها قابلة للاشتعال وعند الاحتراق تفقد هذه الأشياء, هذا العنصر والنظرية الأخرى تفترض أن الأشياء تتحدد مع شئ ما (الأكسيجين) عند الاحتراق والفيصل في ذلك كان وزن الأشياء قبل وبعد الاحتراق حيث زاد وزنهم بعد الاحتراق , لذا فإن النظرية الأولى تم دحضها , ونظرية الأكسيجين لم يتم تكذيبها, فالعلم تقدم , لكن لم يتجاوز أحدهم قائلا أن نظرية الأكسيجين لم يم دحضها حتى الآن .

إمرلاكاتوس (1922 – 1974) أشار إلى وجود غموض في قول أن نظرية ما لم يتم دحضها (لاكاتوس 1978) إذا تم دحض افتراضات النظرية ، فبإمكانك إصلاح ذلك الأمر عن طريق إضافة افتراضات خاصة . كان هناك عالم فلك

بجامعة هارفارد ، والذي بشكل جاد أو بشكل بسيط تمكن من عمل شئ لا أفهمه حيث ، أوضح أنه بمكانك أن تنقذ افتراضات نيوتن التي تم دحضها بخصوص مدار كوكب عطارد وذلك بإضافة فرض ألا وهو : أن مركز جاذبية الشمس تغير من مركزها إلى سطحها عندما يتعلق الأمر بكوكب عطارد . ليس هناك سبب لهذا التغير لذا فهو يسمى افتراضا خاصا (افتراض لغرض ما) والمعنى أن الغرض الوحيد من وراء هذا الافتراض هو إنقاذ نظرية من دحضها بعد إثباتها .

لذا فإن لاكاتوس اقترح انه يجدر بنا أيضاً أن نؤكد بعض النظريات العلمية فيما يتعلق بفاعليتها بمعنى ، هل هذه النظريات تطرح موضوعات جديدة وشائعة فنظرية نيوتن يمكن إنقاذها فقط إذا قضينا وقتا في محاولة إصلاحها . النظرية البديلة لاينشتاين ليست في حاجة إلى إصلاح (لم يتم دحضها أو تسفيهها حتى الآن) لكن الأهم من ذلك والأفضل من وضع افتراضات عقيمة ولغرض معين إنها افترضت افتراضات جديدة ومثيرة إذا كان الفضاء ينحني في قرب النجوم فإنه عند مرور الضوء بجانب النجم ، يمر خلال فضاء منحنى وليس فضاء مستقيما ,لذا يجدر بنا أن نتنبأ بأن طريق الضوء سوف ينحني عندما يمر بنجم . هذا التنبؤ يثبت صحة هذه النظرية التي تبدو قريبة إلى الحقيقة أكثر من نظرية نيوتن ؟

لذلك ، لاتخدع بمقولة انه ليس هناك نظرية علمية صحيحة ، وبالطبع لايجب أن تقع في شرك حقيقية أن ليس هناك نظرية صحيحة بإمكانها أن تعطينا صورة دقيقة بالكامل ونهائية عن الكون . وهذا لايعنى أن العلم غير موضوعي أو انه وجهة نظر واحدة بين العديد على الأصح ، هذا يعنى أن العلم يتقدم نحو فهم أفضل للحقيقة ، على الرغم من أنه بدون أي ضمانات ، نحن دائما سنفهم فهما كاملا أن عقولنا ربما تكون محدودة لدرجة لأتسمح لها باكتشاف نظرية علمية خصبة.

ثمة تأثير آخر يضمن نوعا من الواقعية على الاتجاه القائل إن كل العلم اعتباطي ، ألا وهو سوء فهم معنى اجتماعيات المعرفة, إنه صحيح تماما أن كل شئ نفكر فيه له وضع أو محيط اجتماعي بما في ذلك أن مانفكر فيه يحتاج إلى الإدراك فالعلم يتطلب أن نبعد أنفسنا عن الطبيعة ونطرح تساؤلات عنها ، أن الثقافة الهندية الروتينية تزعم وجود تناغم أو انسجام بين الإنسان والبيئة فثقافة دوبو تزعم أن كل حدث تم تحديده مبيناً من قبل السحر , لذا فهم يعرفون كل الإجابات والحلول دون علم .

يزعم مؤرخو العلم الحديث أنه بحاجة للقياس الدقيق ، فإنه ليس بوسعه أن يزدهر دون بزوغ الرأسمالية فالعاملون في المصانع يجب أن يذهبوا إلى العمل في المواعيد المحددة وهذا بدوره يتطلب ساعات عمل بشكل دقيق حتى تفاصيل النظريات العلمية لها إطار اجتماعي , المجتمع اليوناني القي بظلاله على علم الفلك بسبب ولعه الشديد بمدارات الإجرام السماوية (على الرغم من إنهم كانوا يمتلكون أسبابا بدت مقنعة في ذلك الوقت) أن العلم يعد منتجا ثقافيا مثله مثل السحر

عموما لا تضاهي النسبية التاريخية أو الاجتماعية النسبية المعرفية (أو الحقيقية), و طالما نحن محظوظون بالتواجد فى مجتمع مثل اليونان القديمة ، فنحن سنبدأ فى طرح افتراضات مثمرة عن السماء, وإذا عشنا فى مجتمع غير مولع أو مهتم بالمدارات الخاصة بالإجرام السماوية ، فإنهيصبح لدينا علم فلك يخبرنا أكثر عن السموات . وطالما هناك طريقة علمية تم اكتشافها ، فإن اعتبار وفحص الافتراضات فى مقابل ملاحظاتنا من شأنه أن يأخذنا إلى الحقيقة . والتقدم يصبح فى متناولنا حتى الشئ غير الموضوعي مهما كان عدده يعتبر أمرا مرهقا ومزعجا بشكل لايصدق , أن الضرب والقسمة بإستخدام الأرقام الرومانية ، والأرقام العربية

مثل التي نستخدمها هذه الأيام تجعل الحسابات سهلة وعلى الرغم من ذالك فبإمكاننا أن نعطى قيمة أو اعتبارا للأرقام العربية وتبقى حقيقة مهمة أنهم يسروا عمليات العدد والحساب لكل فرد فى كل مكان , إن هؤلاء الذين يعتقدون أن سيكولوجية المعرفة تصنع علما اجتماعيا له صلة بالحقيقة أنهم يناقضون أنفسهم ، اجتماعيات المعرفة نفسها تنبع فى إطار اجتماعي ، بالفعل المجتمع يجب أن يكون مثقفا بشكل كبير . هل هذا يؤدى بنا إلى شئ غير جدير بالثقة أو الاعتماد ، أو اجتماعية المعرفة هي نفسها غير جديرة بالثقة والاعتماد علم الاجتماع العادي شئ غريب ، هذا مايقوله علماء اجتماع الأسرة ، حيث أنها تنتج نتائج غير جديرة بالثقة ، لكن أصعب نوع من أنواع علم الاجتماع هو ذاك الذي ينتج نتائج يمكننا الوثوق بها .

ايمانوبل كانت

يجب أن نضيف حكاية عن كانت (1724- 1804) لقدفرق كانت بين الأشياء في ذاتها والتي لايتسنى للخبرة الإنسانية والفهم أن يصلوا إليها ، هذا من ناحية والعالم الظاهري هو العالم الذي نراه حولنا من خلال عوينات أو عدسات أدوات الاداراك البشرى من ناحية أخرى.

لم يكن كانت يريد إن يضعف الثقة بالعلم لكنه أراد أن يضعه على أسس أشد ثباتنا , و لقد استدرك كانت قائلاً أن كل الناس يرون العالم من خلال نفس النوع من الأعين ولذا ، بوسعنا جمعياً أن نستخدم العلم كي نصل إلى استنتاجات مشتركة جديرة بالثقة عن الأحداث التي نراها , لكن بالأخص فى أوروبا ، قرر المفكرون المحدثون أنه كان مخطئا . وبدلا من زوج العوينات الشائع لرؤية الحقيقة غير المعروفة ،فان لكل إنسان زوج من العيون خاص به . لكل نموذج له تصوره الخاص عن الحقيقة ،ولكل فيلسوف حقيقته الموضوعية الخاصة به ، ولكل مجتمع رؤيته للعالم . الخطوة الأخيرة بالطبع، هي إن لكل فرد وجهه نظر خاصة به . إذا سميت

وجهه نظرة لكل إنسان بأنها "نص" ، فانه ببساطة ، الحقيقة أيضا نص يخضع لعدد لا نهائي من التفسيرات . النصوص لم تكن بخصوص الحقيقة ، ليس هناك شئ مثل الحقيقة كل واحد منا يخلق الحقيقة عن طريق كتابه نص خاص بنا ونشره على العالم . هذا يسمى ما بعد الحداثة .

التفسيرات المتعددة للحقيقة

ديردا عالم لا مثيل له متخصص فى ما بعد الحداثة ويتمتع بمكانه عظيمة (ديردا 1976). انه من الأسهل أن تحل ما يعتقد ويراه تابعوه عن محاولة فهم وتحليل ما يعتقده هو شخصيا. فاز عام 66 بجائزة أمريكية عندما القي محاضرة فى جامعة هوبكتر . التي طرحت كما يلي: التاريخ بأكمله الخاص بمفهوم البناء ، قبل التمزق الذي نحن بصدد التحدث عنه ، يجب أن نفكر به على أنه سلسلة من البدائل للمركز ، وكسلسلة متصلة من الاتجاهات أو النزاعات نحو المركز بالتتابع ، وبطريقة منظمة ، المركز يستقبل أشكالا مختلفة أو أسماء . أن تاريخ الميتا فيزيقا ، مثل تاريخ الغرب ، هو تاريخ هذه الاستعارات والكنايات . نسيجها هو العزم على التواجد أو الحضور بكل ما تحويه الكلمة من معاني (الجوهر، التواجد ، المحتوى ، الموضوع) الفلسفة المتعالية الضمير ، الإله ، الإنسان وخلافة . أنا لن أضيف إلى هذا الوضوح المستنير أي تعليق . لكن الرسالة التي وصلت إلى الناس محتواها هو أن العلم ليس إلا نص بين العديد من النصوص ، لذا فإنه ليس هناك طريقة مميزة لفهمه .

منذ خمسة عشر سنة مضت ، أرسلت خطاب إلى ديريدا حيث سألته عما إذا كان يؤمن بشئ من ذلك وأشير إلى أن إجابته لم تكن واضحة وقدم قائمة تحتوى أربعة احتمالات :

1 – هو لا يؤمن إننا نتشارك نفس الكون أو العالم حيث أن كلنا نعيش فيه

2 – هو يعقد ذلك ، لكنه أعتقد أيضاً أن للعلم منافسين يحاولن فهم حقيقة العـالم . ربمـا شئ من قبيل علم الفلك ، أو أي شيئ أيا كان مسماه حسب ما يرى هو

3 – يتقبل هو العلم الفيزيائي ، لكنه يرى أن طرقه لايمكن تطبيقها عـلى السـلوك الانسـانى فى شكل العلم الاجتماعي أو علم الاجتماع

4 – هو يتقبل ذلك ، لكنه أيضا يعتقد أن هناك نوع ما مـن الحتميـة اللغويـة المتطرفـة ، مثل أن لغتنا تحدد ما تدركه أو نفهمه ، على سبيل المثال : الناس التي ليس لديها كلمة فى لغتها بمعنى برتقالي ليس بمقدورها أن تفهم أو تستوعب اللون البرتقـالي (سـميت ذلـك " افتراض ورف " وأجهل أنه يتخطى أي شئ لبنجامين ورف قد يصادق عليه) وإذا كان ليقر أي من هذه الآراء ، فالأخرى به أن يخبرنا ما معنى " الحقيقة هي نص " ولم أتلقى منه أي رد . (انظر مربع 16.1)

مجانين فى المترو

هذا لايعنى أنه لم يجد اللفظ المناسب . هذا الشئ غير وارد . أنا افترض أنـه كـان لديـه خيارات أفضل لقضاء وقته . مهما كانـت جدارتـه فـإن طلابـه وتابعيـة مسـئولون عـن الكثير . كان هناك اهتمام بخصـوص الأعـداد المتزايـدة مـن الأفـراد فى القطـار النفقـي الكهربـائي (المـترو) وهـم مجـانين بشـكل واضـح . يجلسـون ويحملقـون فى الفضـاء ويتكلمون مع أنفسهم بشكل مستمر . وسرت أشاعه (الإشاعة التي قد تكون مضلله) أن خريجا من جامعة نيويورك طُلب منـه أن يقـوم بتسـجيل مـا يقولونـه عنـدما تـم تشغيل الأشرطة وتم تضـخيم الصـوت ، وكانـت أصـواتهم مسـموعة لأول مـرة . كـانوا يتمتمون قائلين : " الحقيقة هي النص " . قد أصبحوا مجانين ، لـيس بسـبب الفلـورين الموجـودة فى المـاء ، أو السـكر الموجـود فى صلصـة الطماطـم ، ولكـن بسـبب الجلـوس والاستماع إلى المحاضرات الجامعية .

ليس هناك قابلية لتطبيق أي من الاحتمالات الأربعة للأسباب الآتية

1 – محطة الأتوبيس المحلية فى ذات مكانها فى ديريدا . ومن أجل إثبات حقيقة إننا سوف نتقابل إذا أراد كلانا أن يستقل الأتوبيس إذا أعطيته جدول المواعيد الخاص بالحافلات ولكنه يحوى مواعيد قديمة لا يعمل بها حاليا ، فإنه سيكون نفس كتابي لا يعتمد عليه بعكس ذاك الذي يحوى المواعيد الفعلية للحافلات . لن يلحق هو بالحافلة

2 – فى كل مرة يلبس النظارة ، فإنه يثبت أن نظريه الرؤية أو الإبصار قابلة للتعليق أكثر من النظريات المنافسة . يشرحون لماذا نظارته فعالة وتعمل . ليس هناك شئ أخر بمقدوره فعل ذلك

3 – عندما قام وليم سامنر رائد علم الاجتماع العظيم بزيارة بوسطن وجد أن رجال الدين بالكنيسة الإنجيلية يفكرون فى حقيقة أن اغلب العاهرات فى بوسطن كانوا إنجيليات . وكان افتراضهم أن هناك رسالة تصدر منهم دون وعيهم أثناء قيامهم بالمراسم الكنسية وتؤدى الى فساد الأخلاق . لاحظ سامنر أن الكنيسة الإنجيلية تدير أو تشرف على دور الأيتام فى بوسطن ، والخريجون من هذه الدور يحملون اسم الإنجيليين . وافترض سامنر أن البنات اللاتي ينشأن فى بيئات مجهولة كانوا أكثر عرضه للفساد الاخلاقى وأصبحن عاهرات . كانت افتراضات سامنر صحيحة حيث افترض أنه إذا قامت الكنيسة الكاثوليكية بإدارة دور الأيتام فى نيوهافن فان عددا لا بأس له من العاهرات سيصبحون حاملي لقب كاثوليكيات وباختصار ، "النص" الخاص بسامنر كان له تأثير إيضاحى أكثر من ذلك التأثير الخاص برجال الدين الانجليين .

4- إذا قدمت مثيرات قوية لأناس ليس فى لغتهم كلمه تعنى برتقالي ،فإ نهم سوف يدركون المعنى من ألوان الطيف السبعة (غير متأكدين قليلا بخصوص درجه اللون) . نحن لم نتقابل أبدا مع أناس تشكل لغتهم حاجزا قويا أمام تحديد الأماكن المعروفة للأشياء.

عندما يكتب المعنيون بما بعد الحداثة عن مبادئهم المتبعة، أليست هذه نصوص ؟ إذا كانت كل النصوص تنقصها الأهلية أو الثقة، فلم يجدر لأي شخص أن يثق بهذه النصوص؟ وإذا كانت النصوص تخضع لعدد لا حصر له من التفسيرات،فكيف لهم أن يتصدوا لتفسير شئ مثل أن ما يقولونه هو "إن البقرة قفزت عاليا حتى القمر" كيف يتسنى لهم أن يستثنوا أو يعفوا أعمالهم من كونها موضع ثقة وتحمل معنى واحد دون أن تكون كلها اعتباطية ؟

أن المختصين بدراسة ما بعد الحداثة لهم حق فى موضع يتعذر الدفاع عنه خاصة فيما تناوله أفلاطون بالدراسة بشأن هرقل . عندما قال هرقل أن " كل شئ يتغير" أجاب أفلاطون قائلاً إن تلك الكلمات التي استخدمها هرقل قد تكون فى حالة تغير ، لكن التغير ليس كافياً بشكل يجعلنا نقلق وإلا كيف يتسنى لهذه المعاني أن تكون متوازية أو دائمة بشكل كاف بحيث نفهما كلها ؟ أن السلوك المستقيم والوحيد للمعنى المتبقي بالمذهب النسبي للحقيقة الكاملة هو أن يبقى صامتاً فى هذه الحالة ، هذا أليس بيني سيئ فى الوقت الحاضر ، يتكلمون ويكتبون ويشوشون أعضاء هيئة التدريس والطلاب فى الأقسام الجامعية بدء من علم الإنسان (علم يبحث فى أصل الجنس البشرى وتطوره وإعراقه وعاداته ومعتقداته)حتى علم الاجتماع ، ومن التاريخ حتى دراسات النوع أوالجنس ومن الانجليزية حتى الدراسات الخاصة بالأفلام . يلحقون أدى أقل بالدراسيتين الأخيرتين حيث أن المحتوى الأساسي لها تين الدراستين موجود فى شكل نصوص مكتوبة أو على الأقل فى شكل إبداعات بشرية . ومع ذلك ، فإنهم مازالوا يسبون نوع من التشويش أوالارباك .

عدد لا حصر له من التأويلات لمسرحية هاملت غير قابلة للتطبيق : إنها ليست عن مراهق يعانى من حب الشباب .

كراهية كلمة

إذا كنت لا تحب كلمة" حقيقة " لأسباب خاصة ، فبوسعك أن تستبدل الكلمة بأخرى تؤدى نفس المعنى . يمكنك أن نقول إن بعض المفاهيم أوالنظريات العلمية أكثر استحقاقاً للثقة من الآخرين وهذا يعنى أنها تتنبأ بخبراتنا بشكل أكثر دقة يمكنك عندها أن تنكر أن هناك شيء مثل الحقيقة . تسجن الإنسانية فى عالم من المفاهيم والتركيبات العقلية ، لكن بعض المفاهيم والنظريات مناسبة أكثر عند الأخذ فى الاعتبار الخبرات .

بكلمات أخرى ، عندما أميزتين المفاهيم والنظريات من حيث أن واحدة تدلنا على الحقيقة أكثر من الأحرى ، فأنت ببساطة تسمى التركيبة الأولى **sub-1** ، وهى تركيبة تكون فيها من الممكن التنبؤ بالأحداث والتركيبة الثانية **sub-2** ، حيث يكون فيها من الصعب التنبؤ بالأحداث أنت قد تجنبت استخدام الكلمة التي تمقتها ألا وهى " الحقيقة " وبالرغم من ذلك ، لقد تهربت من التميز الرئيسي بين رؤية العالم العميلة تتلك الغير علمية . من أجل أن تفعل ذلك ، يتوجب عليك أن تستخدم لغة معقدة والتي لا أهتم أنا بمحاكاتها .

حتى مخبولي العقل بمقدورهم أن يعلموننا شيئاً

حقيقة إننا لا نتعلم شيئاً من مذهب ما بعد الحداثة لا يعنى أننا ليس بمقدورنا أن نتعلم شيئاً من المعنيين بمذهب ما بعد الحداثة أو المنطويين .

أولاً:- بعضهم يتميز بذكاء متقد ، والأذكياء لا يقدمون يد المساعدة ، وإنما يقولون أشياء تتسم بالذكاء .

لذا... سيكون هناك نوع من البصيرة فى نصوصهم المكتوبة ليس بسبب إتجاهم الفلسفي ولكن استخفافاً به ليس هناك فيلسوف اليوم يقبل بفلسفة هيجل عن

المطلق ، لكن هيجل قال العديد من الأشياء الحكيمة نافذة البصيرة ليس بسبب أنه هيجلى لكن بسبب أنه ذكى .

ثانياً :- أن المفاهيم المختلفة للبشر بخصوص العالم وبخصوص أنفسهم ذات تأثير فيما بعد ، سوف نرى إنه حتى المشيدون المتطرفون يفيقون شيئاً إلى نظرية العلاقات الدولية . إن النص المكتوب الذي يعده الناس عن بلادهم والبلدان الأخرى لهو ضروري من أجل فهم السلوك البشرى . أنا أعتقد أننا على علم بذلك وقديما قبل بزوغ مذهب ما بعد الحداثة، قال الباحثون أن صورة أمريكا عن نفسها وكونها متميزة قد أثرت على سياستها الخارجة لكن ربما لم يعملوا أهمتما ماً كافياً لهذه العوامل .

إذا وجدت نفسك مضطر لدراسة ما بعد الحداثة نظراً لكونك مشرف على رسالة دكتوراه تناقش هذا الموضوع فلا تبتئس . طالما استبعدت أو تخلصت من التشويش الذي يشعر بها أو تشعر به فأنت ربما تخلص إلى شيء مما يقوله أو تقوله للأسف ،عندما تكتب رسالة الدكتوراه ، فأنت ربما تستهل الأطروحة ببعض الكلام الغير مفهوم أو النقي عن النصوص المكتوبة ، والسرد وخلافة ببعض الكلام الغير مفهوم الكلام ، بعد حصولك على الدرجة العلمية ، فعليك أن تتوقف عن فعل ذلك وأكتب ماله معنى : استخدم العلم كي تفهم العالم الواقعي بدون أي أعذار .

(17)

التاريخ ، و العلم ، والنشوء: نوع واحد فقط من كل منهما

المفاهيم المضاداة (15) التواريخ البديلة، (16) العلوم البديلة ، (17) الفهم الـذكي . إذا كنت تؤمن بالتفسيرات المتعددة للحقيقـة ، فإنـه مـن المنطقـي أن تعتقـد أن هنـاك أنواعا مختلفة من التاريخ والعلم ذات قيمة متساوية ,و .سـوف أفحـص هـذه الادعـاءات بشكل موضوعي وقيل أيضاً أن هناك بديلا لنظرية النشوء ، نظرية قد تكون أكثر وضوحاً

النظرة العامة التمهيدية ! كتابة تاريخ أفضل ، التاريخ الذكورى العلـم الـذكورى ، التاريخ والتحيز ، التاريخ والأساطير، التصميم الذكي دأورين ضـد اللــه , المنطـق ، والعلـم والقيم ، فساد الشباب .

فكرة أن هناك العديد من التـواريخ ، كلهـا لهـا نفـس المكانـة أو أن كلهـا تنقصـها المكانـة الموضوعية لهو شيء سائد بين طلاب علم الاجتماع لكنه ليس مقصورا علـيهم ., و إذا كـان هذا صحيحاً ، أو لم يكن هناك تاريخ أفضل من آخر ، فمن المستحيل أن يكون هناك تقدم فى تدوين التاريخ .

لذا... سوف أبدأ بالكيفية التي تسني لتاريخ الغرب بها أن يتطور مع الوقت .

لدى بعض الناس عادة تدوين ما يحدث لهم على الورق (فهو شيء يساعد على التذكر) لكن التاريخ ليس هو ما يدونه الناس كتابياً , كما أنه ليس ما يدون فى المحكمة عن محاكمة قاتل . فكما تريد أن تعرف هل المتهم فعلاً قام بعملية القتل ، تريد أيضا أن تعرف هل الجيش الاسباني قام فعلاً بإغراق السفينة الحربية " ماين" (هذا كان الدافع لأمريكا لبدء الحرب الأسبانية الأمريكية) , وكما أنه ليس بوسعنا أن نصل إلى علم فلك كامل ومثالي ، فإنه أيضاً ليس بوسعنا ذلك فى التاريخ . لكن قد يكون بوسعنا أن نقترب أكثر وأكثر من الوصف المعتاد لماهية الأسباب الفاعلة فى ذلك الوقت عن حدوث الأحداث.

قبل فولتير ، وبعيداً عن الاستثناءات العظيمة مثل المؤرخين اليونانيين ، فإن الناس كانوا يتأثرون بأداء الممثلين الرائعين في تقمصهم لأدوار الملوك ، و الملكات ، و الجنرالات ، وباباوات الكنسية ., و لقد وضع فولتير المجتمع في اعتباره حيث لاحظ ن أن هؤلاء الرجال العظماء والنساء يحقومون بتعبئةموارد المجتمع والتي تتكون من الناس ، ولذلك فإن البشر العاديين وحياتهم والموارد البشرية التي يقدمونها شيئا ذا أهمية, كما أن ماركس مع هفواته ، جعل من المستحيل على المؤرخين أن يتجاهلوا الحقيقة بأن نظام الإنتاج والطبقات التي تنتج عن هذا النظام أمر ضروري ف الجيوش غالبا ما تصنع التاريخ ، والاقتصاد يحدد أي نوع هو ذاك الجيش الذي يطأ أرض المعركة ., فالأفراد الذين لديهم ثروة من الحيول يستخدمون سلاح الفرسان، والمجتمعات الزراعية تستخدم الفائض كي تجهز جيشا محترفا من الجنود المشاة ،كما أن الثورة الصناعية والقومية الحديثة سمحت للدولة بتكوين جيش وطني ضخم .

أثناء حياتي ، تحسنت جودة التاريخ بشكل كبير . حيث أصبح جزء منه أكثر دقة فى الثبات , و من الرائع أن تقرأ المقدمات التبريرية أوالاعتذارية التي يكتبها المؤلفون عندما يعيدون طبع سيرة ذاتية كانت قد طبعت منذ عدة سنوات

مضت .فنهم يشعرون بالحرج للأحداث الملفقة والمدبرة والتي يضيفونها من أجل " اللـون " (شعر موتزارت بالفرح وأرسل ولدا لشراء مشروب البـانش ") وكـذلك يشـعرون بـالحرج من إضـافة بعـض التخمينـات أوالتوقعـات (عنـدما رأى نـابليون الـذي وقـع تحـت الأسر شواطئ فرنسا تختفي عن الأنظار، عاد به فكره إلى المجـد الـذي خلفـه وراءه ") ., والآن ،يتأكد الفرد منا أن كل الأفكـار قـد بنيـت عـلى يوميـات وكـل المحادثـات اعتمـدت عـلى نصوص مكتوبة .

الآن نـرى أن التـاريخ هـو تـاريخ كـل المجتمعـات، فكـل مغالطاتنـا عـن عمـل المجتمعات أصبحت واضحة عندما كنت صغيراً ، درست أن تشارلز العظـيم (742- 814) كان له كاريزما وكانت شجاعته العسـكرية السـبب وراء توحيـد فرنسـا وأوربـا الوسـطى ، وإيطاليا إلى ما يشبه عودة الإمبراطورية الرومانية فى الغرب ," القليلون كـانوا يسـتطيعون منافسة ذلك القائد القوى الجبار " اليوم ،ولما كان الاهتمام ينصـب عـلى اكتشـاف طريقـة جديدة لحرث الأرض فى أوربا الشمالية . فقد أعطى هذا تشارلز المحصول الفائض والـثروة اللازمة لتكوين أكبر جيش على وجه الأرض و أتاح الفرص لتغذيـة وتربيـة عـدد أكـبر مـن الجياد ، لذا..أصبح لديه سلاح فرسان ليس بمقدور الأوربيين الجنوبيين إن يمتلكو مثله .

التاريخ الذكورى

لم يكن كله تقدما, فمفـاهيم الطالـب بخصـوص التـاريخ قـد يشـوبها عـدم الوضوح بسبب الحديث عن التـاريخ الـذكورى والتـاريخ الأنثـوى،و تـاريخ الغـرب ، وملكيـة النـاس لتـاريخهم ، باكيهـا (الأوربيـون فى نيوريلانـدا) ومـا ؤرى (السـكان الأصليون اليولينيزين) ، وما إلى ذلك . ليس هناك شيء مثل التاريخ الـذكورى لوكـان الذكور هم فقط الذين يدونون التاريخ ، فمن المحتمل أن يدونوا الكثير عـن الرجـال ويلبسون غمامات بعينهـا , هـذه الأشـياء تـؤدى إلى تـاريخ غـير دقيـق ,فـإذا تركـت

النساء، فإنك تترك الناس الذين يشكلون نصف المجتمع . و لما كان الرجال لديهم ولع بالحروب فإن المؤرخين من الرجال ربما يعطون الجنرالات دورا أكثر أهمية .

بفضل المؤرخات من النساء، اصبح التاريخ أقل محدودية فيما يتعلق بأصحاب الانجازات (الانجازات الأنثوية أكثر) , و النظريات والرؤى التي تسمح لنا بتفسير الأحداث (تاريخ إجتماعى بشكل أكبر ، وعسكري بشكل أقل) لكن هذا أدى بنا إلى تاريخ أفضل ، وليس هناك شيء خاص يدعى " تاريخ النساء " . فالتاريخ السليم ، أيا كان من يدونه ، يجب أن يعتمدعلى الدليل، ويجب أن يفسر الأحداث فى ضوء أفضل علم طبيعي إجتماعى متاح لدينا وهذا يتضمن أن تضع نفسك مكانهم وترى العالم كما يرونه تماماً . إن الرجال والنساء مجتمعين أفضل من أن يعمل كل منهم بمفرده لذلك ، فإن التاريخ المدون من قبل رجال ونساء يعتبر أفضل من تدوينه من قبل رجال فقط أ أونساء فقط , و أوكل تدون تدوين التاريخ الانسانى إلى سكان المريخ فسوف يؤدون ذلك بشكل بالغ السوء.

لا أريد أن أؤكد كثيراً على"المشاركة الوجدانية" , فكلنا من خلال القراءة والتخيل ، يمكننا أن نزيد من قوتنا علىالمشاركة الوجدانية مع الآخرين , فالرجال بوسعهم تخيل كيف يمكن أن يكون الحال عند النساء حال الاغتصاب وعلى الرغم من أنني لم أعمل مطلقاً فى منجم ، لكن بوسعي أن أتخيل كيف يمكن لصبى ذي أربعة أعوام أن يجلس على الصخور لمدة 12 ساعة فى الظلام , إن هؤلاء الذن لا يستطيعون المشاركة الوجدانية غالباً ما يكون لديهم نية مبيتة إذ تشعر إنجلترا بوخز الضمير بخصوص الأير لنديين الذين عملت علي الحط من إنسانيتهم . ففى رواية" بانش" تم تصوير الايرلنديين على أنهم ليسوا مثل الزنوج ، ولكن مثل الحيوانات التي تشبه الشمبانزى , و كان البعض فى مجلس اللوردات يفضلون ألا يعترفوا بوجود المجاعة العظمى , و يقولون أن الأير لنديين لم يكونوا يتضورون جوعاً ، لكن كانوا يموتون من مرض الفم الأخضر " . كان ذلك بسبب أن الناس وصلوا إلى حد من اليأس دفعهم إلى أكل النجيل الأخضر والذي حول أفواهم إلى اللون الخضر .

يصلح تطبيق كـل مـا ذكرتـه بشـأن التـاريخ الـذكورى عنـد الحـديث عـن العلـم الذكورى ، والقلب الذكورى ، وخلافه . وكما رأينا فإن علم الفلك قد دفع ثمـن حقيقـة أن اليونانيين والمعجبين بهم كان لديهم شيء أقرب إلى الاحتكار . ولمئات السـنين ،أدى ارتبـاط اليونانيين بمدارات الأجرام السماوية إلى عدم إدراك أن الكواكـب لا تتحـرك فى مـدارات و قد تم إحراز تقدم عندما قام الألمـان والإنجليـز برسـم خـرائط للسـماوات وكـذلك عنـدما توفرت معلومات كشفت النقاب عن مدارات يصعب التنبؤ بها . لكـنهم لم يخترعـوا نوعـا جديدا من العلوم والذي يمكـن أن نسـميه علـم الفلـك الانجليـزي أو الالمـانى . هـم فقـط اكتشفوا نظريات أفضل عن كيفيه علم الأفلاك السماوية وتم اختبار ذلك بـنفس الطريقـة العلمية المستخدمة فى الماضي وما زالت تستخدم حتى الآن .

لا يعنى هذا أن ننكر انه بوسعنا أن نحرز تقدما فى فهم الطريقة العلمية وكيفية استخدامها . حتى جاليليو اعتقد أن روعة الرياضيات والمنطق لديـه كفيلـة بإثبـات صـحة اكتشافاته ، ولم يعتقـد أنـه يتوجـب عليـه أن يختـبر افتراضـات تلـك النظريـات فى مقابـل التجربة , قال جاليليو إنه قام بعمل التجارب فقط من أجل أولئك الذين لم يكن بوسـعهم متابعة العمليات الحسابية .

تماما مثل التاريخ ، لو أن مجموعة محدودة قامت بممارسـة ودراسـة علـم مـا ، فـان ذلك لم يكن ليحقق نجاحا ملموسا . خـذ عـلى سـبيل المثـال ، الطـب ، العديـد مـن النساء يقمن بعمل أبحاث قد تؤدى إلى بزوغ نظريات جديدة ، وافتراضـات جديـدة ، وأبحاث أكثر عن أمراض النساء ، وتصور جديد لمعاملة المرضى ،باعتباره فنا يتطلـب المشاركة الوجدانية ومعالجة الشخص ككل وليس الطرف المصاب فقط . ولكـن عنـد تجربة النظريات والافتراضـات أو القيـام بدراسـات متابعـة لتـأثير العـلاج ، فـان

نفس الطريقة العلمية سيتم تطبيقها بـالرغم مـن احـتمال وجـود نـوع مـن الانحـراف أو المحاباة عند قراءة النتائج , فالتطور فى ممارسة العلم لا يعطينا علما بديلا .
النازيون لم يفكروا بشـكل واضـح . وبـالرغم مـن ذلـك ، و عنـدما تحـدثوا عـن الفيزيـاء اليهودية ، لم يكونوا يقصدون أن اليهود قد توصـلوا إلى بـديل للطريقـة العلميـة . لكـنهم قصدوا أن العلماء اليهود كانوا أكثر براعة من العلماء الآريين (الهندي اوروبى) حيـث إنهـم طوعوا العلم ليصل إلى الهدف المنشود . على سبيل المثال ، كانـت عقـولهم منصرفـة فقـط إلى مايراه العالم الحقيقي بمعنى أنهم كانوا يعتقدون أن مركز الأرض كان مملوءا بالجليد (ليس نوع معين من الجليد ، لكن الجليد المعتاد)

التاريخ والتحيز

إن الحقيقة التي تقول بأنه لايمكن تدوين أي تاريخ بدون تحيز هي مسألة ذات دلالـة, و الحل لهذه المعضلة هو أن نحاول أن نقلل من ذلك التحيز إلى أقصى قدر ممكن و قـد تكون قراءة نصوص تاريخية مختلفة بداية موفقة على سبيل المثال . عيسى كان فى الأصـل يهوديا , لذا فإنـه مـن المنطـق أن نقـرأ لمـؤرخين يهـود حتـى لـو كـان الفـرد نشـأ وتـربى كمسيحي فالمؤرخون اليهود يرون المسيح على أنه رجل تقي لم يفكـر فى أن يكـون الهـا أو يكون المخلص المنتظر ، كان المسيح يعتقد أن لديه مهمة عليـه انجازهـا إلا وهـى تحـذير اليهود أن قدوم المخلص المنتظر أصبح وشـيكاً وإن علـيهم تطهـير أنفسـهم ، لـيس فقـط بأتباع الشرائع ولكن بطهـارة قلـوبهم وصـفائها , و بـالطبع يتحـدى البـاحثون المسـيحيون هذه الاستنتاجات . وما اقصده هو فقط أننـا يجـب إن نشـكك فى إننـا ضـحايا للتحيـز أو المحاباة ويجب علينا إن نبحث عن ترياق مضاد لذلك التحيز .

كل واحد منا لديه نوع من الانحراف عن الجادة ، لكن البعض يكونون أكثر تحيزا وتعصباً من الباقين , ولو أن هناك يهوديا مدعى عليه (متهم) فى المحكمة ، فإن الجندي الالمانى لديه احتمالية أقل فى أن يكون شاهد عدلمن أن يكون شخصا متسامحا معروفا بشكوكه وارتيابه من الحقيقة . إن الحقيقةالتي تقول بأن التاريخ المدون بشكل مثالي يستحيل وجوده لا تشكل عائقا أمام إمكانية أن تكون أفضل مؤرخ .

التاريخ والأساطير

أن الشعوب لديها أساطيرها الخاصة بها عن الماضي ، لكنها لا تشكل تاريخا من أي نوع ، وعلى الرغم من أن المؤرخ الأصيل قد يجد فى هذه الأساطير بعض الحقائق فإن معظم الناس لديهم فكرة مسبقة وخلفية شفهية عن الماضي ، وكلنا نعلم كيف يتم تحريف الحقائق حتى عندما يروى الناس ماشاهدوه بأم أعينهم . فهناك منطقة فى الصين يعتقد الناس هناك أنهم ، على الأقل جزئيا ، ينحدرون من سلالات من جيوش الاسكندر الأكبر ،وقد أثبتت تحليلات الحمض النووي للخلايا (**D.N.A**) أن اعتقادهم هذا لا أساس له من الصحة ,ومع ذلك ، فإن الأساطير ربما تحوى معلومات وثيقة و مهمة على التطور الثقافي , و ربما تظهر الحكايات عن إناث الآلهة بعض الثقافات الأنثوية التي تختبئ خلف الثقافات الذكورية الحديثة

يؤكد البعض على فكرة أن للتاريخ وظيفة مختلفة لدى لشعوب ما قبل الصناعة , ومهما كانت دقتها فهي تبدو لهم أكثر واقعية من أي تاريخ قد يراه المؤرخ الغربي . أنها تعطى لهم فكرة عن ماضيهم والذي يربطهم جميعا معا مثل تلك الأسطورة التي تقول أن كلهم ينحدرون من سلالات تنتمي إلى جد عظيم معروف و ربما تعزز مكانتهم فى الكون , فأساطير زدنى تؤكد على وجود نوع من التناغم بينهم و بين الآلهة و الطبيعة و كذلك تربطهم أساطير دوبو بالآلهة بنفس

الطريقة التي تربطهم يبعضهم البعض ، خليط من الحب والكراهية, ماذا يمكن أن يكـون حقيقياً أكثر من ذلك ؟ كيف يحق لنا أن نفرض فكرتنا على الحقيقة على ثقافتهم ؟
الرد على ذلك ، تم التنبؤ به مسبقاً . منذ عدة صفحات سبقت ، سمحنا للناس باسـتخدام كلمات بطريقة معينة طالما لم نفقد الاختلافات ,لقد استطاعوا استخدام التركيبة **SUB-1** وكذلك التركيبة **SUB- 2** للتمييز بين النظريات التي تكون أكثر أو أقل تتبوءا بتجاربنا إذا أرادوا التحدث بهذه الطريقة . الآن سنتركهم يستخدمون تـاريخ التركيبـة **SUB-1** وكـذلك تاريخ التركيبة **SUB- 2** . الأولى تبدو أكثر مصداقية حيث أنها تتعلق بالأحـداث التـي مـر بها الناس فعلا عبر الزمن ، والثانية أكثر مصداقية من حيث أنهـا تجعـل النـاس يشـعرون بارتياح نحو المغزى من حياتهم . هذا يعنى أنها ذات مغزى عـاطفي بالنسـبة لهـم . إنهـا الفرق الذي نحدثه عندما نقول " أنا أريد أن أعرف حقاً ماذا يحدث " من ناحية ، وعندما نقول " أنا وقعت فعلاً فى الحب من ناحية أخرى (انظر الإطار 1/17)

مربع17/ 1 متجمدلدرجة الخطر

من السهل أن تجعل الناس يتحدثون بطرق عربية ن أ تعلم يتصرفـون غرابـه بيرتدانـد رابيلز علق على حدود الإمبراطور حتى لوكان فى قسوة ، وعنف ستالين . لو قال سـتالين أن النار تجمد الأشياء وإن البرودة تحرق الأشياء ، فإن كل واحد وف يدعى أويستجيب على المستوىاللفظى . فأنت تتحدث عـن وضـع شيء فـوق الموقـد كي تـبرده ووصـفه فى الثلاجة من أجل تسخينه . لكن لن يضع أحدهم فى الحقيقة براد الشاي فى الثلاجة من أجل أن يغلى الماء بداخله لعمل الشاي أنه أي واحد لم يحاكى لغة متتالين ربمـا يكـون " متجمد فوق المدخنة "

هذا شأنه أن يسعد هؤلاء المهتمين بالكلمات . فنحن نتجنـب الجريمـة اللفظيـة المتعلقـة بقول إن التاريخ الغربي أكثر واقعية من التاريخ الفلكورى , و بالأخرى ، يفضل أن نقول إن الأنثيين متخلفان ببساطة ، وحقيقيان مـن منظـور عـدم جـدوى عقـد مقارنـة بيـنهما, و يكفي جدا الا يعتقد أحد أن التاريخ الغربي يعتبر سردا أفضل مما حدث بالفعل .

التصميم الذكي

تناول القس توماس اكو انس قضية عدم وجود سلسلة لا نهائيه من الأسـباب التـي ترجـع إلى الماضي ، بل كان هناك سبب أول غير معروف هو أصـل كـل الأشـياء بمـا فيهـا الزمـان والمكان .ولقد بني أساس مجادلاته الأخرى على وجود الإله وعلى حقيقـة أن الكـون يظهـر دلائل تشير إلى تصميم مبدع و من العجب ان هذه المناقشات لم يتم نشرهـا حتـى الآن., فنظريه الانفجار الكبير تفترض ان هناك صفة استثنائية أو فريدة أدت إلى انفجـار أدى إلى وجود العالم بأكمله الذي نراه حولنا وقبل ذلك العالم لم يكن هناك زمـان ولا مكـان, إذ إن نمط ذلك الانفجار والقوانين التي حكمت ما حدث بعد ذلك توازنـت بشـكل دقيـق وادي ذلك إلى وجود عالم المجرات والنجوم والكواكب وكوكب يصلح للحياة , ويـزعم الـبعض أن هذا يتضمن وجود عقل أو فكر أبدع كل هذا عن قصد .

ليس هذا كتاب في اللاهوت, و أترك للقراء تمحيص الادلة التقليدية و الحديثة عـلى وجـود إله, و لكن علينا ألا نخلط بين اللاهوت القائم على العلم و بـين العلـم نفسـه, فالنظريـة العلمية تتولد عنها تنبؤات قد يثبت زيفها فيما بعد في حين لا يحدث هذا مع اللاهوت.

حتى لو كان صحيحا أن هناك تصميما بارع وراء القـوانين التـي تحكـم الكـون ،فـإن هذه الحقيقة لا تضيف شيئا لمعرفتنا لمحتوى هذه القـوانين, و حتـى عنـدما لا نجـد تفسيرا علميا لمظاهر الكون ، فان الاجابة هي إنها ربما تكون نتاجـا لتصـميم بـارع لا

يمكن تفسيره علميا . هؤلاء الذين يدافعون عن التصميم البارع كونه بديلا لنظريـة دارون الخاص بالنشوء ، أو أن علم الإبداع أو الخلق هو ترياق أو علاج لعلم الكفـر أو الإلحـاد . لا تحاول أن تفهم ذلك لأنه يعنى أن مبادئهم تنتمى إلى فئة الدين وليس إلى فئة العلم .

نظرية داروين

تفسرنظرية داروين السبب في أن الفراشة الصقر لها موخرة تشبه رأس الثعبان (انظر شكل 1/17,و الطيور هي الملـتهم الـرئيسي لليرقـات، ولكنهـا تـخشى الثعـابين .و فى الأصل يعتبر التشابه مع ثعبان من قبيل الصدفة ،و هو أمر نادر .ولكن بعد عدة أجيـال ، فان يرقات الفراشة التي تحمل الشبه الأقرب اصبحت تميل إلى البقـاء مـن اجـل التكـاثر ، وأصبح الشبه الأكثر دقة مسيطرا على هذا النوع .

ما إذا كانت هي إرادة الإله أن يكون ليرقات الفراش نهاية تشبه الثعبان وان هذا يزيد من إدراكنا وفهمنا لجلال الـلـه، فأنا أترك الإجابة لهؤلاء الذين يعتقـدون أنهـم يعرفـون تـدبير للكون. أنا اعتقد إن هذا لا يجدي. ولكن على على أيه حال، إن محاولة معرفة تدبير الـلـه للكون لن يضيف شيئا مطلقا إلى التفسير العلمي.

تعتبر نظرية داروين مفيدة ليس فقط لأنها تفسر الحقائق التالية للأحداث ، لكنها أيضاً تنتج افتراضات دقيقة بشكل يسمح باختبارها وتجر بتها . عـلى سـبيل المثـال إذا وجـدنا منطقة معزولة يتوافر فيها يرقات الفراش والطيـور لكـن لا يوجـد ثعـابين ، فإننـا نتبـأ أن التشابه موضع الدراسة لن يتواجد . الآن، تخيل أننـا نجهـل دور التنكـر البيئـي فى البقـاء وبالرغم من نظرية دارون ، ليس هناك تفسير لسبب وجود الشـبه مـع الثعبـان فى بعـض الأماكن وعدم تواجدها فى أماكن أخرى و إن استخدامنا لذلك الفشل كعذر للقـول "حسـناً أنها تدابير إلهية " فإن هذا لا يغير هذه الظاهرة . إذا كان هنـاك يرقـات تشـبه الطـائرات فيمكنا أن نقول أنها إرادة الـلـه .

على مر التاريخ الانسانى ، كان لدى الناس عادات أشد قذارة من تلك إلتـى لـدى الكلاب والقطط . و تفترض نظرية التنبؤ أننا تنحـدر مـن ثـدييات متقدمـة كانـت تسـكن الأشجار وكانت تدع فضلاتها تسقط على الأرض إذا قلنا أن هذه هي إرادة اللـه أن يجعل الناس أقذر من القطط والكلاب ،فإن هذا أمر غـير مقنـع و إذا اكتشـفنا أن القنافـذ التـي تمشي على قدمين تأكل معدن الحديد فكيف يتسنى لنـا أن تفسـير ذلـك . نفـس الإجابـة على كل تساؤل . نحن بحاجة إلى تفسير علمي لكل ظاهرة فالوظيفة الرئيسة للعلم هي أن يفسر ويعلل لماذا تبدو الأشياء بهذا الشكل و لا تبدو بشكل آخر .

أن تدريس نظرية التصميم البارع فى حصة العلوم كبديل لنظرية دارون يعد تعلـيما غـير مجدي فهذا يعوق فهم العلم وما يختص به . هـذه الطريقـة قـد تسـبب الابتهـاج عنـد فشل العلم لأنها تتعارض مع تدابير اللـه, و عموما, من يقوم بتدريس أي موضوع بهذه الطريقة ؟ ليس هناك أحد يقوم بتـدريس الهندسـة ويتصـور أنـه مـن المفيـدان نقـول أن سبب وجود جسر معلق هو أن هناك مبدع قام بتصميمه كما أن الطلاب يبغون أن يعرفوا مبادئ وخطوات بنائه، بمعنى ، كيفيه بناء كوبري معلق بدلاً من الكوبري العـادي . لـيس هناك معلم هندسة يصيح فرحا عندما لا يستطيع أن يشرح كيف يتم بناء الكباري, هـذا المعلم ربما يدرس شيئا ضد الهندسة وليس الهندسية أن نظرية .

آخر كلمة هي لجاك هالدين (1892- 1964) عالم الأحياء البريطاني العظيم . عندما سئل عما كشفت عنه دراسته للطبيعة بالنسبة لفهمه لتدابير اللـه ، أجاب قـائلاً : ولعا شديدا بالخنافس .

هؤلاء غير المعنيين بالأديان يؤكدون على حقيقة مفادها أن العلم يصبح ذا جدوى إذا كانت لديك قيم معينة وجرت المناظرة كالآني : القيم شيء شخصي والعلم يفترض قيما معينة ، إذن فإن العلم ذاتي وغير موضوعي , و هناك كلمة حق فى هذا الموضوع ، لكنها لا تضعف الدور المفضل الذي نوليه للعلم فى البحث عن الحقيقة .
لا يقوم الناس المحايدون من ناحية القيم بدراسة ألعلم لأنهم لن يفعلوا أي شيء سوى الجلوس دون حراك فى أي جانب , و هناك أناس قليلون على هذه الشاكلة ، لكن بعض الناس لديهم قيم تجعلهم يفضلون نظريات ما قبل العلم عن الكون ، فى حين أن هناك آخرين يفضلون الخرافات مثل علم التنجيم . العديد من الناس يقبلون العلم على غرابته : إذ يتجاهلون بعض النظريات العلمية بعينها ، أقصد ، تلك التي تتعارض مع شيء يقدرونه مثل الكتاب المقدس أو أرائهم المتعلقة بالجنس البشرى , و هناك من يقول إن ممارسي العلوم قد يكون لديهم تحيز عن وعي أو عن غير وعي , أو أنهم يحبون المدارات الخاصة بالأجرام السماوية ، أويفضلون الرجال على النساء وهذا يجعلهم يطوعون العلم لميولهم . حتى الشهود فى المحكمة وهم يعتقدون أنهم يشهدون بالأشياء التي رأوها بالفعل ، قد ينحرفو ا عن الحقيقة .

ومع ذلك ، وكما رأينا ، فإن العديد من الأفراد يقدرون العلم, لذا فإنه عبر عده قرون أصبح لدينا تقدير تقريبي أفضل للحقيقة . العديد منا يسعد لهذا ، أولم تكن كذلك ، فما عليك إلا أن تستخدم طريقتك غير العلمية الخاصة بك لكن يجب عليك أن تدرك أنه بعدم تقديرك للعلم ، فإنك تدفع ثمناً باهظاً لا يحب أحدكم أن يدفعه فى المحكمة : الاقتراب من الحقيقة بالقدر الذي يستطيعه كل الناس مع كل أخطائهم , وبالرغم من عنصر الحيادية تجاه القيم ، فإن العلم له تأثير حيادي رائع ويجمع معاً هؤلاء الذين يقدرونه . ليس بإمكاني أن أجبرك على استخدام كاميرا عندما تريد الحصول على صورة فوتوغرافية دقيقة قدر الإمكان لشيء ما

.لكن إذا كان لدينا صورة لحدث ما ، فإن هذا مـن شـأنه أن يحـل العديـد مـن المشـكلات التي قد تظهر لاحقاً .فعلم الفلك يأخذ العديد من الصور التي من شأنها أن تحـل العديـد من المعضلات بخصوص الأفلاك السماوية .

إن الحقيقة التي تقول بأن شيئا ما غير مقدر أومبجل على مسـتوى العـالم تقلـل مـن شأن حقيقة أنه أفضل طريقة لأداء مهمة معينة, وفى حالة العلم فـإن هـذه المهمـة هـي زيادة وتعزيز المعرفـة الإنسـانية , أن الجـدال حـول أن العلـم غـير موضـوعي لأن التحيـز الشخصي ينحرف ويشوه ممارسة العلم لهو متغير فيه جدال معروف , فالعلم نسـبى مـن الناحية الاجتماعية ، بمعنى أنه يعكس التحيزات المميزة للأفـراد فى ثقافـة معينـة فى وقـت معين . وقد تناولنا ذلك بالفعل سواء كان بشكل شخصي أومن قبل مجموعـة فـإن التحيـز أوعدم الموضوعية تؤدى بنا إلى علم غير صحيح ، لكن توفير العلم يعد شيئا إصلاحيا وقويا أوذا تأثير على المديء البعيد وأتمنى أن أكون قد أقنعتك أن أي تحامل لـديك ضـد العلـم ، إلى الدرجة التى بوسعك الوصول إليها . سوف يجعل منك مفكرا نقديا سيئا .

إفساد الشباب

إن الخلط بين العلم والتاريخ مقسـم بـين الكنـائس الظلاميـة القديمـة والأكاديميـات الحالية , فالكنائس تتكلم عن التصميم الابداعى كعلـم بـديل ، وبعـض المحـاضرين بالجامعات يزعمون أن الحقيقة هي نص وهؤلاء ليس لديهم عـذر إذا قـالوا كلامـا فارغا فالجامعات تعـد سـاحات تقـوم مـن أجلهـا الحـروب . أنهـا مسـابقة أوحليـه تنـافس تضـم هـؤلاء الـذين يحـاولون مسـاعدة الطـلاب عـلى فهـم العلـم وكيفيـه استخدام العقل والذي يقال فى حقهم هو أن كل طالب يأتي فى صفهم هـو فى حاجـة إلى خبره وتجربة وإنه لشيء يرجع لنا أن نقوم بتحديد خطأ هذه الطـرق الخاصـة بهـم

حتى يتسنى للطلاب أن يفكروا بوضوح وصفاء ذهن وينتقوا كلماتهم ويحصـلوناعلى شيء ذا قيمة .

(18)

فهم الأمم ـ فهم أي شخص

المفاهيم الدالة : الصالح الوطني ـ الشخصية الوطنية العلاقات الوطنية : هذه المفاهيم الثلاث تنبع من ثلاثة نظريات في العلاقات الدولية ، وتقدم في مجموعها الآليات التي تساعدك على ملاحظة العوامل التي تؤثر على السياسات الخارجية لدى العديد من الدول.

سوف أبدأ بتحليل للنظريات الثلاث الرئيسية للعلاقات الدولية السائدة في عصرنا الحالي ، وكما تبين المقدمة ، سوف استعير المفاهيم منها ولن أفضل إحداهما على الأخرى كما أوضح الخلفية النفسية التي تقوم عليها تلك المفاهيم وفي الفصل التالي سوف أختار أربعة نماذج للسلوك الوطني لكي أتأكد من أن المفاهيم قد أحدثت فيها تغييرا .

الواقعيـــــة

تعتبر العلاقات الدولية من منظور الواقعية منافسة بين الدول ، وبالنظر إلى التاريخ يتضح أن الأمم التي تتجاهل توازن القوى ولا تعي مصالحها الخاصة عادة ما تتبع سياسات لا تفيدها ولا تفيد الآخرين ، وكما ترى فإن الفلسفة الواقعية لا تدعي أن الأمم تراعي مصالحها فقد ترتكب أخطاء أو تتجاهل بنتائج تصرفاتها وقد تحول سياساتها الداخلية دون القيام بما هو أفضل ، ويشار إلى أن الواقعية السياسية لا تنكر أن الأمم تسعى إلى أن تضع مبادئ من شأنها أن تتجاوز مصالحها طالما أن تصرفاتها لا تتعارض مع توازن القوى ولا تدمر مصالحها بطريقة تعرض أمنها

للخطر ، وتشير النظريات الأخرى للعلاقات الدولية إلى أن القراءة الواقعية للتـاريخ أمـر في غاية البساطة .

الليبراليـة

تبين الليبرالية أن الواقعية تتجاهل درسا مهما ، فالقوة النسـبية للأمـم أقـل تنبـؤا بسلوكها من مسألة اشتراكها في ثقافة واحدة أو أنها تعتمد اقتصاديا على بعضها البعض أو أن لديها جميعا حكومات ديمقراطية لـذلك ، لا تحتـاج دول معنيـة لأن تنظـر إلى بعضـها البعض على أنهم أعداء بل عليها العمل على تحقيـق أهـداف تعاونيـة ويبـدو أن الجانـب المظلم في هذا الموضوع هو أن الدول التي تنقصها الثقافة الملائمة أو النظـام الاقتصـادي أو المؤسسات الديمقراطية قد ينظر إليها على أنها خطيرة .

ويفسر البعض ذلك على أنه يعني أن الـدول الديمقراطيـة لـديها رسـالة ألا وهـي بناء الدول بمعنى أنها تحول الدول الفاشلة أو الخطرة إلى دول أفضل ، وعلى أيـة حـال ، لا تقتضي قراءة الليبرالية الأولى للتاريخ منطقيا ذلك الاستنتاج ، فما هي إلا افتراضات تعتمـد حقيقتها على مزاياها ، فقد تكون محاولات بناء الأمم مستحيل تقريبا وعديمة الجـدوى ن فإذا لم ين المجتمع نفسه في صورة دولة قابلة للحياة فمن غير المحتمـل أن يقـوم الغربـاء الذين يعوقهم الجهل من القيام بشيء أفضل .

ثمة افتراض آخر يعتمد على ديمقرا طيات لا تعادي بعضها بعضا ، ولـذلك لا تشعر الديمقراطيات الضعيفة بأنها مهددة من قبل الديمقراطيات القوية بـل تسـعى إليها من أجل التعـاون والمسـاعدة ، وتعتـبر معظـم الـديمقراطيات الحقيقيـة نتاجـا للقرن العشرين وسوف يخبرنا الزمن باحتمال لجوئهـا لقتـال بعضـها الـبعض عنـدما تحدث بينها منافسة على البترول والمياه ، لقد اندلعت الثورة الفرنسية منذ مـا يزيـد على 200 سنة ولكن عندما عبر شل شـوان لاي ـ رئـيس وزراء جمهوريـة الصـين

الشعبية عن رأيه في أهميتها ومغزاها رد بقوله " من المبكر جدا أن أخبركم بأهميتها " , ولا يشك أحد في أن ديمقراطية مثل الولايات المتحدة الأمريكية تحترم الحكومات ذات التوجه الديمقراطي والتي قد تكون ديمقراطية ناشئة ، وفي أمريكا اللاتينية ، ساعدت الولايات المتحدة في الإطاحة بالحكومة المنتخبة ديمقراطيا في جواتيمالا (الرئيس جاكوبو ارينزجوزمان) وشيلي الرئيس سلفادون الليندي) كما أحبطت الحركات الشعبية في بورتوريكو والفلبين ونيكاراجوا ، ولأن هذه الدول كانت صغيرة وقابلة للانكسار فقد استخدمت أمريكا أسلوب التخريب وليس المجاهرة بالعداء الذي كان يبدو على أنه إعلان للحرب ، والاستثناء الوحيد كان قمع اميليو أجينا لدو في الفلبين الأمر الذي تطلب حربا شاملة استمرت ثلاث سنوات وكلفت الكثير من الأرواح بين القلبيين .

على أية حال ، تعتبر الملاحظة المبدئية لليرالية سليمة ، إذ ليس هناك شك في أن الأمم لها حلفاء طبيعيون بحكم التشابه في نظام الحكم والمؤسسات والاعتماد المتبادل ، ومن الأمور التي لا يجوز مجرد التفكير فيها ـ على الأقل في وقتنا الراهن ـ أن تنشب حرب بين الولايات المتحدة وكندا و استراليا ونيوزيلاندا أو أي من الأعضاء الحاليين في الاتحاد الأوروبي (ليست تركيا أو صربيا أعضاء في الاتحاد الأوروبي حتى الآن) وسويسرا والدول الشمالية .

البنائيـــــة

تتناول البنائية رسالة مهمة أخرى في التاريخ ، فالسلوك البشري غالبا ما يتشكل بفعل إحساسنا بالذاتية والذي يعتبر نتاجا لقيمنا وأخلاقنا وثقافتنا ومؤسساتنا وتاريخنا ، كما أن الليبرالية بما لديها من فلسفات فضفاضة كالرأسمالية والديمقراطية تفتقر إلى الدور الحقيقي للمثل المشتركة ، فكل دولة عبارة عن كيان اجتماعي متفرد قادر على التحول بفعل تطور المفاهيم والممارسات الاجتماعية ، وبإنكار ذلك لا يمكن للواقعية أن تبرر سلوكا معنيا لأية دولة مثل

التزام أمريكا تجاه إسرائيل والذي ليس له معنى من منطلق المصالح الأمريكية أو بسبب حقيقة أن إسرائيل دولة ديمقراطية ، إن وجود إسرائيل هو نتاج الشخصية اليهودية.

لقد تسببت الشخصية الايرلندية في حرب يتذكرها القليلون في أمريكا ولكن يتذكرها الكنديون جيدا ، فبعد الحرب الأهلية الأمريكية مباشرة حاول فرع إيرلندي أمريكي من طائفة الفينيانز غزو كندا ، وكان غرضهم تأسيس جمهورية ايرلندية وتساوم بريطانيا على كندا من أجل استقلال ايرلندا ، وقام مئات الآلاف من المهاجرين الايرلنديين بشراء سندات تسترد بعد الاعتراف باستقلال ايرلندا بستة أشهر ومن ثم تم شراء كميات هائلة من الأسلحة، وكان الجنود الايرلنديون الأمريكان في الأساس من الجنود السابقين في الحرب الأهلية .

الغــزو الايرلندي لكندا
لقد كسب الايرلنديون عدة معارك ففي عام 1866 عبر العقيد جون اونيل نهر نياجرا (الحدود الدولية) على رأس ما يقرب من 1000 رجل واستولى في وقت قصير على حصن إري حيث تغلب على القوة الكندية في موقعة ريدج واي ، ولكن تم وقف الغزو عندما اعترضت الولايات المتحدة خطوط امداداتهم وقبضت على 3000 مقاتل كانوا يحاولون عبور النهر إلى كندا ، وقامت الحكومة الأمريكية بشراء تذاكر قطار لهؤلاء المقاتلين الايرلنديين لكي يعودوا إلى ديارهم إذا ما تعهدوا بألا يقوموا بغزو أية دولة من داخل الولايات المتحدة الأمريكية .
في عام 1871 خسر الايرلنديون معركة في مانيتوبا حيث استطاع رجال الاستطلاع أن يكتشفوا خططهم و ذلك بفضل جاسوس خائن وبالتالي تمكن الفرسان المتطوعون من تعقبهم ، وفي أكثر الغارات إثارة في ذلك العام تمكن أويل من السيطرة على موقع يدعى شركة خليج هدسون والذي اعتقد أنه يقع في الأراضي الكندية ولكنه كان في الواقع ضمن الأراضي الأمريكية ، ولقد ظهر تأثير البنائية حيث لم تتسبب أية شخصية في حرب غريبة كهذه مثل الشخصية الايرلندية .

ليس هناك شك في أن الدولة الأمة تمثل كيانا اجتماعيا ، فأهل الاسكيمو بالقطب الشمالي ليس لديهم فكرة عن الدولة الأمة حيث يفهمون القتل لأسباب شخصية ولكن لا يفهمون الحرب التي تقتل يها أولئك الذين لم يتسببوا في أي ضرر لك ، فأقصى ما يمكن أن يفعلوه هو نوع من الشجار داخل أحد السيارات ، إن جينكيز خان (1162 ـ 1227) لم ينظر إلى غزواته على أنها مسالة وجود سياسي ولكن على أنها ملكية توزع بين ورثته ، وكان جيشه هو أكبر أصوله حيث كان يقدر عدده بـ 130000 فرد ، وأوصى بـ 100000 لأصغر أبنائه تولوي ووزع البقية بين أبنائه الآخرين ووالدته واخوته وأولاد اخوته وأحفاده.

إن الفلسفة البنائية فلسفة جديدة لدرجة لا يمكن القول بأن هناك بنائية حديثة ولكن هناك فرق بين البنائية بصفة عامة والبنائية الراديكالية ، فالأخيرة ترفض الاعتقاد بأننا نعرف الحقيقة الخارجية وتؤكد على أن الحقيقة الوحيدة التي يمكننا معرفتها هي ما يتمثل في الفكر الإنساني ويعبر عنه من خلال اللغة وكلاهما نشاط إنساني .

يقوم البشر برسم صورة لفظية للعالم ولكن من المهم أن نفرق بين متى تعتبر تلك الصور تقريبا للواقع ومتى تعتبر أعذارا لعدم القدرة على مواجهة الواقع فعلى سبيل المثال تصنع كل دولة من جنوب شرق أوروبا (التي كانت يوما ما يوغوسلافيا) لنفسها تاريخا يجعل منها الضحية ومن الآخرين أوغادا ، وتحاول مجموعة دولية من المؤرخين التعرف على الأحداث التاريخية التي يجب أن يقدمها أي مؤرخ محترم بشكل يساعد تلك الدول على التخلي عن الأساطير التي يزخر بها تاريخها ، وبعبارة أخرى أنهم يحاولون أن يستبدلوا اللغة التي تخلق تاريخا مليئا بالخرافات بلغة تسجل ما حدث في العالم الحقيقي .

لقد وقعت أمريكا في بلاغة الحرب على الإرهاب التي تستبعد التقييم الموضوعي لحقيقة أعدائها الحقيقيين وتحذر بقية العالم من خلال سخافتها ، حيث تستخدم المؤسسة العسكرية الأمريكية وأية مؤسسة عسكرية في معظم الدول لغة

جذابة لوصف الأسلحة الفتاكة والأفعال الشنيعة لكي تخفف من تصورنا لتلك الأسلحة والأفعال .

جدول 2/18 الرصاصة الخضراء
صورة الديكتاتور لديك هي " الرجل القوي " الحرب الشاملة هي " عمل بوليس " ، القنبلة التي تقتلع بيتا بأكمله وليس نصف الحي تعتبر قنبلة ذكية واستخدامها يعتبر تدخل جراحي " ، الضحايا البرئيون هم " خسارة جانبية " ، سلاح منخفض الأثر هو السلاح النووي الذي يقتل فقط 10000 إنسان ، رصاصتي المفضلة هي " الرصاصة الخضراء " التي تقتل مثل أية رصاص ولكن لأنها ليست مصنوعة من الرصاص ، فهي لا تلوث البيئة ، أنني انتظر إنشاء " منازل سعيدة " (حيث يمكنك أن تقتل كل شخص يرفض الدخول في القرية الاستراتيجية ، و " ويليام الجميل " (وهو الغاز الذي يقتل كل الناس ولكنه يترك الغطاء سليما) .

الواقعية مرة أخرى

مع كل ما يوجه إلى الواقعية من نقد إلا أنني أود أن أقول شيئا إيجابيا ، عند تحليل سلوك الأفراد لا ينكر أحد أنه يغلب عليه طابع المصلحة الذاتية ، وليس في هذا الأمر خطأ كما أنه لا يوحي بأن الناس يفتقدون إلى المبادئ الأخلاقية التي يضحون من أجلها بمصالحهم وهذا يعني بالضبط أننا نتوقع من البالغين المستقلين أن يديروا شئون حياتهم ويتابعوا أعمالهم ويحصدوا زروعهم ويربوا أولادهم إلخ ... ، وعندما نركز على اهتماماتنا فإننا نحاول أن ـ ترسي توازنا جيدا للقوى .

عند التقاعد اعتمد على صانع القرار في جامعتي لكل أواصل عمل شيء أحبه وبالتحديد تدريس مقررين مثلا ، فأنا أود التركيز على العلاقات الطيبة مع زملائي في القسم وكذلك رئيس القسم وإن أمكن تكوين حلفاء في مكتب الرئيس أو نائب المستشار ، وإذا ما عرفت أن هناك شخصا سلبيا بين صانعي القرار الذين يحددون مصيري فإن أهم شيء عندي هو أن أكسب الآخرين في صفي .

ولكن ـ كما تركز الواقعية ـ قد يكون من الخطأ القول بأن معظم الناس يسعون إلى ما فيه مصلحتهم يغويهم في ذلك الجهل وكل العوامل النفسية التي تؤثر على السلوك الإنساني مثل الإحساس المبالغ فيه بأهمية الذات ، وأنكار محدودية امكانياتهم ، والافتقار إلى اتعاطجف ، والأخلاقيات المتحجرة والإحساس بالتفوق الأخلاقي والرغبة الجانحة لتملك الأرض وتفوق مبدأ المتعة على مبدأ الحقيقة (افتراض أن العالم هو ما تريد أن يكون وليس ما هو كائن بالفعل) ، وتوافر أنشطة الإزاحة وهي الأنشطة التي توفر مهربا مريحا من العالم الحقيقي) ، والرومانسية إلخ ....

وسوف نكتشف فائدة تلك القائمة في فهم السبب في أن الأمم غالبا ما تخطئ في اختيار ما يحقق أهدافها .

تعتبر معظم الأمم ممثلين في بيئة يكون فيها السعي لتحقيق المصلحة الشخصية والقوة هو الأمر الضروري وبالتالي يلتمس فيه العذر بصورة أكبر من حالة الأفراد ، إذ إن معظم الأفراد يعملون في مجتمع به حكومة تحاول التخفيف من شراسة الصراع على السلطة ، كما أن الاختلاف بين الأفراد والدول إلى الدرجة التي يصبحون فيها مشغولين بالسلطة يعني توازنا مختلفا بين السياسة والأخلاق .

تفضل السياسة مبدأ " القوة تصنع الحق " وهذا أمر مناف للأخلاق ، وكلنا يعرف كيف يتغير هذا التوازن ، فالصدق مع الأحباب يسمح ببعض الاستثناءات أهمها هو متى تكون الحقيقة جارحة كما أن الصدق مع الجيران يسمح بالمزيد من الاستثناءات ، أما الصدق في السياسة الوطنية فغالبا ما يسمح بنوع من التملق كأن تطلب من احد أعضاء البرلمان تأييد بند تشريعي معين) ، كما أن القيام بمدح

إحدى القوى الكبرى يبدو ضروريا لحماية مصالح دولة صغيرة ، وقد تجعل دولة ما جانبا من قواتها تحت طلب قوة عظمى من أجل حمايتها من أية مغامرات كارثية مع دول أخرى ، وحتى في هذه الحالة حيث يتضاءل دور الأخلاقيات ـ بإمكانها وضع حدود للنفاق طالما أنها لا توجد أزمات كبرى كالغزو .

علاوة على ذلك ، إذا نحينا جانبا الحديث عن المصالح الوطنية من أجل الأهداف الوطنية يمكن هنا تحديد المصالح المحورية لأية دولة بسهولة وهي عدم تعرضها للغزو من أية دولة أجنبية ، والحفاظ على رخائها والسعي إلى تحالفات لا تحد كثيرا من استقلالها ، ولا يعني هذا دائما الافتتان بالقوة ولكنه قد يعني أحيانا ، وعندما يحدث هذا يمكن الاعتماد على الدول من أجل جمع المزيد من القوة وليس المزيد من الأعداء والتحالف مع قوة عظمى لها طموحات امبريالية بشكل واضح وهذا يعني أنها تحاول الحفاظ على توازن القوى .

أفضل نظارة

أعتقد أن التاريخ يتسع للنظريات الثلاث إذ لا يمكن لأحد أن يفهم موقف فنلندا دون أن يأخذ في الاعتبار خوفها من جارتها القوية (روسيا) ، ولا يمكن لأحد أن يفهم موقف إسرائيل دون التنبيه إلى صورتها الذاتية ، ولا يمكن لأحد أن يفهم السبب في عدم قيام الولايات المتحدة بغزو كندا بدون الاعتراف بوجود تطابق وصلة بينهما في المؤسسات والقيم ، وعلى الرغم من المنفعة الواضحة التي تتحقق للجميع من موقف لآخر ، فإن أنصار كل نظرية يميلون إلى أن يحولوها إلى رأي عالمي المفترض أن تتوفر فيه القدرة على امتصاص ما يصلح في لنظريات المتنافسة بشكل لا يتوفر للآخرين (انظر جدول 3/18) .

جدول 3/18

وآسفاه على الوسط الأكاديمي

عنـدما يلتحـق الطـلاب الأمريكيـون بالدراسـات العليـا فـإنهم يقبلـون عـلى الالتحاق بكلية واحدة أو يرسلوا إلى غياهب المجهول بدون رفيـق يرشـدهم إلى موقـع أكاديمي ، ولحسن الحظ ، يحتاجون فقط إلى أستاذ يؤمن بالفلسفة الواقعيـة ويبيعـون له أرواحهم " أيها الرجل الحكيم ، أنني أشكر اللـه على أن فتحـت لي عيـوني عـلى شر البنائيـة والليبراليـة ، فسـوف أدرس مقرراتـك واسـتغني عـن المقـررات الأخـرى إذا مـا قبلتني خادما لك " ففي عام 1952 عندما بدأت دراساتي العليا في شيكاغو كـان يوجـد أساتذة يتمتعون بكاريزمية عالية ولكن لا أتذكر أنهم مارسوا على ضغوطا على الإطلاق ، وربما كنت في الثامنة عشرة شابا متحمساا ولكن أحب أن أبين أن الأمور لم تكن سـيئة في تلك الأيام .

أنني بصدد تكوين بؤر ثلاثية أي نظارات يمكنها أن تربط قوى النظريات الثلاث ، ولكي ترى بها عليك بالتالي :

1ـ حدد أهداف الأمة (الواقعية) ، فأحيانا يعمـل الهـدف كجـزء مـن المصـلحة الوطنيـة الأصلية وأحيانا لا يعمل وعادة يمكنك أن تجد أهدافا مرغوبا فيها بشكل واضح وبشكل لا يقبل الجدل .

2ـ صف هوية الأمـة (البنائيـة) التركيـز هنـا عـلى مـا هـو شـخص بمعنـى أنـه لا يتعلـق بالشخصية الكلية للأمة بقدر ما يتعلق بتصورها عن نفسها .

3ـ كـون قائمـة بـالروابط والعلاقـات (ليبراليـة) اذكـر الأمـم التـي تعتـبر حلفـاء طبيعيين بناء على التقدير المتبادل لثقافة بعضهم البعض ، وسلوكهم ومؤسساتهم

، واذكر أيضا أولئك الذين تعدهم أعداء طبيعيين بناء على عداوات تاريخية أو إيديولوجيات متصارعة .

سيكولوجية الذوق الرفيع

عند تحليلنا لسلوك فرد ما علينا ألا نهمل أيا من العوامل التي تحددها النظريات المتعددة فأحيانا ما نقول إن شخصا ما يسير تبا لمصالحه بقدر ما تسمح به سلطته ، فهو أحيانا يعامل أصدقاءه على أنهم مجرد وسائل لتحقيق غاياته وأحيانا عليك أن تضع في اعتبارك الصورة التي يرسمها عن نفسه كشخص ذي اخلاقيات سامية ، هذا يعطينا أملا في النجاح .

تحذير : يتسم السلوك البشري والدولي بتعقيدات أحيانا ما تعصي على التحليل ، فهناك حالات تعتبر النظارات المتطورة في غاية الفائدة ولكن المدهش هو أن أي مدى يمكن لنظارة بسيطة أن تخدمنا .

(19)

حالات أربع

المفاهيم الدالة : 18ـ المصلحة الوطنية 19ـ الهوية الوطنية 20ـ العلاقات الوطنية عندما تتوحد على هيئة نظارة ، قد تبدو النظارة حيدة نظريا ولكن هل لها قيمة فعلية ؟ هل توضح فعلا سلوك الأمم الذي قد يبدو محيرا ؟

عرض عام : لماذا تتجاهل إسرائيل مصالحها الوطنية ؟ هوية إسرائيل ، ظلال الهولوكوست لماذا تساند أمريكا إسرائيل ؟ مصلحة أمريكا الوطنية ، هوية أمريكا) الاستثناء الأمريكي , لماذا قدمت أسبانيا الاستعمارية التزاما غير مشروط ؟ لماذا استولت بريطانيا على قناة السويس ؟

حالة إسرائيل

الهدف المنشود : زيادة فرص إسرائيل في البقاء .

الهوية : هي المنقذ للشعب اليهودي وثقافته وتعتقد أقلية منهم أنهم شعب الله المختار المفوض باستعادة حدود إسرائيل تبعا للعهد القديم .

الحلفاء الطبيعيون : أمريكا .

الأعداء الطبيعيون : العالم الإسلامي وخصوصا الشرق الأوسط .

الشعوب المحايدة تجاهها : غالبية دول العالم .

من 1948 (حرب الاستقلال) إلى 1967 (حرب الأيام الست) فعلت إسرائيل ما يمكن أن تفعله أية دولة وليدة, فقد تغلبت على أعدائها عندما هاجموها وأقامت مؤسسة عسكرية (بما فيها الأسلحة النووية) جعلتها متفوقة على كل الدول العربية مجتمعة .

في عام 1967 قامت إسرائيل باحتلال الضفة الغربية لنهر الأردن وأحكمت سيطرتها على القدس ومنذ ذلك اليوم فصاعدا بدأت في الاختيار حيث استطاعت أن تبتلع ببطء الضفة الغربية التي كانت تضع عينها عليها واعتمدت على تفوقها العسكري على الدول العربية التي تزداد عداوتها لإسرائيل تبعا لاطماعها التوسعية أو قد تقول لنفسها : إن تحديث الشرق الأوسط أمر لا مفر منه وسوف يحصل العرب على الأسلحة النووية ويبنون جيوشا حديثة ، ولذلك علينا أن نظهر للعالم ، وخصوصا العالم الغربي ـ أننا لدنيا طموحات محدودة بشأن الأرض وأننا سوف نساعد على قامة دولة فلسطينية على الضفة الغربية اعترافا بالقومية الفلسطينية ولا يوجد ضمان لذلك ولكنها تقدم أفضل فرصة للسماح ببقائنا .

هناك أقلية داخل إسرائيل تريد أن تتبنى المسار الثاني تجاه البقاء واعتقد أنهم على حق ، ولكن الفكرة هي أنه عند مناقشة قضيتي علي أن أفعل ذلك في ضوء مفهوم مصلح إسرائيل الوطنية ، ولأنني أعتقد أن الاختيار صحيح ، يلزم أن أبين السبب في أن إسرائيل لا تدرك مصلحتها الوطنية ونفس الأمر أيضا يعتبر صحيحا لمن لا يوافق على ذلك (كف تغيب عني مصلحة إسرائيل ؟) .

والمسألة ليست في أنك تتفق معي ولكن في ما أناقشه لكي أجعل قضيتي مفهومة وواضحة.

أعتقد أن ابتلاع الضفة الغربية لا يخدم أمن إسرائيل على المدي البعيد فمهما تكن الأجزاء التي تبتلعها إلا أن أنها لا توفر لها الحماية مطلقا من الرعب في حالة وجود تحديث في العالم العربي حولا ، وأكثر من ذلك ، تميل إسرائيل لتضلل

الولايات المتحدة ـ حليفها الوحيد التي بإمكانها إلغاء التفوق العسكري العربي بسبب تفوقها العسكري على بقية دول العالم ، لماذا إذن تدير إسرائيل ظهرها للخيار الثاني.

هوية إسرائيل

تنطبق بض الأسباب التي تعمى إسرائيل عن التفكير في مصلحتها على كل الدول فكل من إسرائيل والعرب يشعران أنهما يكسبان السباق في مسألة من يفعل ماذا و لمن و من يعتبر أكثر خسة ، ويلاحظ هنا توهج القومية البدائي التي تبرز في الرغبة في إضافة المزيد والمزيد من الأراضي وهناك أيضا الرغبة في الراحة الآتية أكثر من الرغبة في الراحة الآجلة فكل إسرائيل ينشد المستحيل ألا وهو توقف العنف الآن ، ويشار إلى أن إخلاء غزة كان بمثابة غلطة كبرى إذ بدلا من أن تحصل إسرائيل من جراء اخلائها على مكافأة على السلام نالها حكومة معادية مجاورة لها وتصعيد للعنف ،ويصبح التحفظ على المدي القصير مثيرا للمشاعر لا تضاهيه أية منفعة على المدى البعيد ، وغالبا ما يوجد بديل جاهز وهو الدخول فيما يسمى مفاوضات سلام والتغاضي عن حقيقة عدم وجود فرصة نجاح طالما استمر التوسع في الضفة الغربية .

هناك عوامل أخرى تعكس تاريخ إسرائيل الرهيب وهويتها الوطنية أولا ، هناك اليهود المتعصبون الذين يعتقدون أن اليهود هم شعب الله المختارو أن لهم الحق في استعادة حدودهم الموجودة في التوراة ويعتبرون أن الضفة الغربية تنتمي إلى إسرائيل حسب الأمر الإلهي ومن ثم يندفعون للاستيطان في أرضها سواء كانت الحكومة تساندهم أو تقف بجانب معارضة ضعيفة ، ثانيا : يميل غالبية الإسرائيليين لأن يروجوا لصورة رومانسية للمستوطنين ، ففي الماضي كان كل اليهود يعجبون بالمستوطنين باعتبارهم أبطالا يتفوقون أخلاقيا على بقية اليهود فهم كانوا طلائع الصهيونية حيث كانوا يتقاسمون الصعاب والمغانم بالتساوي

كما كانت لديهم قيم كلفينية تتعلق بالعمل الجاد والتدبير التي تعجب اليهود والأمريكان . ثالثا : حافظت اليهودية الأصولية على الهوية اليهودية عبر قرون من الشتات والاضطهاد ، ويعترف الكثير من الملحدين الذين عاصروا معابد الإصلاح في قرارة أنفسهم بـدين تـاريخي تجاه اليهود.

شبح الهولوكوست

الآن نواجه اللغز الأكبر : لماذا تسلك إسرائيل مسلك توجيه الإهانة إلى أمريكا بدون داع ؟ في مايو عام 2009 طلب الرئيس أوباما إيقاف التوسع في المستوطنات لأنـه كـان يـرى أن هذا يمثل عقبة كئودا أمام إقامة دولة فلسطينية مستقلة في اليـوم التـالي قـال المتحـدث باسم الحكومة الإسرائيلية إن رئيس الوزراء بينيامين نيتانياهو سوف يتحدى البيت الأبـيض وذلك بالاستمرار في البناء في المستوطنات القائمة ، ورد عليه أوبامـا بـأن العنـاد الإسرائـيلي يهدد أمن أمريكا ولم تعلق إسرائيل ، وفي مـارس 2010 ، وصـل إلى إسرائيـل نائـب الـرئيس الأمريكي في محاولة لتنشيط مفاوضات السلام ليواجه بإعلان إسرائيل أنها تزمع بنـاء 1600 وحدة إسكان يهودية جديدة في القدس الشرقية التي يشكل العرب فيها الأغلبية ، اتصـلت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتـون هاتفيـا بنتانيـاهو يعـرب عـن أسـفه لتوقيـت الإعلان ولكنه لم يقدم أية إشارة إلى إلغائه .

افتراض : شبح الهولوكوست ، لقد أغلقت الدول الغربية حدودها أمـا اليهـود فقـد حـاولوا الفرار من هتلر ، فمن كان يثق اليهود على مر الأزمان غـير أنفسـهم ؟ حـاول أن تفكـر في الثمن النفسي للاعتراف الواعي بأن مستقبل إسرائيـل مرهـون بـإرادة دولـة غـير يهوديـة ، حاول أن تتدبر في الحاجة لإثبات أن إسرائيل مكتفيـة ذاتيـا وأنـه بإمكانهـا تحـدى أقرانهـا حتى وإن كان هذا التحدي يقترب بها من حافة الانتحار.

لقد أخبرني عالم يهودي متطابق معي في الذوق والميول بأن هذا يغفل شـيئا عن الهوية اليهودية ألا وهو أن تاريخهم قد جعلهم غير ميالين لأن يتقبلوا أوامر مـن

أحد ، ويشار إلى أن هناك تناقضا بكل تأكيد بين سلوكهم وسلوك الدولة الأخرى الحليفة لأمريكا ـ تايوان ، فعلى الرغم من الاعتقاد السائد بين الصينيين أن غيرهم همجي ، إلا أن تايوان لم تتحدى الولايات المتحدة الأمريكية صراحة على الإطلاق . ومهما كان الحل لهذا اللغز إلا أن هناك شيء يقيني واحد وهو أن مفهوم المصلحة الوطنية هو متطلب أساسي لتفسير سلوك الأمم ، ولكنه لا يكفي .

لماذا تساند أمريكا إسرائيل ؟

الأهداف المنشودة) : الحفاظ على إسرائيل وعلى علاقات طيبة مع العالم الإسلامي .

الهوية : الاستثناء الأمريكي أو الاعتقاد بأن الولايات المتحدة ليست ملوثة بخطايا العالم القديم.

الحلفاء الطبيعيون : أوربا واستراليا بحكم الرباط الثقافي ، اليابان بحكم المأمن من الاحتلال وشمول اليابان بالحماية ، إسرائيل بحكم الرباط الثقافي وشمول إسرائيل بالحماية ، تايوان بحكم شمولها بالحماية .

الأعداء الطبيعيون : أمريكا اللاتينية نسبة إلى تاريخ من التدخل ، العالم الإسلامي ، وخصوصا الشرق الأوسط نسبة إلى التدخل والالتزام اللا محدود ببقاء إسرائيل .

أطراف ذات وضع غامض : الهند وباكستان لأن أمريكا تتأرجح في علاقتها معهما ، روسيا نسبة إلى التنافس الكبير في القوة ، الصين بسبب مساندتها لتايوان وتعقيدات الاعتماد الاقتصادي المتبادل ، وأفريقيا جنوب الصحراء بسبب وضعية الأمريكان السود ولكن تعتبر انتخاب أوباما علامة على التقدم .

محايد : لا أحد باستثناء أهل الاسكيمو بالقطب الشمالي .

مصلحة أمريكا الوطنية

تتعرض المصلحة الأمريكية للخطر بشدة بسبب توسع إسرائيل في الضفة الغربية حيث تشوه صورة أمريكا في كل أرجاء العالم الإسلامي وخصوصا في الشرق الأوسط صاحب الثروة النفطية ، ولقد كرر الرؤساء الأمريكيون مرة تلو الأخرى وبوضوح أنهم يريدون من إسرائيل أن تجمد عدد وحجم مستوطناتها في الضفة الغربية ويكون الرد الوحيد من قبل رؤساء الوزراء الإسرائيليين هو الانتقال من مرحلة مسايرة الظروف بشكل لبق إلى الإعلان على المستوى الشعبي أن الولايات المتحدة بإمكانها فقط أن تطير طيارة ورق ، من منا سمع عن قوة عظمى تسمح لدولة تابعة لها أن تعاملها بمثل هذا الاحتقار ؟ ومع ذلك تشتمل ميزانية أوباما للعام المالي 2010 على 2.8 مليار دولار في صورة مساعدات عسكرية لإسرائيل ، ويجدر القول بأن بإمكان أمريكا إنهاء مساعداتها لإسرائيل ما لم تتغير سياسة الأخيرة ولكن هيهات .

هناك مشكلتان تحتاجان إلى حل : لماذا تساند أمريكا إسرائيل ، ولماذا يعتبر التأييد الأمريكي غير مشروط .

هوية أمريكا

يكمن جزء ضئيل من تفسير التأييد الأمريكي لإسرائيل في النظام السياسي الأمريكي فطريقة انتخاب الرئيس هي أن كل ولاية لديها أصوات انتخابية تتماشى مع عدد سكانها حيث تعطي هذه الأصوات تبعا لمبدأ أن الفائز يأخذ كل أصوات الولاية ، وتجدر الإشارة إلى أن الناخبين الأمريكيين موزعون بالتساوي على الحزبين الرئيسيين وبالتالي من المهم الفوز بالولايات الكبرى مثل نيويورك وفلوريدا والحصول على الكتل الانتخابية الضخمة بها ، هذا بالإضافة إلى أن الحملات

الانتخابية باهظة التكاليف وأن الأمريكان اليهود متمركـزون في هـذه الولايـات ويقـدمون الكثير من الأموال لدعم تلك الحملات .

إن هوية أمريكا أمر مهم جدا فالإنجيل متغلغل في الوعي الأمريكي وهـذا يخلـق اعتقادا لديهم بأن أرض إسرائيل هي ملك للشعب اليهودي ، وعلى أية حال لا يهتم معظم المفكرين الأمريكان كثيرا بما في الإنجيل ولذلك فإن موقفهم مهم جدا لدى النخبة الفكرية الأمريكية خليط غريب ، وأشير هنا إلى روابط المحبة و الاحترام ين رجال الفكر الأمريكـان والأمريكيين اليهود وهذا أمر منفرد تاريخيا لقوته ، فالمفكرون مـن غـير اليهـود يتزوجـون مـن يهوديـات ، وتـربطهم صـداقات وثيقـة مـع اليهـود ويتعـاملون مـع زملائهـم اليهـود ويعرفون مدى الفقر الذي قد يقبـع فيـه المشـهد الأمـريكي بـدون اليهـود ، ويشـار إلى أن لديهم أصدقاء من الأقليات الأخرى بالطبع ولكن هذه أقليات لم يشهد تاريخهـا اضـطهادا شديدا أو أنها تلقت في عصرنا الحالي تهديدا مـن شـخص مجنـون أو أن تاريخهـا وهويتهـا مرتبطة بدولة أجنبية وبالتالي ليس من المتصور لدى اليهود الأمريكان أن تكون إسرائيل في خطر .

تختلف لسياسة الخارجية عن السياسة الداخلية حيث تتشكل على يد قادة الرأي وهم رجال الفكر الأمريكان ، ولذلك فـإن شرح السـبب في أن أمريكـا تؤيـد إسرائيـل عـلى طول الخط أمر يسير كما أن تفسير السبب في أن أمريكا تتسامح بشأن ما يعود عليها مـن جراء ذلك أمر في غاية الصعوبة .

الاستثناء الأمريكي

لا تفكر أمريكا فيما يعود عليها من جراء تأييدها لاسرائيل حيث أن هذا لـه جذور عميقة في تصور أمريكا عن نفسها ، إنني أشير إلى ما يطلـق عليـه " الاسـتثناء الأمريكي " وهو الاعتقاد بأن أمريكا تعتبر تجربة اجتماعية متفردة خالية من الفسـاد الذي يشوه الأمـم الأخـرى ، ولأن أمريكـا تشـعر بالاطمئنـان الأخلاقـي في قـرارة

نفسها بشأن إسرائيل ، فإنها تجد أنه من الصعب أن تأخذ الرأي المعارض لتأييدها إسرائيل مأخذ الجد ، وفوق كل ذلك ، تعتبر إسرائيل حليفا لأمريكا ، ويحتل شعبها مكانا في قلوب الأمريكيين كما أن نظام حكمها يشبه الديمقراطية الأمريكية .. أمريكي ، أمريكي .. من الواضح أن كونك أمريكيا يعني أن تكون شيئا خاصا فالافتراض هو أن لأمريكا الحق في التصرف من جانب واحد لأن دوافعها نقية كما أن الحقيقة بأن التزام أمريكا تجاه إسرائيل غير مقبول بالنسبة للعالم الإسلامي يبين ببساطة حجم الشروخ في العالم الإسلامي .

إن تأييد أمريكا لإسرائيل يمكن أن يكون مطلقا بقدر ما يعتبر التزاما أمريكا تجاه اليابان وايسلندا مطلقا حيث يعاملون كما لو كانوا جزءا من الأرض الأمريكية بكل ما لدى أمريكا من قوة لردع أي أحد يهدد وجودها ، ولكن تأييد أمريكا لا يمكن اعتباره مطلقا بمعنى أنه غير مشروط إذ يجب أن يكون مشروطا بانضواء الضفة الغربية تحت دولة فلسطين القابلة للحياة ، إن الإصرار الأمريكي المتواصل على الالتزام قد يصبح مشكوكا فيه لأنه على المدى البعيد قد يكلف ثمنا فادحا ، وتكون البدائل الطبيعية إما التزام غير مشروط قد يفقد مفعوله يوما ما أو التزام مشروط قد يستمر ، ولن تحصل إسرائيل على ضمان أبدي بأنها في أمان إذ لم تحصل أمة على ذلك مطلقا فالتاريخ لا يضمن أي شيء .

دروس أخرى من التاريخ

سوف نتناول حالتين أخريين للسلوك الدولي تعلماننا شيئا ما عن حدود القوة العسكرية عندما تتجاهل العالم الحقيقي ، تتعلق إحداهما بقوة عظمى تولت التزاما غير مشروط حتى وصلت إلى حافة الكارثة ثم اضطرت إلى التخلي عن هذا الالتزام في النهاية , الثانية تتعلق بقوة عظمى سابقة لم تقدر المدى الذي يمكن أن تعتمد فيه القوة السياسية على القوة الاقتصادية .

التزام غير مشروط : أسبانيا وهولندا

الهدف المنشود : الاستيلاء على بلاد الأراضي المنخفضة (هولندا وبلجيكا) من أجل نشر المذهب الكاثوليكي واتخاذها مصدرا من مصادر الثروة .

الهوية : مدافعة عن الإيمان .

الحلفاء الطبيعيون : النمسا .

الأعداء الطبيعيون : الإمبراطورية العثمانية ، وفرنسا ، وبريطانيا وهولندا وأتباع المذهب البروتستانتي بصفة عامة .

لقد تلقت الطائفة الكاثوليكية في هولندا التزاما غير مشروط من القوى العظمى في العالم ، حيث كان يقول ملك أسبانيا فيليب الثاني إنني أفضل خسارة بلاد الأراضي المنخفضة على حكمهم إذا ما توقفوا عن أن يكونوا الكاثوليك ، وكان يعزز التزام أسبانيا الحقيقة بأنها كانت معتمدة بشكل كبير على هولندا لكي تحافظ على قدراتها حيث كانت انتويرب معقل الذهب والفضلة الوارد من العالم الجديد كما برع صيارفتها في جمع المديونيات ، أما فيما يتعلق بقوة أسبانيا العسكرية فكانت جيوشها تعتبر حتى ذلك الحين أفضل الجيوش المحترفة في أوروبا على أية حال ، تمخضت حرب السنوات الثمانين (1568 ـ 1648) عن ثمن ثقيل عجزت أسبانيا في النهاية عن دفعه حيث كان شمال البلاد المنخفضة (هولندا) بروتستانتي ، والجنوب (بلجيكا حاليا ولوكسمبورج وبعض الأراضي الفرنسية) كان كاثوليكيا ، ولقد أغضب التزام أسبانيا بتأييد الطائفة الكاثوليكية كل المناطق البروتستانتية ، وكان هناك اعتقاد عام بأن أسبانيا تسعى لاستغلال ثروة بلاد الأراضي المنخفضة طالما بقيت لها السيطرة عليها ، وعموما ، استولى البروتستانت على بريبه وبذلك حصلت ثورتهم على ثورة دفع ، حيث أصبحت تلك المقاطعة الشمالية مستقلة فعليا على الرغم من عدم الاعتراف به إلا بعد فترة طويلة .

لقد كان التزام أسبانيا في بلاد الأراضي المنخفضة هائلا حيث قاتلت الإمبراطورية العثمانية من 1571 حتى 1582 ، وفي عام 1588 أرسلت جيوشها لغزو انجلترا البروتستانتية مما أدى إلى فقدان أسطولها واضطرت إلى إعادة بنائه لكي تنقل الذهب والفضة من أمريكا الأسبانية إلى أسبانيا ولكي تحمي سفنها من السفن المسلحة لتابعة لدول أخرى ومن عام 1590 حتى عام 1598 تدخلت أسبانيا في الحروب الدينية في فرنسا وعى الرغم من هزيمتها إلا أن التدخل ساعد في تيقنها من أن فرنسا سوف تظل كاثوليكية ، وبعد عام 1598 كان وجودها العسكري في بلاد الأراضي المنخفضة (على الحدود الشمالية لفرنسا) كارثيا حيث رسخ فكرة أن فرنسا سوف تظل عدوا سواء كانت كاثوليكية أم لا فقد دخلت فرنسا الحرب إلى جانب الهولنديين ، وفي عام 1643 ـ في معركة روكروي ـ تغلبت على أسبانيا التي كانت قواتها آنذاك تعتبر القوات التي لا تقهر ، وفي عام 1648 اعترفت أسبانيا باستقلال هولندا ، وبحلول عام 1559 لم تكن أسبانيا قادرة على حماية نفسها من فرنسا وتنازلت لها عن منطقتي الأرتويز وجنوب الفلاندرز .

لقد تأثرت الروح المعنوية للشعب الأسباني كثيرا إذ بعد ثمانين عاما من الحروب الخاسرة وجدوا أنفسهم أمام ضرائب باهظة واقتصاد محطم بالإضافة إلى فقدانهم أبنائهم مع عدم وجود ما يحدث توازنا في حياتهم ويشار إلى أن انهيار أسبانيا كقوة عظمة يبدأ من تلك الفترة .

يقال أن التاريخ لا يكرر نفسه على الإطلاق ولا يجادل أحد في أن الصراع الكاثوليكي / البروتستانتي في بلاد الأرض المنخفضة هو صورة طبق الأصل من الصراع بين إسرائيل و العالم الإسلامي في الشرق الأوسط حيث إن السكان الكاثوليك لم يكونوا مستوطنين جددا كما أن البروتستانت لم ينكروا حقهم في البقاء ، ولذلك عندما فشلت الجهود الأسبانية الكاثوليكية في وضع تصور للمستقبل الاقتصادي والسياسي للمنطقة لم يتم استبعاد الكاثوليك ولكن تم تقديم الدعم لهم وكان أمرا مقبولا ، لقد كان هناك حاجز واضح بين الطائفتين يضمن الاحترام المتبادل بينهما وقد ظل الكاثوليك الذين كانوا يقيمون فيما

يعرف اليوم بلجيكا خاضعين لأسبانيا الكاثوليكية في حين قامت فرنسا الكاثوليكية بضم الآخرين .

كل ذلك يبين أنه مهما ارتفع شأن أية قوة عظمى إلا أنها لا تستطيع البقاء عندما لا تتلاقي التزاماتها مع الواقع الاقتصادي والسياسي ، وقد استغرقت أسبانيا ثمانين عاما لكي تعي تلك الحقيقة ، ومن ناحية أخرى يلاحظ أن أمريكا أقل واقعية من الأسبان حيث قامت بغزو العراق ـ وهي واحدة من الدول العربية القليلة في الشرق الأوسط التي كانت تقوم بإعدام كل من يهدد الولايات المتحدة بهجمات إرهابية ، وحاولت أمركا أن تهدئ الأمور في أفغانستان ، وإذا فكرت باكستان في أن تنحى المنحى الأصولي فلا يمكن لها الفكاك من أمريكا التي بينت للعالم بأكمله مدى سهولة استنزاف القوة العسكرية الباكستانية حتى لو لم تواجه قوة عظمى ، وبالنسبة لثروة المنطقة فإن سياسيتها تقوم على جعل الوصول إلى النفط أمرا صعبا .

المال والقوة : بريطانيا والسويس

الهدف : استعادة السيطرة على قناة السويس والتخلص من النظام المصري .

الهوية : قوة عظمى سابقة تمر بانهيار عصبي جراء فقدانها لمكانتها .

الحلفاء الطبيعيون : فرنسا وإسرائيل .

الأعداء الطبيعيون : دول العالم الثالث وبالتالي أمريكا التي كانت تنافس الاتحاد السوفيتي لكسب رضى تلك الدول .

لم تقدر بريطانيا أبدا أن أيام الاستعمار قد ولت وكذلك لم تقدر أنها لم تعد قوة عظمى قادرة على أن تعمل بشكل مستقل تبعا لاهتمامات أية قوة عظمى ، فقد أقلق رئيس مصر جمال عبد الناصر بريطانيا من خلال سياساته في الشرق الأوسط كما أقلق الولايات المتحدة من خلال شراء الأسلحة من الكتلة الشرقية ، فما كان من أمريكا إلا أن سحبت دعمها لبناء سد أسوان ثم رد عبد الناصر عليها بتأميم قناة

السويس في 19 يوليو 1956 ، حينئذ أقامت بريطانيا تحالفا سريا مع فرنسا وإسرائيل بهدف استعادة قناة السويس ، ففي 29 أكتوبر 1956 قامت إسرائيل بمهاجمة مصر وتمكنت قواتها من غزو شبه جزيرة سيناء ، وبعد ذلك بستة أيام أغارت القوات البريطانية والفرنسية وسيطرت بسرعة على قناة السويس .

في تلك الفترة كانت الولايات المتحدة تندد بشدة بقمع الاتحاد السوفيتي للثورة المجرية في عام 1956 وبالتالي وجدت نفسها في موقف يجب أن تمنع التدخل الغربي من أجل إزاحة أحد قادة العالم الثالث ، حيث أخبر إيزانهاور بريطانيا بأنه سوف يضطر لبيع الاحتياطيات الأمريكية من العملة البريطانية مما يهوى بقيمة الجنيه الاسترليني إذا لم تسحب قواتها من مصر ، وكان هذا التهديد يعني أنه من خلال أسابيع يمكن أن تعجز بريطانيا عن استيراد الطعام والطاقة التي تحتاجها من أجل شعبها وبالتالي وافق البريطانيون والفرنسيون في 1956/11/6 على سحب قواتهم من مصر .

وحتى بعد حرب السويس لم تستطع بريطانيا التخلي عن الوهم بأنها تلعب دور القوة العظمى وتحاول أن تضفي على نفسها نوعا من الهيبة بإدعائها أنه تقيم علاقة خاصة مع الولايات المتحدة بما يسمح لها بالتأثير في السياسة الأمريكية ويلقى هذا ترحيبا كبيرا في واشنطن لأنه يعني دعما دائما من بريطانيا مقابل ثمن زهيد يتمثل في بعض المجاملة وقبول بعض المقالات في جريدة " لندن تايمز " التي تتحدث عن حاجة الولايات المتحدة لتصحيح اندفاعها والاستفادة من الحكمة البريطانية .

في عام 1909 عندما كانت بريطانيا الاستعمارية في أوج عافيتها كان يبدو أمرا لا يصدق أنه بعد 47 عاما فقط تضطر لأن ترضخ لفيتو اقتصادي ، وكم يتبقى من الزمن أمام أمريكا لكي تدرك أن اعتمادها المتبادل مع الصين سوف يضطرها لتنسيق سياستها مع الصين باعتبارها ندا لها ؟ ومع التسليم بالأزمة الاقتصادية الحالية قد يبدو عام 2056 توقيتا مناسبا بكل تفاؤل .

والشيء الوحيد الذي يجب ان نعرفه هو أن أمريكا لا يمكن أن تقوم لها قائمة من خلال اختزال ديونها في مجموعة من الأوراق والوثائق حيث لا توجد قضية عالمية من البيئة حتى النفط حتى السيطرة على أسلحة الدمار الشامل لا تعتمد على التعاون المستقبلي بين أمريكا والصين ، وكل شيء غير ذلك ما هو إلا انحراف عن الهدف الأسمى الذي يتمثل في تحويل الاعتماد المتبادل إلى احترام متبادل وثقة متبادلة في بعضهما البعض.

كشف حساب

إن المفاهيم الثلاث التي استعرناها من نظريات العلاقات الدولية لا تضمن العلم بكل شيء حث تحتاج لأن تعرف كل شيء يستحق المعرفة عن كل دولة موجودة وكثير من اللاعبين الآخرين، ويبدو الهدف الأكثر معقولية هو ان نختار من التاريخ ما يتعلق بمسالة تقييم السياسة الأمريكية الخارجية (لأن تصرفات أمريكا ومعاييرها تؤثر في كل شي ء) .

من المؤكد أن الكثيرين من النخبة يعلمون بما فيه الكفاية لكي يقيموا سياسة بلدهم الخارجية ، وحتى عندما يصبح الرأي العام صعب المراس فإن ذلك يتطلب من النخبة السياسية المعارضة (وعلى الأخص العسكريين السابقين) أن يحاولوا إقناع الشعب أن دعوة الحكومة إلى التحلي بالوطنية أمر فارغ المضمون ويجب الإقرار بحقيقة أن أهل الرأي لهم تأثير هائل وإذا ما أصبحت ملما بالأمور بما يكفي لأن تجادل في قضية ما فإنك تنضم إلى جماعة مختارة من المحاورين وتتبوأ مكانا لدى الجماهير .

لا يمكن لمفهوم المصلحة الوطنية أن يكون أمرا هينا بل إنه لا يقدر بثمن لأنه يفسح المجال أمام الجدل غير الأخلاقي ، فالناس يجدون صعوبة في الاتفاق حول الأخلاق أكثر من اتفاقهم حول مصالحهم الخاصة ، كما أن الدعاوى الأخلاقية

عبر الحدود القومية تسير تبعا لتصور كل أمة عن تفوقها الأخلاقي ،ولقد كان برتراند راسل مناصرا قويا للتوجه الأخلاقي ولكنه كان يقول إنه سـيكون في قمـة سـعادته لـو أن النـاس تصرفوا تبعا لمصالحهم وليس تبعا لحماقاتهم ، ونعلنها مرارا أنه إذا ما تصرفت الدول وفق مصالحها فإن سياساتها تصبح أقل تدميرا وأقل مدعاة للرثاء مما هي عليه الآن .

(20)

خاتمــة

جامعة جين ديبس

يعتبر المفاهيم الدالة العشرون خطوات نحو الارتقاء بعصرنا من خلال التفاهم , وبالتالي يمكنك أن تفعل أكثر من مجرد العيش كمخلوق غير خلاق فإذا ما قدر لك الالتحاق بالجامعة فإنك تجد أن بعضا من المحاضرين يرددون كلاما لا تفهمه ولكنك الآن تعرف السبب بل ويمكنك التعلم منهم على أية حال ، ويمكنك أن تتعلم أيضا من مكتبة الجامعة ويمكنك الآن أن تستفيد مما تقرأه لأن المعلومات تنظمها عقلية مرتبة .

قد يكون من بين يقرأون هذا الكتاب أساتذة جامعيون وقد يعترضون بقولهم إن جامعاتهم تقدم تعليماً جيداً وأن كثيراً من طلابهم قد تراكمت لديهم الأدوات والمفاهيم التي يحتاجونها لمجابهة العالم الحديث ، وأشك في أنهم مخطئون ، وتدليلا على ذلك فإنني أقدم نموذج جامعة ديبس وهو اسم حركي لواحدة من أعظم الجامعات الأمريكية حيث كان لطيفا من إدارتها أن تسمح لعينة من طلابها أن يستعينوا بمؤشر فلين في النقد الاجتماعي (**FISC**) ، وقد حصلوا على تقرير شامل ، وهنا الخص الأساسيات .

بعد شهرين من التخرج تم اختيار الطلاب من خلال البريد الإليكتروني ثم إعطاء 12 دولار لكل منهم مقابل تخصيص ساعة من وقتهم ، وكان المستهدفون هم من أربعة تخصصات : الاقتصاد ، التجارة ، الرياضيات والعلوم الاجتماعية ، والعلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية وكان عدد من تلقوا الاختبار يبلغ 185 طالبا أو 3.22% من الطلاب (يبلغ الإجمالي 5639) .

ولقد تلقى أحد الطلاب الاختبار مرتين ، وكان يحفزه في ذلك حبه للمال ، وكان متوسط درجات العينة 3.41 مقارنة بت 3.29 لكل الطلاب .

إن كون العينة متميزة قليلا لم يؤثر على النتائج ، وكان من بين النتائج المزعجة أن متوسط الدرجات لم يكن متسقاً مع الأداء في اختبار **FISC** وذلك بنسبة 0.06%، حيث إن البنود التي تحقق درجات جيدة في جامعة جين ديبس لم تكن تشتمل على القدرة النقدية التي تحمل أهمية كبرى .

يوجد 20 بنداً مقسمون إلى أربعة اختبارات فرعية :

التحليل الأول للسوق ، والقدرة على تطبيق مفهوم النسبة (وهو اختبار في الاقتصاد) ، وطرق دراسة العلوم الاجتماعية (اختبار في العلوم الاجتماعية) والجدل المعيب والذي يشتمل على بعض الأخطاء الكلاسيكية التي تحددها الفلسفة (اختبار الفلسفة) ، بالإضافة إلى دور ومكانة العلوم التي تشتمل على العلوم الطبيعية ، والتاريخ والعلوم الاجتماعية (اختبار العلوم) .

يقدم كل بند خمسة بدائل وعلى الطالب أن يتعرف على اثنين يعتبران أكثر قبولا من البقية ، وعند التعامل مع المجموعة ككل فقد وضعت معيارا للكفاءة المقبولة بشأن أية بند ويقدر بنسب 1.40 ، فإذا ما حدد 40% من المجموعة الإجابتين الصحيحتين ، وحدد 30% إجابة واحدة صحيحة واكتفي الـ 30% الباقون بالتخمين فإنهم سيحصلون على 1.415 ، وإذا ما حدد نصفهم الإجابتين الصحيحتين ولم يحدد النصف الآخر شيئا فإنهم سيحصلون على 1.40.

أداء المجموعة في كل بند

يبين جدول 1/20 محتوى بنود اختبار **FISC** ويقوم متوسط الأداء في تلك البنـود ، ويبين ذلك الجدول أن هؤلاء الطلاب الذين هم على وشك التخرج يعـون بشـكل مقبـول مفهوم الدواء الوهمي ويمكنهم أيضا أن يكتشفوا اللغـو ،ويقتربـون مـن مسـتوى الكفـاءة فيما يتعلق بالسفسطة النسبية (وهي التدليل على أن كل القيم نسبية وبالتالي يجـب أن يكون هناك استثناء الزامي) وكـذلك القيـاس المنطقـي العمـلي (وهـو إدراك أن كـلا مـن المبدأ الأخلاقي والحقيقي ضروريا للوصول إلى حكم أخلاقي) .

إن الوعي بالحاجة إلى المجموعة الضابطة ضعيف كما أن استخدام قانون العـرض والطلب يتغير حسـب التخصـص، ويلاحـظ أن الطـلاب لـديهم آراء متباينـة بشـأن وجـود أغراض لدى الطبيعة (من المسلم به أنه لا توجد أغراض للطبيعة) وكـذلك يلاحـظ أنهـم غير قادرين على تطبيق مفهوم النسبة أو النسبة المئوية وليس لديهم وعي بتأثير الكاريزما ولا يدركون مفهوم العينة العشوائية ، ولا يدرك الطلاب أيضـا أنـه لـيس بإمكانـك تسـوية جدل أخلاقي باللجوء إلى الطبيعة (فالمثلية الجنسية ليست أمـرا طبيعيـا) ، ولـديهم آراء متباينة بشأن دور وطبيعة العلوم .

جدول رقم 1/20

جامعة ديبس و **FISC**

بنود اختبار **FISC** ومفاهيمه : تم ترتيب أداء الطلاب من الأفضل حتى الأسوأ

المفهوم	عدد البنود	الدرجات 0.8 عادي 2.00 الحد الأقصى	التعليـــق
العلاج الوهمي	1	1.42	متميزون
اللغو	1	1.42	متميزون
السفسطة النسبية	1	1.38	قريب من التميز
القيـــاس المنطقـــي العملي	1	1.34	قريب من التميز
المجموعة الضابطة	1	1.26	تميز لدي الأقلية
قـــانون العــــرض والطلب	3	1.15	أداء متغير حسب التخصص
أغراض الطبيعة	1	1.06	الآراء قريبة من المتوسط
النسبة	2	1.04	لم تطبق
تأثير الكاريزما	1	1.01	ليس لديهم دراية
العينة العشوائية	1	0.96	غـــير مـــدركين بطبيعتـــه وقيمته
الطبيعي = الخير التملق = الطبيعي	1 1	0.81 1.47	غـير مـدركين للسفسـطة التي تساوي بـين مـا هـو طبيعـــي ومـــا هـــو خـــير ولكنهم يعتـبرون التملـق

			أكثر طبيعية .
تفرد العلم تفرد التاريخ العلمي العلوم الاجتماعية والتحيز	1 1 1	0.97 0.62 0.78	متوسط بشأن ما إذا كان اللم والطريقة التاريخية يمكن الاعتماد عليهما وبشأن ما إذا كان العلم الاجتماعي بإمكانه زيادة التحيز .
مغالطة عالم الاجتماع	1	0.39	غير مدركين أن المساواة من أجل عامل معين غالبا ما تستدعي عدم المقارنة من أجل عامل آخر .
الكون كلوح مسطح فارغ	1		يعتقدون أنه لا يوجد تفسير للحقيقة أكثر موضوعية من تفسير آخر .

إنهم يميلون لأن يؤدوا " مغالطة عالم الاجتماع " (وهم غير مدركين أن المقارنة بين مجموعتين على أساس متغير واحد يمكن أن يؤدي إلى سوء المقارنة بالنسبة لمتغير آخر) . بيد أن هذا مفهوم جديد وليس لدى أكثر العلماء تميزا أفضل منه ، فهم يميلون إلى إنكار الحقيقة باعتبارها مقياسا للرأي وهذا يرجع إلى فقدانهم الكفاءة التحدث عن العلوم بشكل متسق ، ولا يعني هذا ـ بالطبع أ ن المتخصصين في علم الأحياء يعتقدون أن ما يكتشفونه في المعمل لا يفضل على الرأي العادي ، ولكن الأمر ببساطة هو أنهم لم يقوموا بالتعميم مما يقومون به كعلماء لكي يصلوا إلى أحكم عن العلم نفسه .

كفاءة الطلاب في الاختبار الفرعي

لكي يتصف بالكفاءة العالية في أي اختبار فرعي أو مجال معين على الطالب أن يحصل على 7 درجات من 10 وقد لوحظ أن حوالي 17% من خريجي جامعة ديبس على قدر من الكفاءة في التحليل الأساسي للسوق وكذلك استخدام النسبة ، 22% في العلوم الاجتماعية الأساسية ، و 29% في الحوار الرشيد ، وينتابني الشك في أن كشف الجدل المعيب قد حاز على النسبة الأعلى لأن أي شخص نابه يمكنه فعل ذلك دون مساعدة ، ولذلك فإن جامعة جين ديبس بها العديد من الطلاب النابهين ويلاحظ أن تسعة من بين عشرة من خريجيها ليس لديهم رؤية متسقة عن العلم من أي نوع : حيث إن 2.70% يؤمنون بالفلسفة الواقعية ، 8.65% يؤمنون بما بعد الحداثة ويتراوح البقية بين النسبتين ، ويشار إلى أن أقل من 3% من الخريجين يعرفون ما هية العلم بالضبط وهذه نسبة تبعث على الاكتئاب .

التخصصات والأقسام

إن حقيقة أداء بعض الأقسام بشكل أفضل أو بشكل سيئ لا تنعكس على أداء الأعضاء الأكاديميين بها ، وليست هناك إشارة إلى أن أي قسم يحاول أن يتطور فإن ذلك لا ينعكس على متوسط درجات الطلاب .

إن التخصصات السبع التي سوف أناقشها تضم 12 طالبا أو أكثر من أفراد العينة وما لم تكن هناك متابعة مع أعداد أكبر يلزمنا اتخاذ الحذر .

1ـ الاقتصاد : إنه ذلك العلم الذي يتطلع الكثيرون للتخصص فيه ، إنه يعتمد على الاختبار الفرعي في الاقتصاد حيث يجب أن يقترب الطالب العادي في هذا التخصص من التميز ، ويلاحظ أن الطلاب ليسوا أقوياء في العلوم الاجتماعية كما يفترض أن يكونوا ولكنهم على قدر عال من الكفاءة في كشف الجدل المعيب (وهو الاختبار

الفرعي في الفلسفة) ، ومع التسليم بأن الطالب المتميز يمكنه تطوير تلك المهارة بدون الكثير من التدريب الرسمي فإن الاختلافات بين المتخصصين في اختبارات الفلسفة قد تعكس بشكل كبير الفروق في جودة طلابهم .

2ـ العلوم السياسية : وهي تعادل الاقتصاد وتقريبا ، من المدهش إأن المتخصصين في العلوم السياسية قريبون من علماء الاقتصاد حسب تحليل السوق ولكن قد يرجع ذلك إلى أن الكثيرين منهم يدرسون مقررات وافية في الاقتصاد ، وقد يتفوقون قليلا على المتخصصين في الاقتصاد على الصعيد الاجتماعي ولكن كثيرا من المتخصصين لا يدركون ذلك.

3ـ التاريخ : طلاب متميزون ولكن من المقلق أن المخصصين في التاريخ على قدر بسيط من الكفاءة في العلوم الاجتماعية .

4ـ علم الأعصاب : الطلاب أقوى مما هو متوقع على صعيد العلوم الاجتماعية ولكنهم لا يبدون أية مهارة وظيفية في أي اختبار فرعي .

5ـ علم النفس : يفتقد الطلاب بشكل مدهش لمهارة خارج مجالهم الخاص .

6ـ اللغة الإنجليزية : ليس لدى الطلاب أية مهارة ناقدة خارج مجالهم الخاص .

7ـ علم الأحياء : ليس لدى الطلاب أية مهارة ناقدة خارج مجالهم الخاص ، وعلى الرغم من أن علم الأحياء هو أحد العلوم إلا إنه لوحظ أن قلة من الطلاب لديهم رؤية جيدة للعلم كما أنهم اكثر ميلا نحو ما بعد الحداثة أكثر من الواقعية .

كان يوجد فقط ستة متخصصين في أدارة اإلأعمال ولكن متوسطات درجاتهم كانت فوق المتوسط وقد كانوا أسوأ الطلاب أو الأقرب إلى الأسوأ في كل المجالات بما فيها الاقتصاد ، فإذا ما درس هؤلاء الطلاب الست علم الاقتصاد بتوسع في عامهم الأول يبدو عليهم عدم الاهتمام .

استنتاجات

يوجد لدى جامعة ديبس دفعة متقدمة من الطلاب المتميزين .

- لم يبذل أي جهد لتطوير مهاراتهم الناقدة خارج تخصصاتهم الناقدة .
- لا يزيد عن 24% من خريجيها الذين وجدوا طريقهم نحو مستوى معقول من المهارة الناقدة مجالان على الأقل من بين أربع) .
- يوجد حوالي 3% فقط من الطلاب الذين لديهم تصور واقعي معقول عن العلم في حين يوجد 9% تقريبا الذين يميلون إلى مفهوم ما بعد الحداثة .
- إن الفروق الظاهرة في المهارة الناقدة بين مختلف المتخصصين كبيرة ومقلقة وبالتالي يجب اختيارها ثانية ومضاهاتها بالمزيد من البيانات .

جدول 2/20 مونجو

في فيلم " السروج المتوهجة " توجد شخصية اسمها " مونجو " وهو شخص وحشي وبالتحديد راعي بقر شبيه بالبشر ويمتطي أحد الثيران وعندما يعترض أحد الجياد طريقه يضربه على فكه ويطرده بعيدا ، وعندما يسأل ماذا يخبئ المستقبل له يقول " مونجو لا يعرف فهو مجرد بضاعة طافية على سطح التاريخ " ، ونحن بالتأكيد نفعل أفضل من ذلك مع طلابنا إذ إن هؤلاء الذين يرغبون في إجراء اختبار **FISC** في جامعتهم أو في مدرسة عليا يمكنهم الاتصال بالمؤلف على الموقع التالي : **Jim.Flynn @ otago. Ac.nz**

إن كل جامعة جديرة بلقب " جامعة " تعتقد أن خريجيها مهما كانت تخصصاتهم ـ عليهم أن يتحلوا بشكل فائق بالعقل المتحرر ، ولذلك ، فهي تقدم برامج يطلق عليها " المنهج المحوري " أو " المتطلبات العامة للتعليم " أو " الكتب العظيمة " ، وفي الوقت الحالي تعتبر هذه الأشياء مسكنات تؤثر في وعينا بما نعرفه

جميعا وهو أنه " لا توجد جامعة تقدم تعليما كما تدعي " . فأمامنا المفاهيم الدالة ولكن الطلاب لا يرونها على طبيعتها حيث تختفي تلك المفاهيم في بحر المعرفة الذي يغرق أهميتها ومغزاها .

جيمس ميل

كان جيمس ميل ـ وهو والد جون ستيوارت ميل ـ يعتقد أن العلم العام قد يكفي لعلاج كل أمراض البشرية وبالنسبة لي ليس لدى أي شك فيما يقدمه هذا الكتاب حيث ليس هناك وقت على الإطلاق لكي يفكر كل فرد بطريقة ناقدة ، فالتفكير الناقد لم يكن في يوم من الأيام تذكرة أوتوماتيكية للتقدم ولكن من يسلح نفسه بالمفاهيم الدالة سوف يتحلى بالعقل المتحرر الذي لا يمكن أن يكون هناك استقلال شخصي بدونه حيث لم يعد هناك أشخاص محذورون بل هناك رجال ونساء على وعي تام ولديهم القدرة على مواجهة العالم وفعل ما يمكن عمله لكي يجعلوا من هذا العالم صفوا للخير .

HOW TO IMPROVE YOUR MIND?

هـــــذا الكتـــــاب

يتناول هذا الكتاب موضوعاً فى غاية الأهمية بالنسبة للفرد والمجتمع نظراً لتركيزه على كيفية إعمال العقل فى شئون الحياة على المستوى الفردى والمجتمعى ، حيث يعرض عشرين مفهوماً تغطى مسألة الارتقاء بطريقة التفكير والتى تمكن القارئ من التحليل الناقد لكل ما يقرأه ويسمعه ويراه وبدون ذلك فإن العقل قد لا تتوافر لديه الآلية لتشكيل الرأى فى مسائل عدة كالدين والأخلاق والسياسة الدولية والتاريخ وحتى فى ما تأكله .

هذا الكتاب يعرض بطريقة جذابة وشيقة ، ففى بعض الأحيان يتصور القارئ أنه موجه إلي من أصابه الاحباط وأحياناً إلي رجال السياسة وأحياناً أخرى الي رجال الاجتماع والاقتصاد. ومصاغ بشكل جيد وتشكل قراءته متعة هائلة .

والله ولي التوفيق ،،،

الناشر

عبد الحي أحمد فؤاد

دار الفجر للنشر و التوزيع

4 شارع هاشم الأشقر - النزهة الجديدة - القاهرة تليفون :26246252 فاكس : 26246265

daralfajr@yahoo.com www.daralfajr.com

I.S.B.N 978-977-358-289-0

